CISMOR

برنامج المراكز المتميزة للقرن الواحد والعشرين

الندوة العالمية لمركز الدراسات المتعددة المواضيع

للأديان التوحيدية ٢٠٠٤م

الحرب والعنف في الأديان

ردود من عالم التوحيد

٢٠ ـ ٢١ فبراير ٢٠٠٤م

المحتويات

البرنامج 1

تقديم 4
كوإتشي موري

المشاركون 10

الجلسة الأولى (2004/2/20م) 13
الحرب والعنف في الأديان: ردود من عالم التوحيد
الإرهاب الديني: لم هو ديني؟! ولم يحدث الآن ؟! 15
مارك جورغينسمئير(Mark Juergensmeyer)

الحرب والسلم في الإسلام 23
صلاح الدين كفتارو(Salah al-Deen Kuftaro)

الحرب والعنف في الأراضي المقدسة - رؤية رجل ياباني للقدس 27
أكيرا أوسوكي(Akira Usuki)

تعليقات ومناقشة 35

الجلسة الثانية (2004/2/20م) 51
الحرب والعنف، والإسلام
ماذا يعني "إنكار الحرب والعنف" ؟ -أطر الخطاب الإسلامي 53
كو ناكاتا(Ko Nakata)

الحرب والعنف: منظور إسلامي 57
م. شمس الدين(M. Syamsuddin)

الحرب والسلام من منظور الشريعة الإسلامية 69
أشرف البروجردي(Ashraf Borujerdi)

تعليقات ومناقشة 73

الجلسة الثالثة (2004/2/21م) 95
الحرب والعنف والمسيحية
نظرية الحرب العادلة في التقاليد التاريخية والمناظرة الجارية 97
جيمس تيرنر جونسون(James Turner Johnson)

المسيحية و العنف و وجوب السلام 104
آرسلا كينغ (Ursla King)

الصراعات بين المسالمة ونظرية الحرب العادلة - من وجهتي النظر اليابانية والمسيحية 119
كاتسوهيرو كوهارا(Katsuhiro Kohara)

تعليقات ومناقشة 125

الجلسة الرابعة (2004/2/21م) 147
نحوسلام مابعد الحادي عشر من سبتمبر
الإسلام خطر أم وعد؟! 149
حسن حنفي(Hassan Hanafi)

المرئي و اللامرئي في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني... 156
إلان بابي(Ilan Pappe)

هل تستطيع أمريكا التغلب على الأصولية الأمريكية؟! 174
كوإتشي موري(Koichi Mori)

تعليقات ومناقشة 181

ندوة CISMOR العالمية لعام 2004م
(20-21 فبراير 2004 م)

الـحرب و الـعنـف فـي الأديـان

- ردود من عالم التوحيد -

الجمعة 20 فبراير

من 10:00 صباحا إلى 12:30 ظهرا الجلسة الصباحية ندوة مفتوحة

"الحرب والعنف في الأديان: ردود من عالم التوحيد"

< قاعة المحاضرات رقم (1) في ميتوكوكان، جامعة دوشيشا >

تقديم: الأستاذ / كاتسوهيرو كوهارا (جامعة دوشيشا)

10:00-10:10 كلمة افتتاحية: الأستاذ / كوإتشي موري (جامعة دوشيشا)

10:10-11:40 محاضرات

الأستاذ / مارك جورغنسمئير (جامعة كاليفورنيا ــ سانتا باربرة)

"الإرهاب الديني: لم هو ديني؟! ولم يحدث الآن؟!"

الدكتور / الشيخ صلاح الدين كفتارو (المدير العام لمجمع الشيخ أحمد كفتارو)

"الحرب والسلم في الإسلام"

الأستاذ / أكيرا أوسوكي (المتحف الوطني للأثنولوجيا)

"الحرب و العنف في الأراضي المقدسة: رؤية رجل ياباني للقدس"

11:40-11:50 استراحة

11:50-12:10 تعليقات

الأستاذة / باربارا براون زيكموند (جامعة دوشيشا)

الأستاذ / يوسيتسوغو ساواي (جامعة تنري)

12:10-12:30 مناقشة

من 1:00 ظهرا إلى 2:30 عصرا الغداء < مطعم أكوابلو، فندق ويستن مياقو، كيوتو >

البرنامج

من 2:30 عصرا إلى 5:30 مساء الجلسة المسائية

"الحرب والعنف والإسلام"

< ياماشيرو–نو–ما، فندق ويستن مياقو، كيوتو >

تقديم: الأستاذة / كازوكو شيوجيري (جامعة تسوكوبا)

2:30–3:20 محاضرات

الأستاذ / كو ناكاتا (جامعة دوشيشا)
"ما المقصود برفض الحرب والعنف؟: في إطار الخطاب الإسلامي"
الأستاذ / محمد شمس الدين (مجلس العلماء الأندونيسي)
"الحرب والعنف: منظور إسلامي"
الدكتورة/ أشرف البروجردي (وزارة الداخلية بإيران)
"الحرب والسلام من منظور الشريعة الإسلامي"

3:20–3:35 استراحة

3:35–3:55 تعليقات

الدكتور/ يسبر سفارتفيك (جامعة لوند)
السيد / هاشم شحرير (مجلس الدعوة الإقليمي الإسلامي لمنطقة جنوب شرق آسيا والمحيط الهادئ)
الأستاذ / كنجي توميتا (جامعة دوشيشا)
الأستاذ / أكيرا إيتشيغويا (جامعة دوشيشا)

3:55–5:30 مناقشة

من 6:00 مساء إلى 8:00 مساء العشاء /الاستقبال < أووي–دن، فندق ويستن مياقو، كيوتو >

السبت 21 فبراير

من 9:30 صباحاً إلى 12:30 ظهراً الجلسة الصباحية

"الحرب والعنف والمسيحية"

< ياماشيرو–نو–ما، فندق ويستن مياقو، كيوتو >

تقديم: الأستاذ / كوإيتشي موري (جامعة دوشيشا)

9:30–10:20 محاضرات

الأستاذ / جيمس تيرنر جونسون (جامعة روتغارس)
"نظرية الحرب العادلة في التقاليد التاريخية والمناظرة الجارية"
الأستاذة / إيميرتس أورسولا كينغ (جامعة بريستول)
"المسيحية و العنف و وجوب السلام"

الأستاذ / كاتسوهيرو كوهارا (جامعة دوشيشا)
"الصراعات بين النزعة المسالمة و نظرية الحرب العادلة: من وجهتي النظر اليابانية و المسيحية"

10:20-10:35 استراحة

10:35-10:55 تعليقات

الباحثة/ نوريت نوفيس دويتش (الجامعة العبرية)
الأستاذ / إبراهيم زين (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)
السيد / ماكي تاهارا (صحفي بجريدة طوكيو)
الأستاذ / توموأكي فوكاي (الجامعة سيغاكواين)

10:55-12:30 مناقشة

من 12:30 ظهراً إلى 2:30 عصرا   الغداء < مطعم أكوابلو، فندق ويستن مياقو، كيوتو >

من 2:30 عصرا إلى 5:30 مساء   الجلسة المسائية

"نحوسلام مابعد الحادي عشر من سبتمبر"

< ياماشيرو-نو-ما، فندق ويستن مياقو، كيوتو >

تقديم: الأستاذ / ماساهيرو هوسويا (جامعة دوشيشا)

2:30-3:20 محاضرات

الأستاذ / حسن حنفي (جامعة القاهرة)
"الإسلام وعيد أم وعد؟!"
الدكتور/ إلان بابي (جامعة حيفا)
"المرئي و اللامرئي في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني"
الأستاذ / كوإتشي موري (جامعة دوشيشا)
"هل تستطيع أمريكا التغلب على الأصولية الأمريكية؟"

3:20-3:35 استراحة

3:35-3:55 تعليقات

الأستاذ / كوجي موراتا (جامعة دوشيشا)
السيدة يوكا أوتشيدا (الحزب الديمقراطي الياباني)
الدكتور / صلاح الدين كفتارو (المدير العام لمجمع الشيخ أحمد كفتارو)
الأستاذ / مارك جور غنسمئير (جامعة كاليفورنيا ـــ سانتا باربرة)

3:55-5:30 مناقشة

تقديم

أ. د. كواِتشي موري

يسرنا أن نقدم هذا التقرير عن نتائج البحوث التي أجريت في عام 2003م ضمن برنامج " المراكز المتميزة " COE للقرن الواحد والعشرين الميلادي بجامعة دوشيشا ، وذلك بعنوان (بحوث متنوعة عن الأديان التوحيدية من منظور التعايش الثقافي والأمن) ، إن مركز الدراسات المتعددة الموضوعات للأديان التوحيدية الذي يعرف اختصارا باسم " سيسمور CISMOR " والذي تأسس في إبريل من عام 2003م يعد المقر الرئيسي لتنفيذ برنامج " المراكز المتميزة COE " يضم سبعة عشر عضوًا عاملا ، من بينهم سبعة من أعضاء هيئة التدريس بكلية الإلهيات ، وعضو من كلية الحقوق ، وعضوان من كلية الدراسات الأمريكية ، وعضو من كلية الآداب ، وعضو من معهد اللغة والثقافة ، بالإضافة إلى خمسة أعضاء من خارج جامعة دوشيشا.

وهكذا يمكن لأي إنسان أن يدرك من خلال إلقاء نظرة على القائمة أنها تضم أعضاء من تخصصات متنوعة ، كما أن البحوث المتعلقة بالأديان التوحيدية الثلاثة التي ظهرت أساسا في منطقة الشرق الأوسط أي اليهودية والنصرانية والإسلام ، لم تؤخذ ببساطة على أنها دراسة مقارنة للأديان ، بل على أنها دراسة متنوعة ومتعددة الموضوعات فيما يتعلق بالأديان التوحيدية الثلاثة وحضاراتها العظيمة ، مع الأخذ في الاعتبار تنوع وجهات النظر ، واختلاف الرؤى ، عن الأمن العالمي ، ونظرية الحضارة والتمدن ، وتاريخ العلوم ، أما عن المناطق الجغرافية ، فتشمل الشرق الأوسط ، ودول الاتحاد الأوربي ، ودول جنوب شرق آسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية.

في عام 2003م بدأ برنامج البحوث موزعا على مجموعتين :

- مجموعة دراسة الأديان التوحيدية دراسة فاحصة ، وإجراء حوار حول الحضارة .
- ومجموعة استراتيجيات العولمة الأمريكية وعالم الأديان التوحيدية .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه إضافة إلى الأعضاء السبعة عشر الذين سبق ذكرهم ، والأعضاء العاملين في " سيسمور CISMOR " ، فإن كثيرا من الباحثين من مختلف أنحاء اليابان ، ممن ينتمون إلى تخصصات متنوعة ، يشاركون في برنامج البحوث ضمن المجموعتين السابقتين كباحثين متعاونين (يمكن الرجوع إلى قائمة الباحثين الزملاء) وفيما يتعلق بأنشطة " سيسمور CISMOR " يمكن الرجوع إلى موقع المركز على شبكة الانترنيت .(http://www.cismor.jp/)

هنا في هذا التقرير نعرض لأوراق البحوث المقدمة ، والتعليقات ، والمناقشات التي دارت خلال جلسات الندوة العالمية التي تعد أبرز إنجازات " سيسمور CISMOR " لعام 2003م ، ونأمل أن يساعد هذا التقرير في فهم أفضل للأنشطة البحثية التي تجرى ضمن برنامج المراكز المتميزة COE للقرن الواحد والعشرين.

إن برنامج المراكز المتميزة COE للقرن الواحد والعشرين الذي يتخذ من كلية الإلهيات للدراسات العليا بجامعة دوشيشا القاعدة الأساسية ، يؤكد على العلاقات الوطيدة مع الأنشطة البحثية والتعليمية لكلية الدراسات العليا هذه ، لقد شاركت كلية الإلهيات للدراسات العليا بجامعة دوشيشا منذ مدة طويلة في أنشطة بحثية وتعليمية ، تتعلق بعلوم اللاهوت المسيحي ، وبخاصة اللاهوت البروتستانتي ، ومن هنا فحين تم اختيار موضوع " بحوث متنوعة الموضوعات عن الأديان التوحيدية " ليكون ضمن برنامج المراكز المتميزة COE قامت كلية الإلهيات بتوسيع مجال أنشطتها البحثية والتعليمية لتشمل البحث في الأديان التوحيدية.

في سنة 2003م عينت كلية الإلهيات باحثين اثنين متخصصين في الفكر الإسلامي ، وباحثا متخصصا في المناطق الإسلامية ، وقد عين هؤلاء أساتذة دائمين في كلية الإلهيات ، ومن الجدير بالذكر أن اثنين منهم يدينان بالإسلام ، وهكذا يصبح لدي كلية الإلهيات ثلاثة من الأساتذة الدائمين المتخصصين في الدين الإسلامي ، وهو ما يندر وجوده في أي مركز أبحاث في العالم .

من المهم أن نشير هنا إلى أن هناك عدة أسباب دعت كلية الإلهيات لتوسيع مجالاتها البحثية والتعليمية ضمن أنشطة " سيسمور CISMOR " لتشمل الأديان التوحيدية ، أولها يعكس بالضرورة احتياجات العصر ، فمن الواضح أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، والحرب على العراق ، فضلا عن

مشكلة فلسطين التي تمثل العمود الفقري لتلك القرارات ، لها تأثير ذو مغزى على سلام العالم المعاصر وأمنه ، كما أن الأديان التوحيدية الثلاثة المذكورة سابقا ، ترتبط ارتباطا وثيقا بأي مشكلة من تلك المشاكل ، وهنا في اليابان ، وبالتأكيد في أي منطقة أخرى في العالم أجمع ، توجد عدة مراكز بحثية وتعليمية لها القدرة على القيام بدراسات فورية مكثفة عن هذه الأديان التوحيدية.

والسبب الثاني هو تطوير الإسهامات الاجتماعية من جانب كلية الإلهيات ، بالإضافة إلى تقديم معلومات دقيقة إلى المجتمع الياباني ، فيما يتعلق بالأديان التوحيدية ، ومن هنا فإننا نأمل أن تلعب هذه الكلية ومركز " سيسمور CISMOR " دورا عالميا في مجال البحوث المتعلقة بالأديان التوحيدية ، فمنذ عصر الحروب الصليبية يعيش العالم الإسلامي والعالم المسيحي في الغرب تاريخا طويلا من الصراع والمواجهة ، بينما كانت اليابان تقف دائما خارج هذا الصراع والمواجهة ، ولهذا الأمر أسبابه التاريخية ، ووجهات نظر تتعلق بالسياسة الإقليمية ، ونحن نأمل أن تحول اليابان هذه الفرصة السانحة إلى شعور بالمسئولية ، وأن تلعب دور " الوسيط " بين عالم الأديان التوحيدية.

والسبب الثالث هو تطوير منهج دراسة علم اللاهوت المسيحي ، فمنذ عدة قرون مضت ، بذلت جهود لا حصر لها في حقل دراسات علم اللاهوت المسيحي ، وذلك لإيجاد وسيلة للحوار مع الأديان الأخرى ، ومن هنا يمكن العمل على تطوير " نظرية اللاهوت المتعلقة بالأديان " أو " نظرية اللاهوت المتعلقة بالحوار" كوسيلة لإعادة دراسة اللاهوت المسيحي ذاته ، ومع هذا فإن نتائج هذه الجهود لم تحقق الكثير مما كان يُرجى ، فنحن نشعر بأن دراسة الشكل المثالي للاهوت المسيحي هي الآن "موضوع متشعب" لدرجة أن التعايش السلمي بين الأديان والحضارات أصبح ضرورة حتمية في عالم اليوم.

يتمثل مشروع البحث المتميز الذي نفذه مركز الدراسات المتعددة الموضوعات للديانات التوحيدية " سيسمور CISMOR " خلال العام الدراسي 2003م في " الندوة " الدولية التي عقدت في مدينة كيوتو يومي 20 و 21 من شهر فبراير عام 2004م بعنوان (الحرب والعنف في الدين : أجوبة من عالم الأديان التوحيدية) ، وقد شارك في الندوة 23 باحثا ينتمون إلى اثنتي عشرة دولة ، بالإضافة إلى عدد كبير من طلاب الدكتوراه ، الذين

شاركوا في الحوارات التي دارت مع الباحثين اليابانيين وخريجي الجامعات من طلاب الدراسات العليا ، وقد ضم المشاركون من خارج اليابان شخصيات قيادية لها مكانتها المرموقة عالميا ، وباحثين متميزين في حقل الدراسات الدينية مثل : م جورغينسمئير M. Jurgensmeyer من الولايات المتحدة الأمريكية الذي شارك ببحث بعنوان (الإرهاب الديني) ، ومثل يو كينغ U. King من المملكة المتحدة التي شاركت ببحث بعنوان (المسيحية و العنف و وجوب السلام) ، ومثل ج جونسون J. Jonson من الولايات المتحدة الأمريكية الذي شارك ببحث بعنوان (نظرية الحرب العادلة) ومثل إيان بابّيه I. Pappe من فلسطين وهو من جامعة حيفا ، وشارك ببحث بعنوان (المرئي واللامرئ في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني) ومثل أشرف البروجردي A. Borujerdi من جمهورية إيران الإسلامية وقد شاركت ببحث بعنوان (الحرب والسلام من منظور الشريعة الإسلامية) ومثل صلاح الدين كفتارو S. Kuftaro من سوريا الذي شارك ببحث بعنوان (الحرب والسلم في الإسلام) ومثل حسن حنفي H. Hanafi من مصر وهو من جامعة القاهرة وقد شارك ببحث بعنوان (الإسلام خطر أم وعد؟!) .

عقدت الندوة أربع جلسات على مدار يومين ، وكانت الجلسة الأولى ندوة مفتوحة ضمت نحو ثلاثمائة وخمسين مشاركا ، أما الجلسات الثانية والثالثة والرابعة فكانت جلسات مغلقة ، إلا أن تقديم الأوراق الخاصة بالبحوث والتعليقات والمناقشات ، قد جرى تسجيلها بالكامل في هذا التقرير ، وهو بمثابة سجل للندوة ، يطبع أيضا باللغتين اليابانية والعربية، وقد تضمنت بحوث الجلسات المغلقة المحاور التالية : الحرب والعنف و الإسلام ، والحرب والعنف والنصرانية ، ونحو سلام ما بعد الحادي عشر من سبتمبر .

لقد تضمنت الجلسات المغلقة تحليلات تاريخية ودينية ، ومناقشات عن موضوع "الجهاد في الإسلام" وموضوع " نظرية الحرب العادلة أو المبررة " ، وموضوع "أخلاقيات اللاعنف في النصرانية" ، وكانت هناك مناظرات ومناقشات ساخنة نتيجة اختلاف مفهوم الحرب في كل من الأديان الثلاثة ، وكذلك فيما يتعلق بقضايا الفلسطينيين ومشاكلهم ، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر ، والحرب على العراق .

أما عن موضوع الحوار بين الأديان ، فقد كانت هناك رغبة في أن يكون ببساطة " مناقشات جذابة " بين محاورين يمتلكون وجهات نظر مشتركة ،

إلا أن النقد اللاذع إلى حد ما الذي تبادله المحاورون كان السمة العامة التي سادت هذه الندوة العالمية ، وقد تطور الأمر في بعض الأحيان إلى أن وصلت المناظرة إلى حد النقاش الساخن بين أفراد ينتمون إلى نفس الدين ، وذلك نتيجة لاختلاف فهمهم لمفهوم الحرب في نصوص دينهم .

مع انتشار استخدام شبكة الانترنيت حدث نقاش جيد عن ظهور ما يعرف بمصطلح " معلومات بلا حدود " بمعنى أن المعلومات صارت متاحة للجميع ، إلا أنه في الحقيقة لم يحدث تبادل للمعلومات مع الناطقين بالإنجليزية ومع العالم العربي حتى على شبكة الانترنيت ، ومن هنا فنحن نشعر الآن أن المهم في عالم الأديان التوحيدية : اليهودية والمسيحية والإسلام هو الشراكة المتبادلة للمعلومات الدقيقة المتعلقة بما يفكر فيه " الآخر " ، ما الذي يغضبه ؟ ، وماذا يريد؟ ، لقد استضفنا في هذه الندوة العالمية مترجمين فوريين للغة اليابانية والإنجليزية والعربية ، ونحسب أن الأهداف الأساسية المنشودة من الندوة ، قد تحققت بفضل جهود هؤلاء المترجمين المتميزين.

وانطلاقا من أسس التفاعل الإنساني في الندوات العالمية في المواقع الأخرى ذات العلاقة ، ومن خلال الرؤى التي اتضحت من تبادل البحوث سابقة الذكر ، فإننا نحن الأعضاء المشاركين في البرنامج ، قمنا بعمليات مسح شامل ، وتقييم ، وزيارات لمنطقة الشرق الأوسط ، ودول الاتحاد الأوربي ، ومنطقة دول جنوب شرق آسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية من أجل دراسة إمكانية إجراء بحوث مشتركة ، ومن أجل تبادل البحوث مع كليات الدراسات العليا ، ومراكز البحوث في تلك المناطق.

إن هدف التعليم في برنامج المراكز المتميزة COE هو تربية "متخصصين " يمكنهم الإسهام في التعايش السلمي بين الحضارات في عالم يزداد فيه الصراع بين الحضارات ضراوة يوما من بعد يوم .

نحن نعتقد بأن دراسة لغة الحوار ليس بموضوع بحث قاصر على الأفراد ، أو خاص بطالب الدراسات العليا ، الذي يدرس الأديان التوحيدية ، لكنه سيصبح من أساسيات العمل المستقبلي للمتخصصين الذين يسهمون في التعايش السلمي بين الحضارات ، وهكذا قمنا في عام 2003م بتنظيم دورة مكثفة لتعليم اللغة العربية واللغة الإنجليزية للمؤتمرات الدولية ، بهدف تحسين المهارات اللغوية لطلاب الدراسات العليا ، وفي سنة 2004م نخطط لتنظيم دورة مكثفة في اللغة العبرية الحديثة أيضا .

نحن نأمل أن يستمر اهتمامكم ودعمكم لبرنامج أبحاث المراكز المتميزة COE ومركز الدراسات المتعددة الموضوعات للأديان التوحيدية.

الأستاذ الدكتور/كوإتشي موري
مدير
مركز الدراسات المتعددة الموضوعات للاديان التوحيدية

المشرف العام
برنامج البحوث المتعددة الموضوعات للاديان التوحيدية
برنامج المراكز المتميزة للقرن الواحد والعشرين – جامعة دوشيشا

FUKAI, Tomoaki
Seigakuin University

ECHIGOYA, Akira
Doshisha University

BORUJERDI, Ashraf
Ministry of Interior of Iran

JOHNSON, James Turner
Rutgers University

JUERGENSMEYER, Mark
University of California, Santa Barbara

HANAFI, Hassan
Cairo University

KUFTARO, Salah al-Deen
Sheikh Ahmad Kuftaro Foundation

KOHARA, Katsuhiro
Doshisha University

KING, Ursula
University of Bristol

NAKATA, Ko
Doshisha University

MURATA, Koji
Doshisha University

MORI, Koichi
Doshisha University

SAWAI, Yoshitsugu
Tenri University

PAPPE, Ilan
Haifa University

NOVIS-DEUTSCH, Nurit
Hebrew University

SYAMSUDDIN, M.
Indonesian Council of Ulama

SVARTVIK, Jesper
Lund University

SHAHRIR, Hashim
RISEAP: Regional Islamic Dawah Council of Southeast Asia and the Pacific

UCHIDA, Yuka
The Democratic Party of Japan

TOMITA, Kenji
Doshisha University

TAHARA, Maki
The Tokyo Shimbun (Newspaper)

ZIKMUND, Barbara Brown
Doshisha University

ZEIN, Ibrahim
International Islamic University, Malaysia

USUKI, Akira
The National Museum of Ethnology

الجلسة الأولى (2004/2/20)

الحرب والعنف في الأديان : ردود من عالم التوحيد

الإرهاب الديني: لم هو ديني؟! ولم يحدث الآن؟!

مارك جورغينسمئير (Mark Juergensmeyer)
جامعة كاليفورنيا ـ سانتا باربرة

لم يشك أحدٌ شاهد في هلع برجي مركز التجارة العالمي وهما يتداعيان إلى الأرض في الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 أن الهدف الحقيقي من هذا الهجوم الإرهابي هو ضد قوة الولايات المتحدة العالمية، وهذا ما قاله الذين قاموا بذلك، وقد أخبرني محمود أبو حليمة أحد الناشطين الذين لهم صلة بالقاعدة عندما أدين في هجوم عام 1993 على مركز التجارة العالمي بأن أبنية كهذه اختيرت لتظهر بشكل جلي أن " الحكومة هي العدو".

لقد كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها والحكومات العلمانية التي تدعمها أمريكا هي العدو دائماً في الأعمال الإرهابية الحديثة في العالم، وقلما كان الزعماء أو الجماعات الدينية هي الهدف، ولقد كان الهجوم على المقام الشيعي في مدينة النجف العراقية في 29 أغسطس 2003 والذي راح ضحيته ما يزيد على الثمانين شخصاً بما فيهم آية الله محمد باقر الحكيم استثناءً في هذا الخصوص. ولقد كان ناشطو القاعدة الذين ألصقت بهم تهمة القيام بهذا الهجوم مستاءين من تأييد آية الله لمجلس الحكم العراقي المدعوم من الولايات المتحدة أكثر من غيرتهم من شعبيته الشيعية, وباعتبار أن الأمم المتحدة قد أيدت بشكل غير مباشر احتلال الولايات المتحدة للعراق وأفغانستان لذلك كانت موضع غضب أسامة بن لان، وربما كان هذا هو سبب استهداف مكتبها في بغداد بالهجوم المدمر في 19 أغسطس 2003 والذي قتل فيه مندوب الأمم المتحدة البارز سيرجيو فيرا دي ميلو (Sergio Viera de Mello). وبالرغم من الاختلاف الظاهر بين الأهداف فإن المقصود من أعمال الإرهاب الديني الأخيرة هو العدو القديم للدين ألا وهو الدولة العلمانية.

وكانت الحكومات العلمانية هدف الإرهاب تقريباً في كل أصولية دينية وليس في الإسلام فقط، فلقد فجرَّ الإرهابي المسيحي تيموثي ماكفي (Timothy McVeigh) البناء الإتحادي في مدينة أوكلاهوما، واغتال الناشط اليهودي إيكال أمير (Yigal Amir) رئيس وزراء اسرائيل اسحاق رابين، وقام الزعيم البوذي شوكو آساهارا (Shoko Asahara) بإطلاق غاز الأعصاب في نفق طوكيو للقطارات قرب أبنية البرلمان الياباني، وأما مقاتلو الهندوس والسيخ فقد استهدفوا الأبنية الحكومية والزعماء السياسيين في الهند.

وبالإضافة إلى المكاتب الحكومية وزعمائها كانت الأهداف الأخرى هي رموز الحياة العلمانية العصرية وفسادها الذي يلقى الترويج من قبل الدولة العلمانية. وفي أغسطس 2003 كان فندق ماريوت في جاكرتا والذي يؤمه السياح الغربيون والإندونيسيون هدف التفجير المروع بسيارة مفخخة والذي يذكرنا بالهجوم المدمر في 2002 على النوادي الليلية في بالي وزبائنها من طلاب الجامعات الاوستراليين، واستهُدِفَتْ عيادات الإجهاض وحانات المثليين الجنسيين في أتلانتا وأماكن أخرى في الولايات المتحدة. وأما تفجيرات عام 2003 في المغرب فقد استهدف النوادي التي يتردد عليها الأجانب من إسبانيا وبلجيكا وإسرائيل.

ويبرز سؤالان بخصوص هذا السيل من الهجمات الدينية الحاقدة على الحكومات والحياة العلمانية في كل أنحاء العالم: لِمَ صار الدين أساس المعارضة للدولة؟ ولم يحدث هذا الآن؟.

لِمَ الدين؟

الناشطون الدينيون حالات شاذة محيرة في العالم العلماني، ومعظم المدنيين ومنظماتهم إما مؤيدون بشدة للدولة العلمانية أو يتعاملون بصمت تجاهها، وتتألف شبكة قاعدة أسامة بن لان من فئة قليلة متطرفة تنتمي إلى ثقافة تحتية معادية وهي أقلية صغيرة في العالم الإسلامي الأكبر، ولا يمثل أسامة بن لادن الإسلام كما لا يمثل تيموثي ماكفي المسيحية أو شوكو أساهارا الياباني البوذية.

وكذلك لا يستطيع المرء أن ينكر أن مُثل وأفكارَ الناشطين كابن لادن دينية وصادقة تماماً، وعلاوة على ذلك رغم فإن شبكتهم تتألف من بضع آلاف عضو استمتعوا بشهرة متزايدة في العالم الإسلامي بعد الحادي عشر من سبتمبر وخاصة بعد الاحتلال العسكري للولايات المتحدة وحلفائها لكل من أفغانستان والعراق. وقد منحت سلطة الدين كوادر ابن لادن الشرعية الأخلاقية لاستخدام العنف في مهاجمة رموز القوة السياسية والاقتصادية العالمية، وقدم لهم الدين صورة الحرب الكونية التي هي صراع روحي يحتوي في جعبته على رموز من حرب بين والصالح والطالح، ومن هذا المنطلق كانت الهجمات التي استهدفت مركز التجارة الدولي مقر الأمم المتحدة في بغداد هجمات دينية أريد منها أن تكون كارثية بأبعاد إنجيلية.

ورغم أن الهجوم على مركز التجارة الدولي مقرالأمم المتحدة وأعمال أخرى حديثة من الإرهاب الديني لم يكن لها هدف عسكري واضح فقد أريد أن يكون لها تأثير قوي على الرأي العام، إنها عروض للتلفزيون، إنها نوع من السلوك المنحرف يقصد منه تعظيم رؤية مقترفيه أمام العالم، ولجذبنا إلى

أفكارهم حول الحرب الكونية، وفي دراستي لنشوء العنف الديني العالمي بعنوان "الإرهاب في ذهن الله " جورغنسميئير2003، وجدت نمطاً مألوفاً بشكل صارخ، وفي واقع الأمر رافق مفاهيم الحرب الكونية في كل الحالات الأخيرة للعنف الديني ادعاءات قوية لمبررات أخلاقية وحكم مطلق مستديم حوّل الصراعات العالمية إلى معارك مقدسة، وليس هذا بسبب أن الدين قد تسيَّس بل لأن السياسة قد صُبِغَتْ بالدين، ورفع الكفاح العالمي للمعركة المقدسة إلى خشبة المسرح العالية.

وهذا ما جعل التصدي للحرب الدينية صعباً، فقد أصبح أعداؤها شياطين لا يستطيع المرء أن يتفاوض معهم أو أن يصل إلى تسوية سهلة معهم. وإن مكافأة الذين يقاتلون من أجل القضية تتجاوز الحياة الدنيا وإن أبعاد زمن كفاحهم واسعة، وتتطلع معظم الكفاحات الاجتماعية والسياسية إلى نهايات ضمن حياة أصحابها ولكن الكفاحات الدينية قد تستغرق أجيالاً لاحقة.

ومرة سنحت لي الفرصة بأن أشير للدكتور عبد العزيز رنتيسي، رئيس الجناح السياسي لحركة حماس إلى عبثية (في الاصطلاحات العسكرية العلمانية) الكفاح الإسلامي الراديكالي في فلسطين، وقد بدا لي أن قوة إسرائيل كانت قوية بحيث أن الجهد العسكري الفلسطيني لا يمكن أن ينجح أبداً. فأكد لي الدكتور رنتيسي أن " فلسطين قد احتلت قبلاً لمدة مائتي سنة " وبين لي أنه والرفاق الفلسطينيين يمكنهم " أن ينتظروا ثانية نفس تلك المدة على الأقل ". وفي تقديره قد يستمر كفاح الله الجهاد لدهور وهم يعلمون أنهم سوف ينجحون في النهاية.

وطالما أن الشعب الأمريكي وقادته قد اعتنقوا فكرة الحرب بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر لذلك صاروا ميَّالين لاعتبار هذه الحرب دينية، و قد أصبح النشيد الوطني الأمريكي غير الرسمي " ليبارك الله أمريكا ". وتكلم الرئيس جورج بوش عن الدفاع عن " قضية أمريكا الحقة " وعن " الشر المطلق " في أعدائها، ومازالت الاشتباكات العسكرية الأمريكية في الشهور التي تلت الحادي عشر من سبتمبر التزاماً علمانياً يستند إلى هدف محدد ومحصور بشكل كبير وبأهداف أخرى محددة لا زالت تراعى في معظمها الحريات المدنية والقوانين الأخلاقية في القتال.

وفي المعارك الدينية البحتة التي تشن بتوقيت إلهي وبجزائه السماوي لا حاجة للمرء أن يتهاون في أهدافه، ولا حاجة كذلك للنزاع مع قوانين المجتمع وقيوده عندما يطيع المرء سلطة عليا، وعندما تُضْفَى الروحانية على العنف يعطي الدين مصادر العنف قوة هائلة.

ومما يدعو للسخرية أن العكس صحيح أيضاً: قد يعطي العنف الدين قوة. ورغم أن أعمال العنف المتفرقة لا تؤدي إلى إقامة دول دينية جديدة إلا أنها

تجعل الصولة السياسية للفكر الديني مستحلية التجاهل، وكانت الموجة الأولى للنشاط الديني من بدء الثورة الإسلامية في إيران عام 1978 إلى ظهور حماس أثناء الانتفاضة الفلسطينية في أوائل التسعينيات متركزة على القومية الدينية، وعلى رؤية الدول الدينية بمعزل عن غيرها، وباطراد صار للنشاط الديني رؤية عالمية أكبر تستهدف الجميع مثل الجماعات اليائسة كالميليشيا المسيحية وحركة أوم شينريكو (Aum Shinrikyo) اليابانية وشبكة القاعدة وهو ما يعتبره مؤيدوها الشكل العلماني القمعي للثقافة والهيمنة العالمية.

ومما يجذب الناس للمعتقدات الدينية كونها شخصية جداً إذ أنها تمنح شعوراً بالخلاص والكرامة للذين يعتنقونها وغالباً ما يشعرون بأنهم مهمشون من الحياة العامة وبالتالي يعاملون بإذلال، ويرى المرء أن جهودهم تقلب أعداءهم شياطين وأن اعتناقهم أفكار الحرب الكونية هو محاولة للسمو والقوة وكسر طوق المذلة ولو لم تكن مثل هذه الجهود مدمرة بشكل مريع لكان لها الأثر الشديد.

ومع ذلك فهي ليست مجرد أعمال شخصية، فهذه الجهود العنيفة ذات القوة الرمزية لها تأثير يتجاوز كل رضى شخصي وكل مشاعر السلطة وتمنحها لمن يؤيدها ويسير بموجبها، إن عملية القتل بالذات باسم المبادئ الأخلاقية هي بيان سياسي، وتخرق مثل هذه الأعمال احتكار الدولة للقتل المسوَّغ أخلاقياً، وحينما يضع مقترفو العنف الديني حق انتزاع الحياة في أيديهم فإنهم يتجرأون على تسلم القوة باسم من لا قوة لهم وهو أساس الشرعية للنظام العام والذي يختلف عن مثيله الذي تعتمده الدولة العلمانية.

لِمَ الآن ؟

إن الذي يجعل هذه الأعمال من العنف الديني تحدث الآن وبشكل مختلف نوعاً ما عن الأشكال المتعددة للحرب المقدسة والقتل باسم الدين، والتي حدثت عبر التاريخ هي أنها ردود أفعال لموضوع معاصر في حياة العالم السياسية والاجتماعية ألا وهو العولمة.. ومن الملفت للنظر أن مركز التجارة العالمي رَمَزَ لكراهية ابن لادن لمظهرين في الحكومة العلمانية وهما نوع معين من التحديث ونوع معين من العولمة، وأقول " نوع معين " في الحالتين باعتبار أن شبكة القاعدة بذاتها حديثة وتتجاوز القومية الواحدة ولكن بطريقتها الخاصة. فأعضاؤها مثقفون جداً وذوو مهارات تقنية وحرفية عالية، أما تنظيمها فيتألف من أتباع ينحدرون من قوميات متعددة ويتحركون بيسر من مكان لآخر بدون ولاء قومي واضح، وهم ليسوا ضد الحداثة والعولمة طالما أنهما من تصميمهم ولكنهم يكرهون الحداثة بالأسلوب الغربي ويتصورون أن العولمة العلمانية تضغط بثقلها عليهم.

وقبل حوالي ثلاث وعشرين سنة وأثناء الثورة الإسلامية في إيران جمع آية الله الخميني الجماهير تحت شعار مشابه وهو أن أمريكا كانت تقحم استغلالها الاقتصادي ومؤسساتها السياسية وثقافتها العلمانية على المجتمع الإسلامي الغافل، واتهم الخميني سكان المدن الإيرانيين بأنهم استسلموا لسموم الغرب وسُكِروا بالثقافة والأفكار الغربية، ولقد رددت الحركات الدينية القومية هذا الشعار الذى ذاع و في كل أرجاء العالم في العشرين سنة التي تلت الثورة الإيرانية. وتعارض هذه المعاداة للغرب في صميمها نوعاً معيناً من الحداثة وهو علمانيته وأنانيته وتشككه، ومن الغريب مع ذلك بأن قبول الفكرة الحديثة للدولة القومية وتبني التكنولوجيا والأدوات المالية للمجتمع الحديث يجعل كثيراً من هذه الحركات القومية الدينية تدعي نوعاً من الحداثة باسمها.

وقد يعتبر المرء السياسة الدينية نوعاً من العدوى الانتهازية التي سرت في المرحلة الحالية الضعيفة للدولة القومية، فلقد أوهنت العولمة القومية العلمانية والدولة القومية في عدة طرق، فقد أضعفتها اقتصادياً ليس فقط عن طريق الوصول العالمي للأعمال التي تتعدى القومية الواحدة بل عن طريق الطبيعة اللاإقليمية للقوى العاملة والنقد والأدوات المالية، وقد جرفت شعورها بالهوية والوحدة القومية عن طريق التوسع الفضائي لوسائل الإعلام والاتصالات التكنولوجية والثقافة الشعبية، وعن طريق قوة الولايات المتحدة العسكرية التي لا تبارى، ونشأت بعض الحركات العرقية المتشددة والقومية الدينية في أمم يشعر فيها حكامها المحليون باستغلال الاقتصاد العالمي وعدم قدرتهم على كسب الدعم العسكري ضد ما يعتبرونه الحكام الفاسدين الذين تساندهم الولايات المتحدة، والذين تغزوهم الصور الأمريكية للثقافة الشعبية في التلفزيون والإنترنت والسينما.

وكذلك أثارت العولمة الخوف بسبب ظهور مجتمعات متعددة الثقافات عن طريق التشتت العالمي للناس والثقافات والقول بأن السيطرة العسكرية والسياسية العالمية قد تحدد " النظام العالمي الجديد " وهذا هو الشبح المخيف الذي استغله أسامة ابن لادن وسواه من الناشطين الإسلاميين والذي دعا العديد من المواطنين المهتمين في العالم الإسلامي لرؤية ردة فعل أمريكا تجاه هجمات الحادي عشر من سبتمبر على أنها مغامرة إمبريالية وحرب غاشمة وليست غضبة محقة لضحية جريحة، وعندما جعل قادة الولايات المتحدة غزو واحتلال العراق جزءاً من حربها على الإرهاب صُوِّر هذا في العالم الإسلامي على أنه ذريعة للتوسع العالمي الأمريكي.

إن صورة الدور الأمريكي المشؤوم في إيجاد نظام عالمي جديد للعولمة تخيف بعض الجهات في الغرب، ففي أمريكا مثلاً أصيبت بالذعر حركة الهوية المسيحية ومنظمات الميليشيا المسيحية مما يتخيلونه مؤامرة عالمية

كبيرة للسيطرة على العالم بما فيهم سياسيون ليبراليون والأمم المتحدة كذلك. وكان كتاب تيموثي ماكفي المفضل " مذكرات تيرنر " وهو قائم على افتراض أن الولايات المتحدة قد رضخت بكل بلاهة لمؤامرة السيطرة العالمية والتي يجب أن تتحرر منها عن طريق الأعمال الإرهابية وفرق المغاوير، وفي اليابان دفعت نظرية مؤامرة مشابهة قادة حركة أوم شينريكيو أن يتنبأوا بحرب عالمية ثالثة مدمرة أريد لهجومهم بغاز الأعصاب في أنفاق طوكيو أن يلفتوا النظر إليها.

وبقدر ماهي بعيدة فكرة " النظام العالمي الجديد " للسيطرة على العالم يوجد شيء من الحقيقة بأن فكرة تكامل المجتمعات والتواصل بين اليائسين وعولمة الثقافة قد قربت بين العالم بشكل أشد، ورغم أنه من غير المحتمل أن تكون فئة من المخططين الحاقدين قد صممت هذا الاتجاه العالمي إلا أن تأثير العولمة على المجتمعات المحلية والهويات القومية كان مع ذلك عميقاً، فلقد قوَّضت العولمة الفكرةَ الحديثة للدولة القومية بتقديم أشكال لا قومية و إقليمية للتفاعل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتتشابك الراوابط الاجتماعية والاقتصادية العالمية للسكان في المدن العالمية المعاصرة بحيث أنها تحل محل فكرة العقد الاجتماعي القومي، وهي فكرة التنوير بأن الشعوب في مناطق معينة يرتبطون ببعضهم بشكل طبيعي في دولة قومية محددة، وفي عالم العولمة من الصعب القول أين تبدأ مناطق بعينها وأين تنتهي، ولهذا من الصعب القول في المجتمعات المتعددة الثقافات كيف يجب على المرء أن يعطي تعريفاً " للناس " في أمة معينة.

وهنا يتدخل الدين والعرقية لإعادة تعريف الجماعات العامة، إن تلاشي الدولة القومية وخيبة الأمل بالأشكال القديمة للقومية العلمانية قد ولدت كلاً من الفرصة لقوميات جديدة والحاجة إليها، ونشأت هذه الفرصة عندما بدت الأنظمة القديمة ضعيفة جداً واستمرت الحاجة للهوية القومية لأنه لم يظهر بعد بديل واحد للوئام الاجتماعي والانتماء يهيمن على الحياة العامة كما فعلت الدولة القومية في القرن العشرين، وقد ساعدت الأشكال التقليدية للهوية الاجتماعية وبشكل طريف على إنقاذ أحد المواضيع المركزية للحداثة الغربية وهي فكرة القومية، وفي الغياب المستمر لأي تحديد آخر للولاء والالتزام القومي فإن الأسس القديمة كالدين والعرقية والثقافة التقليدية قد أصبحت مصادر للهوية القومية.

ولهذا وفي المناخ السياسي المعاصر قدمت القومية الدينية والعرقية حلاً للقصور المشاهد في النمط الغربي للسياسة العلمانية، وعندما بدأت الروابط العلمانية بالتفكك في فترة ما بعد الاتحاد السوفيتي وما بعد الاستعمار بحث القادة المحليون عن مراس جديدة ليلقوا عليها هوياتهم الاجتماعية وولاءاتهم

السياسية، والشيء البارز في هذه الحركات الدينية العرقية هو إبداعها ليس فقط في استعمالها لتكنولوجيا ووسائل الإعلام الكبرى بل في إيجاد التناسب بين الدولة القومية والشبكات العالمية، ورغم أن كثيراً من صناع القوميات الجديدة قد غاصوا في التاريخ للعثور على صور ومفاهيم تعطيهم المصداقية فلا تعتبر جهودهم مجرد إعادة الحياة للأفكار القديمة من الماضي. إنها عقائد معاصرة تلبي الحاجات الاجتماعية والسياسية الراهنة.

وفي عرف العصرنة الغربية هذه فكرة ثورية ـ إذ أن الثقافة الأصلية تستطيع أن تقدم الأساس لمؤسسات سياسية جديدة بما فيها أشكال الدولة القومية التي بعثت من جديد، ولهذا فإن الحركات التي تؤيد القومية العرقية الدينية تكون غالباً صدامية وعنيفة، وهي ترفض التدخل الخارجي والعقائد التي تأتي منه ويخشى أن تصبح غير متسامحة، وتسعى لتلبية أصولها الثقافة الأصلية وتؤكد على حدودها الاجتماعية التقليدية، فلا عجب إذاً أنها تقع في المشاكل مع بعضها ومع المدافعين عن الدولة العلمانية، ومع ذلك حتى هذه الصراعات تؤدي غرضها لتلك الحركات فهي تساعد على تحديد هويتهم كشعب وتكشف كل شيء غريب عنهم، فهم على سبيل المثال ليسوا عصريين علمانيين.

ومن المفهوم إذاً أن هذه الحركات المناهضة للحداثة العلمانية الغربية تجمع بين النقيضين فيما يتعلق ـ بالحداثة، فيما إذا كانت بالضرورة غربية ودائماً شريرة، وهي متناقضة أيضاً فيما يتعلق بالمرحلة الأخيرة للحداثة أو ما يسمى بـ " ما بعد الحداثة " ألا وهي العولمة. فمن ناحية هذه الحركات السياسية المناهضة للحداثة هي ردود فعل لعولمة، الثقافة الغربية، فهي استجابات للقصور الذي يزينونه باسم النموذج العالمي للعالم بعناصره العلمانية ومجتمعه المدني الغربي، والموجودة ليس فقط في الغرب بل في كثير من بلدان العالم الثالث سابقاً، والتي ينظر إليها من قبل منتقصيهم على أنها من مخلفات الاستعمار، ومن الناحية الأخرى فإن هذه الهويات العرقية الدينية الجديدة هي بدائل للحداثة بسمات دولية تعلو على القوميات، وهذا يعني أن بعض الأشكال المناهضة للحداثة ستكون في المستقبل عالمية وبعضها سيكون شديد العدوى في مناهضته للعولمة ولكن بعض الأشكال الأخرى ستكون راضية بإيجاد حداثتها البديلة في الدول القومية الدينية العرقية.

ويحتوي كل من هذه الأشكال من المعاداة الدينية للحداثة علاقة متناقضة بين أشكال معينة من العولمة والقوميات الدينية والعرقية الآخذة بالظهور ومن سخرية التاريخ أن عولمة الثقافة وبروز المؤسسات الاقتصادية والسياسية عبر القارات تشدد على الحاجة للهويات المحلية وهي توجد أيضاً الرغبة بشكل محلي أكبر من السلطة والمحاسبة الاجتماعية.

وإن المشاكل الحاسمة في عصر العولمة هي الهوية والسيطرة، وهما مرتبطتان بحيث أن فقدان الشعور بالانتماء يؤدي إلى الشعور بشيء من العجز، وفي نفس الوقت ما ينظر إليه على أنه فقدان للإيمان بالقومية العلمانية يُرى على أنه فقدان للفعل والذات كذلك، ولهذه الأسباب يرتبط التأكيد على الأشكال التقليدية للهويات الدينية بمحاولات استعادة القوة الشخصية والثقافية، وإن الهيجان الحاقد المناهض للحداثة في أحداث الإرهاب الديني التي حدثت في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين ينظر إليها على أنها محاولات مأساوية لاستعادة السيطرة الاجتماعية عن طريق أعمال العنف، وإلى أن يوجد إحساس أكيد بالمواطنة في النظام العالمي ستستمر الرؤى الدينية للنظام الأخلاقي في الظهور كحلول جذابة لمشاكل السلطة والهوية والانتماء في عالم عالمي، رغم أنها غالباً ما تكون مشتتة وممزقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب والسلم في الإسلام

الشيخ صلاح الدين كفتارو
المدير العام لمجمع الشيخ أحمد كفتارو بدمشق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وبعد:

(الإسلام دين السيف)، (تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح)، (يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين حيث وجدهم، لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني).

هذه المقولات وغيرها هي البضاعة الرائجة في أسواق الفكر السائد في بلدان العالم الغربي، وهي الأساس في فهم العالم الإسلامي الذي بات يشكل أهمية في عالم ما بعد الحرب الباردة، وعليها تبنى السياسات الخارجية لأكثر دول الغرب فيما يبدو، فهل هي مقولات مطابقة للحقيقة والواقع؟

بالعودة إلى مصادر الفقه الإسلامي نجد ما يأتي:

دعا الإسلام إلى السلام دعوة واضحة وصريحة، وجعله أساس العلاقات الدولية، فالسلام في الإسلام اسم من أسماء الله تعالى، وهو تحية المؤمنين فيما بينهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة حيث يقول القرآن: (تحيتهم يوم يلقونه سلام بأن لا)، والنبي محمد (صلا الله عليه وسلم) يقول: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» رواه النسائي (4995).

ونجد القرآن الكريم يأمر المسلم في علاقاته الفردية أو الجماعية لا أن يحرص على السلم فقط، بل أن يرتقي من مرحلة العدل إلى مرحلة الإحسان، فلا يقابل السيئة بالسيئة، ولا يقابل السيئة بالحسنة، بل يقابل السيئة بالتي هي أحسن، إذ يقول تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) [فصلت: 34].

وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة في القرن العشرين يدعو إلى مبدأ السلام والتعايش السلمي، دعوة خالية من المضمون، في منظمة تقر بوجود دول ذات وضع متميز بما يتناقض مع المساواة الإنسانية، إذا كان ذلك الميثاق دعا إلى ذلك فقد دعا إليه الإسلام دعوة مقرونة بالواقع فرقي بالإنسانية إلى هذا المستوى حقيقة منذ القرن السابع الميلادي حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) [البقرة: 208]، ويقول جل شأنه: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) [الأنفال: 61].

وفي الوقت نفسه يعلم الإسلام المسلم أن يكون عزيزاً فلا يرضى بسلام شكلي يفرضه القوي على الضعيف، ولا بسلام الأذلاء، بل يطالبه أن يعيش سلام العزة والكرامة فيقول تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) [المنافقون: 8].

أما إدخال الناس في الإسلام بالقوة والإكراه فهذا ما لا يرتضيه الإسلام، حيث تقول الآية القرآنية: (لا إكراه في الدين) [البقرة: 256]، وإذا كان هناك من الأقوال ما يقول بنسخ هذه الآية فإن التحقيق يدل على أنها غير منسوخة (انظر: الحرب وآثارها للدكتور وهبة الزحيلي) وقد حاول بعض الصحابة إجبار أقاربهم على الدخول في الإسلام فنهاهم النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك.

ورب قائل يقول: أليس تاريخ الإسلام مليئاً بالحروب والغزوات؟ وهنا نسأل في المقابل وأي أمة لم يكن تاريخها مليئاً بالحروب والغزوات؟ إن الأمم متفقة في زماننا هذا على أنه من حق كل دولة أن تبني لنفسها الجيش الذي يدافع عنها، ويحمي أرضها، ويصون كرامتها، وهذا ما لا يختلف حوله اثنان.

وإذا رجعنا إلى تاريخ القتال في الإسلام، وجدنا أن الإسلام أمر أتباعه بداية بالصبر على أذى أعدائهم، ولمَّا أخرج المسلمون من ديارهم في مكة، وسُرِقَت أموالُهُم وبيوتهم أذن لهم بالقتال دفاعاً عن أنفسهم، واسترداداً لحقوقهم المستلبة، فقال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) [الحج: 39-40]، فقام المسلمون بحرب اقتصادية على قوافل قريش التجارية ليستردوا ما سرق من حقوقهم.

ولم تكن الحرب ضد غير قريش من العرب أو الشعوب الأخرى إلا دفاعاً عن الإسلام الذي استهدفته القوى المختلفة داخل الجزيرة العربية وخارجها كما يروي التاريخ.

ورغم ذلك فقد علَّم الله تعالى المسلمين أن لهذه الحرب آداباً وقوانين يجب مراعاتها، وأنها حرب دفاع عن الكرامة لا حرب عداون، فقال: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم) [البقرة: 190-192]، ثم يبين هدفاً آخر للقتال، وهو الحفاظ على حرية الاعتقاد، وأن يكون الدين لله وحده، فلا يفتن أحد عن دينه بالإكراه، فيقول: (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) [البقرة: 193]. وهكذا يبين القرآن الكريم أن الحرب كانت للدفاع ورد العدوان، فلما انتهى العدوان انتهت الحرب، إذ لا عدوان إلا على الظالمين، وليس هناك حرب على الأبرياء، كما بيّن في موضع آخر فقال: (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً) [النساء: 90].

ومن الطريف هنا أن نذكر تلك القصة التي تروى عن إبليس: أن رجلاً رآه فسأله: هل تحفظ شيئاً من القرآن الكريم؟ قال إبليس: نعم، أحفظ: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) [النساء: 43/4]. ولم يكمل تتمة الآية وهي بتمامها: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون).

وعلى هذا النهج الإبليسي نرى بعضهم يقرأ قوله تعالى: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) منفصلة عما قبلها وعمّا بعدها، ليبرهن على أن الإسلام دين القتل والعدوان.

أو كما يوصم الإسلام بتهمة الإرهاب وقتل الأبرياء مع أن النص القرآني الصريح يقول: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً

ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً).

والحقيقة أننا إذا حسبنا عدد القتلى من المسلمين وغير المسلمين في جميع المعارك في زمن نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) نجده لا يتجاوز (440) قتيلاً فقط من كلا الطرفين، فهل هذا هو عدد قتلى العدوان على العراق وشعبه، وهل هذا هو عدد قتلى فيتنام وناكازاكي وهيروشيما والهنود الحمر وشعب فلسطين والشعب الأوروبي الذي عانى ويلات النازية ؟ وهل هذا هو عدد قتلى الاحتلال الأوربي والحملات الصليبية للبلدان العربية؟ علماً بأن هذه الحملات قامت باسم المسيح، ونحن نقول إن المسيح بريء من هذه الجرائم في بلادنا، فهو رسول السلام والمحبة كجميع إخوانه من الأنبياء، كما يعلمنا ديننا وقرآننا.

كما يعلمنا القرآن أيضاً أن نحافظ على العلاقة الطيبة مع شعوب الدول المحاربة، وألا نأخذ الأبرياء بجريرة المجرمين، إذ يقول: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) [الممتحنة: 8-9].

فهل يمكن القول بعد ذلك إن الفتح الإسلامي كان نوعاً من الاستعمار ؟!...

ولننظر بعد ذلك إلى هذه الحادثة التي تبين لنا حرص المسلمين على تطبيق مبادئ الحق والعدالة، مما جعل الشعوب التي فُتِحت بلادها ترحب بهم، بل وتحارب معهم ضد حكامها الذين كانوا يحكمونهم بالجور والظلم فنقلهم الإسلام إلى الحرية والعدل، فقد ذكر التاريخ أن المسلمين فتحوا مدينة حمص في بلاد الشام، ثم اضطروا لأسباب تكتيكية للانسحاب منها جنوباً نحو اليرموك، فجاء أهل حمص إلى قائد المسلمين أبي عبيدة بن الجراح وهم يبكون وقالوا: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا وأنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم –أي الروم– غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا) وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، فهل قبل سكان حمص بفتح الإسلام بالقهر والسيف، أم قبلوا عن قناعة ومحبة ورضا؟

وإن نظرنا إلى سياسة الاستعمار في شعوب العالم نراها تتلخص بثلاث كلمات وهي إشاعة (الفقر والجهل والمرض) وهو ما رأيناه في بلادنا عندما كانت مستعمرة من العالم الغربي، أما الإسلام فقد نشر الغنى في البلاد حتى كانت أموال الزكاة تطوف العالم الإسلامي فلا تجد من يحتاجها، ونشر العلم حتى سمعنا بأسماء كبار العلماء من البلاد المفتوحة من أمثال: البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي والنسائي والطبري والرازي وابن سينا والفارابي، كما نجد كبار الشخصيات في الحكم والسياسة والقيادة كلهم من أبناء تلك البلاد المفتوحة، ونجد تقدماً كبيراً في الصحة وعلم الطب حتى كان كتاب القانون لابن سينا يدرس في جامعات أوربة إلى ما قبل قرن من الزمن فقط.

وقد لخّص الخليفة الأول أبو بكر الصديق آداب القتال في وصية لجيش أسامة بن زيد حيث قال: (يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني:

لا تخونوا، ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً

كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً)

ولنا أن نتساءل أخيراً لو أن الغزاة والمحتلين في هذا العصر كانت قد وجهت إليهم مثل هذه الوصايا الخالدة والتي تؤكد أن الإسلام هو دين الرحمة والعدل حيث حدد الله مهمة نبي الإسلام في القرآن فقال: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

ما أحرانا أن يفهم كل منا الآخر وأن نكون أمناء على التاريخ حتى لا نضلل الأجيال وأن ننصف الإسلام مما اتهم به من إرهاب وتطرف، فلا لون للإرهاب ولا هوية للتطرف وإن المتطرفين الذين يدعون انتسابهم للإسلام.. الإسلام بريء منهم ومن فكرهم المريض وما جنت أيديهم من آثام.

ما أحرانا أن نتعاون ونعزز من قواسمنا المشتركة الدينية والأخلاقية والإنسانية، في هذا العصر الذي كثرت فيه المظالم وزورت فيه الحقائق لنكون ورثة الأنبياء والصالحين في معالجة الأمراض بين ظهرانينا، ما أحرانا أن نستجيب لنداء الله: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

أؤكد أيها الأخوة أننا كمسلمين نحب الحياة كما تحبون، ونحن كأي شعب في الدنيا يريد أن يعيش حراً كريماً خياره السلام والدفاع عن أرضه وماله ونفسه.

والحمد لله رب العالمين

الحرب والعنف في الأرض المقدسة ـ رؤية رجل ياباني للقدس

أكيرا أوسوكي (Akira Usuki)
المتحف القومي للأثنولوجيا

أود مناقشة أصول العنف المستمر في القدس مستخدماً كتاب رحلات مصور لرحلة حج إلى القدس كتبه مسيحي ياباني (وسأستخدمه كنقطة انطلاق) وأريد أن أركز بشكل خاص على مهرجان شعبي في فصل الربيع يحتفل به المسلمون في القدس ويسمونه ((موسم النبي موسى)) بالعربية وهذا المهرجان يقع في شهر أبريل قريباً من نفس موعد عيد الفصح المسيحي وعيد الفصح اليهودي. والمسيحي الذي سأتحدث عنه هو الروائي كنجيرو توكوتومي (1868 ـ 1927) المعروف أيضاً باسم روكا توكوتومي وهو كاتب يمثل عهد أسرة ميجي (1868 ـ 1912). وقد عرف بروايته التي حققت أفضل المبيعات واسمها هوتوتوغيسو (ومعناها حرفياً طائر الوقواق) وروايته المسماة " الطبيعة والحياة " وهو كذلك خريج جامعة دوشيشا، وقد كان عضواً في أول جماعة يابانية هي دفعة كومامونو التي انبثقت عنها جامعة دوشيشا.

إنني أدرك أن رحلات روكا إلى القدس لم تعد موضوعاً محبباً. ولكن يبدو أن من المناسب في زماننا هذا أن نلقي نظرة جديدة على الفارق ما بين مدينة القدس التي أعجب بها وبين حقيقة كونها مدينة ملأى بالشر. ويبدو أن كثيراً من المسيحيين لا ينظرون مباشرة إلى حقيقة القدس بل يرون المدينة من خلال معتقداتهم، وما يرونه قد يؤدي إلى تدخلهم بالشؤون الاجتماعية والسياسية للمنطقة من أجل دوافعهم الدينية المحضة مما يؤدي إلى عواقب وخيمة في بعض الحالات.

قام روكا بالحج مرتين إلى القدس أثناء حياته، كانت الأولى عندما كان في الثامنة والثلاثوين من عمره عقب الحرب الروسية ـ اليابانية ـ التي دامت حوالي ثلاثة أسابيع من 23 مايو إلى 14 يونية 1906 والدافع الإضافي لحجه الأول كان زيارة عملاق الأدب الروسي تولستوي في طريق عودته من الرحلة، وقام بالحجة الثانية في الواحد والخمسين من عمره بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة أثناء قيامه برحلة حول العالم مع زوجته (آيكو)، أيضًا زيارته استغرقت حوالي عشرة أسابيع من 30 مارس إلى 17 يونية 1919 وقد ضمنها زيارته إلى سورية، وبعد إقامة قصيرة في فلسطين زار القدس في شهر أبريل في موعد عيد الفصح.

نشر كتاب الرحلات المصور عن حجته الأولى تحت عنوان " كتاب رحلات عن الحج " بينما كان عنوان الكتاب الثاني (من اليابان وإلى اليابان). إن

كل واحدة من هذه الرحلات يمكن العثور عليها في مجموعة أعمال روكا البالغة عشرين مجلداً، وأول كتاب رحلات مصور متوفر أيضاً بغلاف رقيق (طبعة رخيصة) مما يجعله أكثر كتب المؤلف سهولة في الوصول إليه لكن الثاني هو عمل كبير يستوعب ثلاث مجلدات من مجموعة أعمال المؤلف. وإن العنوان الغريب يشير إلى رحلته حول الكرة الأرضية ويعني أنه غادر اليابان من أجل حجه إلى المدينة المقدسة وعاد إلى اليابان عن طريق أوربا والولايات المتحدة.

لقد قام روكا برحلتيه إلى المدينة المقدسة في فترات مهمة جداً من تاريخ القدس ففي زمن الرحلة الأولى كان الحكم الفردي للسلطان عبد الحميد الثاني (الذي عاش ما بين 1842 ــ 1918 وحكم من 1876 إلى 1909) يقترب من نهايته في الإمبراطورية العثمانية، لقد كانت الرحلة مباشرة قبل ثورة تركيا الفتاة عام 1908 وتنازل السلطان عن العرش، وعندما قام روكا برحلته الثانية كانت القدس محتلة من قبل القوات البريطانية، وكانت الإمبراطورية العثمانية التي كانت متحالفة مع ألمانيا قد خسرت الحرب العالمية الأولى تلك الحرب التي وقعت في والرهيبة في أوائل القرن العشرين، لقد كانت فترة اضطراب وتحول كبيرين مع نشوء نظام جديد على المستوى المحلي والدولي، وفي حينها كان يجري مؤتمر سلام في قصر فرساي بباريس، وفي حوالي تلك الفترة أسست الأنظمة القومية لبلدان الشرق الأوسط.

وأرغب اليوم أن أركز على رحلة روكا الثانية إلى المدينة المقدسة لسببين الأول هو أن تلك الرحلة تمت في نفس الوقت الذي فصلت فيه فلسطين لأول مرة في تاريخها عن بلاد الشام لتصبح وحدة إدارية مستقلة تحت الانتداب البريطاني لفلسطين وبذلك بدأت مرحلة من ثورات عربية فلسطينية متكررة ضد الحكم البريطاني، وفيما بعد ضد الهجرة أو الاستعمار من قبل الصهاينة واليهود. ويعود تاريخ القضية الفلسطينية غير المستقرة وتبادل العنف الجاري حالياً إلى ذلك الوقت.

والسبب الثاني يرتبط بحقيقة أنه في خلال تلك الفترة قبلت اليابان عضواً دائماً في عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى وأخذت مكانها بين القوى العظمى في العالم. وتمثل تلك الحالة الوضع الحالي لليابان حيث تجد نفسها وهي ترسل قوات دفاعها عن نفسها إلى العراق، أنها على مفترق طرق وتكاد أن تنحرف عن المسار الذي سلكته منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقبيل انطلاقه في رحلته الثانية إلى فلسطين كان روكا قد فقد والده عام 1914 م وعاد إلى المسيحية، إلا أن عودته هذه مثيرة للجدل نوعاً ما، ففي السيرة ذائعة الصيت للعالم الأدبي يوشيو ناكانو يصف الكاتب مسيحية روكا قبل عودته بأنها إعجاب قوي بالمسيح ككائن بشري، وقراءة مخلصة للكتاب المقدس، وخصوصاً أناجيل العهد

الجديد، ولكن يقال إن كل هذا قد تغير بعودته الثانية إلى المسيحية، ويبين الكاتب في الكتاب ذاته بأن روكا قد انطلق في طريق واهم يعتقد فيه أنه أقدم خلقاً من الآخرين موجداً بذلك مسيحيته الخاصة غير المنضبطة مهما كانت النتائج، ويجد ناكانو في تلك الأمور إضافة إلى إنكاره للصليب الخصائص الرئيسة لممارسات الكاتب الراوئي الدينية، وهناك في الحقيقة بعض النقاد الذين يتساءلون عما إذا كانت عقيدة روكا بإهمالها الملحوظ للصليب يمكن أن تعتبر مسيحية رغم كل ذلك.

في الثاني والعشرين من أبريل 1919م وبعد عيد الفصح مباشرة أرسل روكا، الذي كان موجوداً في فلسطين في ذلك الوقت، رسائل مفتوحة إلى كينموشي وسايونجي ولأشخاص آخرين ممثلين لبلادهم ممن كانوا مشاركين في مؤتمر باريس للسلام، كما أرسل إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا و وودرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة، وحتى إلى الجنرال ادموند اللنبي القائد العام للقوات البريطانية التي تحتل فلسطين، وبالطبع فقد أهمل الجميع تلك الرسائل ماعدا رئيس الولايات المتحدة، وفي رسالته إلى الجنرال اللنبي قدم روكا ما يلي كسبب لزيارته إلى القدس، وهذه الرسالة التي كتبت في مدينه الناصرة قد أدرجت بدون تعديل في كتابه:

" لقد انتهت الحرب المذهلة (الحرب العالمية الأولى) وها نحن قد أتينا. أعلم أنكم مسيحيون طيبون، نحن أيضاً نحب المسيح ونؤمن به إيماناً كاملاً، هنا في مدينة الناصرة حيث أمضى ثلاثين سنة من حياته الجسدية، وهو يتأمل حال البشر، وكان ذلك قبل 1900 سنة ؟ لا بل يبدو لي أن ذلك كان بالأمس فقط، لقد توصلت إلى نتيجة وهي أنه في هذه اللحظة يجب أن يظهر (المسيح) ثانية ليقيم مملكة الله في العالم فلا الحرب ولا مؤتمر السلام (مؤتمر باريس للسلام) ولا أي شيء ولا أي أحد بإمكانه أن يجدد حياة الأرض، لا أحد إلا هو (يسوع المسيح) بإمكانه أن يصلح العالم.

لا بد أن يأتي ليس بالروح بل بلحمه ودمه، وما تم الوعد به في الكتاب المقدس سيتحقق ليس في المستقبل الغامض بل في الحاضر الحي، لقد اكتفينا من الصليب، من يسوع الميت ومن يسوع المحتضر، لا بل لقد كان ذلك أكثر مما ينبغي. لقد اعترفنا بأننا مسيحيون طوال تسعة عشر قرناً، و مع ذلك لم نفعل شيئاً إلا أن نصلبه مراراً و تكراراً.

فهل سنصلبه إلى الأبد؟ لا أيها الجنرال إن حكم الصليب يجب أن ينتهي لأنه بالتأكيد يعني حكم الشر، في الواقع لقد حكم الشيطان مدة أطول من اللازم . ليذهب الصليب لا نريد مزيداً من المسيح النازف! تباً للموت بآلامه ولتسطع الحياة بمباهجها وبهائها، علينا أن لا نتعلق بعد الآن بالصليب، يسوع الحي، يسوع الذي رفع يجب أن نتطلع إليه، حرب دموية لا مثيل لها في تاريخ البشرية قد انتهت . ياله من صليب هائل . ليسقط الصليب.

لقد انقضت تقريباً ألفا سنة منذ ظهوره الأول هنا (في الناصرة) ألم يحن الوقت ليتعلم العالم أن يتصرفوا بشكل أفضل هذه المرة ؟

بالتأكيد يجب أن يأتي أمير السلام. إن حقبة جديدة يجب أن تبدأ .

من المعلوم أن القدس ينظر إليها بقداسة لدى كل من اليهودية والمسيحية والإسلام، فهي بالنسبة لليهود المكان المقدس لحائط المبكى الحائط الغربي للمعبد الثاني، وبالنسبة للمسيحيين هي موضع كنيسة الضريح المقدس حيث صلب المسيح. وبالنسبة للمسلمين هي موقع قبة الصخرة المباركة التي عرج منها النبي محمد (صلي الله عليه وسلم) إلى السماء بعد رحلة الإسراء وهي المكان المقدس المسمى بالحرم الشريف حيث يوجد المسجد الأقصى، ولكونها مكاناً مقدساً مشتركاً لأديان التوحيد الثلاثة فهذا يعطي القدس ميزة فريدة . ولكن من المشكوك فيه أن روكا الذي كان مسيحياً بطريقته اليابانية المميزة، قد فهم هذه الميزة الفريدة للمدينة المقدسة، وفي مواقفه كان يكره شوارع القدس القديمة وأصبح منحازاً بشكل كبير ضد اليهودية وضد الإسلام، وعلى سبيل المثال يقدم روكا وصفاً للحي اليهودي في القدس في كتابه" كتاب الرحلات عن الحج" فيقول:

" أتيت إلى سوق في هذه المنطقة اليهودية ورأيت خروفاً معلقاً والذباب متراكم حول ملتقى فخذيه، رأيت عجوزاً يجلس متربعاً أمام دكانه الصغير الكئيب مثل الكهف وهو يخيط حذاء جلدياً بلون أحمر غامق رأيت عنزة متسخة مربوطة في وسط الشارع، كل شيء كان قذراً. بينما المنظر خارج أسوار مدينة القدس منظر خلاب، وإن نظرة خاطفة إلى داخل تلك الأسوار ستجعلك تتمنى أن تحرق المدينة حتى لا يبقى منها شيء "(في النسخة ذات الغلاف الرقيق ص 61ـ 62).

من الواضح أن روكا كان يقدر المنظر الجميل خارج أسوار المدينة ولكنه قد أحس بخيبة الأمل لرؤية القذارة بداخلها إلى الحد الذي لم يستطع معه إلا أن يقول بأنه يجب إحراق كل شيء بداخلها.

وقد علق في كتاب آخر على المسلمين قائلاً: " إن الدين الذي ابتدعه محمد هو دين كراهية، وهو مبني على روح الصراع والشعور بالظلم، ومحمد الذي ولد بعد المسيح بستمائة عام ورث مزاجاً عربياً خشناً، ولكنه لم يستطع أن يرث حقه في ممتلكات عائلته لأنه كان طفلاً غير شرعي، لقد لعن قدره وكان يحقد على والده وكان يغار من إخوته، وكان يتبع أحاسيسه المظلمة التي جعلته إلى حد ما مشابهاً لقابيل وإسماعيل وعيسى، إن الإسلام ليس أبداً دين سلام. فقد حارب محمد أباه وإخوته وخلف تراثاً من العنف ظل صامداً عبر العصور من زمن النبي وزمن الحروب الصليبية، وقد ظهر ذلك في مجموعات مختلفة من الشخصيات في كل جيل". (مجموعة أعمال روكا، المجلد 12، ص 249).

إلا أن الهجوم الأشد لروكا كان على العرب الذين يعيشون في القدس: " أينما ذهبت كنت أسمع أصواتاً عربية تقول بقشيش، أي (أعطني نقوداً يا سيدي)،

لقد كنت دائماً أحس أن الناس الذين يقطنون حول الأماكن المقدسة ويميلون إلى أن يكونوا غير لطفاء، ووجدت أولئك الذين يتمشون حول القدس هم كذلك بشكل مميز،أجل تعرف الأماكن المقدسة بجذبها لكل أنواع الناس، ولكنني ذهلت كثيراً عندما وجدت العديد من سكان القدس لا يخجلون من كونهم متسولين مما جعلني أحس بالتقزز من هذه المدينة، لقد كانوا متحفزين للخطف والخداع والغش ويفكرون دائمًا كيف يحتالون على شخص ما ليأخذوا ماله، لقد كان هناك أتراك ويهود وسوريون وعرب وحتى قساوسة من القوقاز ذوي العيون الخضراء الذين تتدلى من رقابهم الصلبان أو يمسكون السبحات في أيديهم، إن معظم هؤلاء الناس كانوا لصوصاً محتملين أو مخادعين أو ينتمون إلى عناصر إجرامية أخرى، والصفحات 406 ـــ 407 من كتاب ذكريات من فلسطين المجلد رقم 10 من الأعمال الكاملة المسماة (الولادة الجديدة) تظهر ازدياد قرف روكا الذي أدى به ليعلن أنه يكره كل الناس في القدس.

المشكلة الكبرى في وصفه هي أنه أحادي النظرة، وفي نظرته تحيز واضح تماماً ضد اليهود والمسلمين كما ورد أعلاه. ولكن لا يمكننا القول أن مثل هذه النظرة الأحادية الجانب هي غلطته كلياً، لكن ينبغي علينا أن ننتبه إلى حقيقة أنه في زمانه كان المثقفون المسيحيون اليابانيون يعتمدون اعتماداً شبه كامل على المعلومات الأجنبية الواردة عبر أقنية غربية، ولا بد أن هذا قد لعب دوراً في تشويه تصوره لمثل هؤلاء الناس، وينبغي التنبه في حالة روكا إلى أن اعتقاده المسيحي كان يدور خارج نطاق الكنيسة.

وبغض النظر عن تحيز روكا ضد اليهودية والإسلام فإني أرغب أن أقدم وصفاً آخر مرتبطاً بقضية القدس. إنه حول مهرجان النبي موسى الذي ذكرته في البداية. كتب روكا السطور التالية في الحادي عشر من أبريل عام 1919م:

كانت الساعة العاشرة صباحاً عندما سمعت ضجيجاً من الشارع في الخارج بينما كنت أكتب في غرفتي، وفي الحال اندفعت أنا وزوجتي إلى الشرفة في غرفة الضيوف الصغيرة التي كانت أفضل مكان لنرى المكان داخل وخارج بوابة جَها (بوابة الشارع القديم في القدس المحاطة بأسوار المدينة). وعندما نظرت إلى الأسفل رأيت سبعة أعلام حمراء وبيضاء،عليها حروف عربية مطرزة، كانت الأعلام تدخل عبر البوابة، وكان هناك موسيقيون يقرعون أربعة طبول وسبعة أجراس وطبلاً مسطحاً (دف) كانوا يقرعونها ليصدروا أصواتاً مرحة، وكان يتبع هؤلاء مئات من الرجال العرب داكني البشرة وكل منهم يرتدي قبعة بيضاء عليها لغة بلون مختلف وقماش خشن يشبه الجلد، كانوا يمشون وهم ينشدون ويصفقون بأيديهم.

ومن حين لآخر كان بعض الكبار الذين يحملون عصياً من الخيزران يجثمون أمام زملائهم في المسيرة رافعين عصيهم محاولين بذلك إيقاف المسيرة

وكأنهم يحاولون جعل المسيرة تبطئ قليلاً، لكن الرجال العرب كانوا يتجاهلون الكبار وهم يدفعونهم أمامهم في طريقهم ويستمرون في الاندفاع إلى الأمام،وكانت حشود كبيرة من المتفرجين يسيرون أيضاً مع المسيرة الجريئة، كانوا رجالاً ونساء يمشون أمام وخلف الاستعراض ليزيدوا من ضخامة المسيرة.

هذا الحشد الصاخب ذكرني بتظاهرة مصرية رأيتها في القاهرة (يشير روكا هنا إلى تظاهرة ثورية رآها في مصر عام 1919 حيث توقف ليحصل على تأشيرة سفر إلى فلسطين)، هل كانت هذه تظاهرة أم مهرجاناً ؟ كان الناس يغنون ويهتفون ويتوقفون ويلوحون للصخب المندفع ببطء الذي كان على وشك أن يمر تحت شرفتنا، وهنا سحب بعض الرجال المهتاجين ضمن الزحام سيوفهم وهم يرقصون ويلوحون بسيوفهم وهم يمرون أمامنا، وفي بضع دقائق مر الاستعراض عبر شارع السوق الضيق وانطلقوا نحو مسجد عمر، كان هذا اليوم يوم عطلة إسلامية وقال الناس إن الجمهور سيسيرون في ساحة المعبد ويذهبون إلى أريحا ليصلوا إلى قبر النبي موسى، وكان هناك بعض الإشاعات المتعلقة بأعمالهم العدوانية لذلك نصحت زوجتي ألا تخرج، كنت أعتقد بأن القوات الإنكليزية ستحول دون أي حوداث ولكني على كل حال منعت زوجتي من الخروج.

كان عيد الفصح يقترب واليهود يريدون الاحتفال بفصحهم خلال الفترة نفسها. ولعلمهم بذلك تحدى المسلمون خصومهم إلى صراع ديني بأن بدؤوا هم أولاً (صفحة 268 من المجلد رقم 12 من الأعمال الكاملة لكتاب الرحلات).

يصف المقطع السابق مشهد الاحتفال أو موسم النبي موسى، كان الموسم يستمر من الحادي عشر من شهر أبريل (وهو يوم جمعة) إلى اليوم الثامن عشر (وهو كذلك يوم جمعة) قبل الفصح المسيحي، وهذا الموسم كان يحتفل به المسلمون الذين يقطنون في مدينة القدس وما حولها، وقع عيد الفصح المسيحي في ذلك العام في العشرين من أبريل (يوم أحد) بينما بدأ الفصح اليهودي مساء الرابع عشر من أبريل.

موسم النبي موسى يعود بتاريخ نشأته إلى أيام صلاح الدين وهو بطل مسلم حرر القدس من اضطهاد الصليبيين في القرن الثاني عشر، ويقال إن صلاح الدين جعل الموسم الإسلامي في نفس موعد الفصح المسيحي وفي الوقت نفسه سمح للمسيحيين بزيارة القدس بعد التحرير ليحتفلوا بعيدهم، وفي الحقيقة بينما يسود الاعتقاد أن جبل نيبو على الطرف الآخر من نهر الأردن، الذي هو الآن جزء من دولة الأردن، هو مكان وفاة النبي موسى إلا أن التقاليد الشعبية الإسلامية تقول إن قبر النبي موسى موجود على الطريق بين القدس وأريحا وهو المكان الصحيح لقبره.

عيد أو موسم النبي موسى هو مهرجان ربيعي معروف لدى الفلسطينيين القاطنين حول القدس منذ القرن الثاني عشر. ولقد كانت عائلة الحسيني هي

المضيف لهذا المهرجان وهي إحدى العائلات الفلسطينية العريقة في القدس. يحضر المسلمون المتجمعون من المناطق المحيطة بالقدس صلاة الجمعة في المسجد الأقصى بالمدينة القديمة ثم يسيرون مسافة 20 كيلو متراً في مسيرة تتجه نحو قبر النبي موسى الواقع في وادي الأردن بالقرب من بلدة أريحا، وكانت عائلة الحسيني تقود تلك المسيرة ويتبعها فرق الصوفية المسلمين أو أعلام الأولياء التي تمثل مدنهم وقبائلهم، وهم يقرعون الطبول بصخب، وبعضهم يرقصون أيضاً وهم يشقون طريقهم نحو قبر النبي موسى.

على أي حال وفي السنة التي تلت زيارة روكا تحول عيد النبي موسى إلى ذعر شديد. وقع موسم النبي موسى والفصح اليهودي والفصح المسيحي كلها في الأسبوع الأول من أبريل وسط عداء متزايد بين العرب والمسلمين تجاه إنكلترا والصهيونية، ولسوء الحظ في ذلك الوقت تسلل عدد من الصهاينة اليهود المنتمين إلى جماعة سياسية اسمها بيتار إلى صفوف المسيرة محاولين خطف الأعلام المقدسة وانخرطوا في مشاجرة صغيرة، وقد تبين أن هذه الجماعة تؤمن بالصهيونية التطويرية والتي كانت بداية تأليف حركة الليكود الحالية وهي منظمة شبابية يمينية متطرفة مكرسة لإنشاء دولة يهودية. وقد تطور هذا الحدث فيما بعد إلى أول انتفاضة عربية في تاريخ فلسطين الحديث وانتشر في كل أنحاء فلسطين. ومنذ ذلك الحين شهدت فلسطين، انتفاضات مشابهة ظلت تتكرر وتتكرر حتى وقتنا الحاضر.

في الواقع نتج عن تلك المناوشة خلال المهرجان تطور المواجهات بين المسلمين واليهود وتحولت إلى عنف طويل الأمد لا يتوقف، وبالتالي أصدرت حكومة الانتداب البريطاني حظراً على المهرجان السنوي في عام 1937م بسبب خوف عميق بأنه قد يتطور إلى ثورة عربية، ولقد كان سؤال روكا حول المهرجان في محله عندما سألت:" هل هذه تظاهرة أم مهرجان؟". وأنا أعتقد أن العرب في فلسطين كانوا يظهرون غضبهم العرقي الطبيعي ومقاومتهم للاحتلال من قبل الجنود البريطانيين منذ البداية.

إن موسم النبي موسى هو حالة نموذجية للاحتفال باعتقاد تقليدي يتحول إلى قضية لمواجهة سياسية، ولكن من الناحية التاريخية قدم المهرجان فرصة ثمينة في كل عام ليس فقط لسكان القدس بل لكل العرب الفلسطينيين أو للمسلمين والمسيحيين ويهود السفارديم (اليهود الشرقيين) الذين هاجروا من شبه الجزيرة الايبيرية إلى مستوطنات خلال فترة (إعادة الغزو) ليدركوا أنهم جميعاً يتقاسمون مكان عيش مشترك، أي أن الاحتفال كان رمزاً للتعايش الإسلامي المسيحي اليهودي في القدس، إلا أن السياسيين الفلسطينيين (مثل عائلة الحسيني التي تستضيف الموسم) بدأوا يستخدمون تلك المناسبة لأغراض سياسية محولين إياها إلى غليان جماهيري ضد اليهودية، مما نتج عنه أن الصهاينة اليهود المهاجرين

حديثاً اضطروا لتعطيل المهرجان باسم الدفاع عن النفس، وهكـذا فـإن نموذجـاً للعنف المتزايد قد نشأ بسبب المهرجان نفسه.

كانت القدس ملاذاً وملجأ، وفي زمن رحلة روكا في أوائل القرن العشـرين كانت أخطر قضية هي مذبحة الأرض في الإمبراطورية العثمانية التي فـرّ فيهـا كثير من الأرمن إلى القدس، وبالطبع كان روكا يشير إلى الأرمن في كتاباته رغم أنه يبدو أن لديه فكرة ضئيلة جداً عن تفاصيل المذبحة.

لقد منع موسم النبي موسى من قبل الانتداب البريطاني في عـام 1937م. وكان هذا وسط انتفاضة عربية بدأت في شهر أبريـل 1936م وكانـت مقاومـة مسلحة شبيهة بانتفاضة الوقت الحاضر، وبقي الحظر على ((الموسم)) نافذاً حتـى بعدما ألحقت القدس الشرقية والمدينة القديمة بالأردن بعد أول حرب فـي الشـرق الأوسط وبالتالي أصبحت تحت سيطرة الحكم الإسرائيلي بعد الحرب الثالثـة فـي الشرق الأوسط عام 1967م.

وختاماً فقد كانت هناك بوادر للتجديد في عام 1987م لكنها لم تأت بنتـائج بسبب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في فلسطين. لكن المد بدأ يتحول مـع توقيـع اتفاق أوسلو في 13 سبتمبر 1993م. وقد سمعت أن موسـم النبـي موسـى قـد استؤنف عام 1997م. ولكن تظاهرة الحج إلى قبر النبي موسى منعت فـي ربيـع السنة التالية وتم المنع هذه المرة من قبل السـلطات الإسـرائيلية بعـد انتفاضـة الأقصى التي اندلعت في سبتمبر عام 2000 م بحجة أن السلطة الفلسـطينية قـد تستغل المناسبة لأغراض سياسية، وبالغزو الإسرائيلي لمناطق الحكم الذاتي فـي نهاية مارس 2001م وفي أعقاب اعتداء أيلول في نيويورك فـإن احتمـال تجـدد المسيرة يبدو أنه قد أصبح بعيداً جداً.

لقد حاولت إثارة القضيتين المرتبطتين بهـذا الموضـوع: الأولـى حـول مقتضيات حقيقة أن شخصاً لديه أفكار دينية مثل روكا غالباً مـا يخلـق تصـوره الذهني المثالي عن القدس على أنها موقع مقدس، وينظر إليها من الخـارج علـى ضوء هذه المثالية، والقضية الثانية ترتبط بكيفية أن أحداثاً طقوسية سنوية قديمة أو معاصرة مغروسة في المعتقدات الشعبية التقليدية يمكن أن تُسيّس لإثارة العنف كما رأينا في المثال التاريخي الذي ذكرناه آنفاً.

الجلسة الأولى : تعليقات ومناقشة

تعليق البروفسورة بربارة زيكموند (Barbara Zikmund).

إنه لشرف كبير لي أن يطلب مني التعليق على الكلمات التي قُدِّمت اليوم، إن موضوع الحرب والعنف والدين يأتي في الوقت المناسب تماماً، وتعتمد تعليقاتي على فهمي الشخصي للدين وعلى خبرتي الذاتية كمسيحية بروتستانتية، وأحب أن أشارككم أشياء معينة عن الدين وبعدها سوف أسأل كل متكلم سؤالاً واحداً، وربما يجيبون في وقت لاحق، إنني أعطي هنا دروساً حول الدين في أمريكا في مركزجامعة دوشيشا لداسات الشؤون الأمريكية ، حسب رأي ديانا إيك (Diana Eck) رئيسة مشروع التعددية في جامعة هارفارد فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت في نهاية القرن العشرين أكثر بلاد العالم تنوعاً في الدين، وهي بؤرة التجمع الديني للكرة الأرضية برمتها، فقد واجهت الأعراف المسيحية الدينية الأمريكية في العقود الماضية تحديات وتوسعات بسبب الشعوب المهاجرة المتزايدة والتي لا تدين بالنصرانية وخاصة منذ عام 1965م. وكان الناس في الخمسينات من القرن العشرين يصفون الدين الأمريكي بعبارة "البروتستانتي الكاثوليكي اليهودي"، ولكن منذ عام 1965 لم يعد هذا دقيقاً، فالتدفق الهائل للمسلمين في الولايات المتحدة اليوم يدفع العلماء أن يتكلموا عن أمريكا على أنها بلد موحد يؤمن بالإله الواحد في معظمه، ويتألف من اليهود والمسيحيين والمسلمين وهم "أهل الكتاب" الذي يتبعون القصة المقدسة التي تنتقل من الكتب المقدسة العبرانية إلى العهد الجديد المسيحي وإلى القرآن من بعده، وتعبد هذه الأديان الثلاثة إلهاً واحداً وتتفق في أمور عدة، وفي الحقيقة إن موقفهم التوحيدي قوي جداً بحيث أن الهندوس والبوذيين الذين يفرون إلى أمريكا بأعداد متزايدة من آسيا يحاولون باستمرار إيجاد صيغة لتتماشى أديانهم اللاتوحيدية مع هذا العرق والبيئة التوحيدية الأمريكية.

وعندما أعلّم الدين أحاول دائماً البدء بتحديد "ما الدين؟ ما الدين التوحيدي؟" واليوم أريد أن أسأل: "لم تلجأ الأديان التوحيدية إلى الحرب والعنف؟" ويتضمن تعريفي البسيط للدين أربعة أشياء:

أولاً: يوجد نوع من المجموعة المتكاملة للمعتقدات.

ثانياً: يوجد طريقة ما يدعى الناس فيها ليعيشوا أسلوب حياة معين.

ثالثاً: يوجد دورة ما من النشاطات الطقوسية.

رابعاً وأخيراً يوجد مؤسسات معينة اجتماعية بل وسياسية تعطي معنى لحياة الناس.

وتركز بعض الأديان على المعتقدات أكثر مما تركز على أسلوب الحياة أو الطقوس أو المؤسسات، وتقول أخرى بأن أسلوب الحياة والطقوس هي الأهم، وغيرها

تؤكد على أن تجسد النظم الاجتماعية والسياسية والقانونية قيمهم الخاصة.

تؤمن الأديان التوحيدية بإله واحد لا إله إلا هو وهو أحسن الخالقين، كما يرى الموحدون، وهذا الإله في الكتب المقدسة التوحيدية يفرض طرق حياة محددة ويتطلب نشاطات طقوسية معينة، ويطلب كذلك أن يؤيد البشر المؤسسات والمنظمات الدينية. ويجب أن نضيف اليوم أن عليهم أيضاً أن يدعموا الحكومات التي تقوي المعتقدات وتهيئ العيش المقدس، وعندما يرى الموحدون أن معتقداتهم تنتهك، وأن طرق حياتهم تتبدل بسرعة فائقة وأنهم لا يستطيعون العمل بطقوسهم وأعرافهم وعندما يهدد أو يفسد نظامهم الاجتماعي الذي يعيشونه من مؤسسات ومنظمات، فإنهم يصبحون غير سعداء وبالتالي يلجأون إلى الحرب والعنف وهذا ما يحدث في العالم اليوم.

يشير البرفيسور جويرغينسمئير (Juergensmeyer) إلى أننا نواجه العنف والحرب في عالمنا المعاصر لأن بعض الأطراف في الديانات التوحيدية وليس كلها تعتقد أن مؤسساتها ومنظماتها الدينية قد أفسدها الشكل المرفوض للعولمة، وبفقدها القوة والإيمان في القومية العلمانية فقد سعت لاستعادة هويتها وسيطرتها عن طريق أعمال العنف.

وهذه نقطة مثيرة حقاً، فقد يكون هنالك رؤية دينية لنظام أخلاقي يحرك الإرهاب الديني وهي رؤية تتعدى المستقبل المنظور وتصل إلى أولاد أحفادنا ولكنني أتساءل أمام العنف المعاصر إن كان لديه اقتراحات في كيفية التغلب على هذه الدورة من العنف عندما تبدأ، فالعنف وحثه على الشهادة كادا أن يصبحا غاية بحد ذاتهما وأصبحت الفوضى والعبث الماجن أهدافاً، ويبدو أن النظرة الدينية الأشمل قد فقدت. فإن كان هذا صحيحاً أريد أن أسأله إن كان لديه مقترحات في كيفية إعادة توجيه الحماس للعنف الديني، كيف يستطيع الناس الغاضبون إعادة اكتشاف واستعادة الأمل الذي ولّد في الأصل هذه الاستجابة؟ أنا لا أعرف ولكن يبدو أحياناً أن إيقاف العنف أمر ميئوس منه ولذلك أطرح هذا السؤال.

ويذكرنا البروفيسور كفتارو بحق أن الكثيرين من العاملين في الحرب والعنف هي ليست الأديان، ولكن الحكومات السياسية، ولكن عادة ما تجد الأديان التوحيدية هويتها في السيطرة على المؤسسات ولها تطلعاتها في النظام الاجتماعي الأمثل، ولكل دين توحيدي برنامج اجتماعي معين وهو يتغير اليوم وعلى المتدينين أن يجدوا طرقاً جديدة يتعاملون فيها مع المجتمع، ومنذ نهاية الحرب الباردة تشوهت النظرة الدولية للإسلام وتنبأ الكثير من المفكرين بالصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، واستغل المغالون في كل الأطراف هذا التفكير وفكرة الصراع هذه ليروِّجوا للحرب والعنف ومع ذلك يذكرنا البروفيسور كفتارو أنه لا يوجد ما يسمى "بالحرب المقدسة" في الإسلام، ولكن في التاريخ الإسلامي كما في كل الأديان التوحيدية، شوّه أناس الدين ولم يحافظوا على الرسالة بشكل سليم، فرسالة الإسلام الحقة هي السلام.

إنني رئيسة لجنة العلاقات بين الأديان في المجلس القومي للكنائس في الولايات المتحدة وتعمل لجنتنا المؤلفة من مجموعة من المسيحيين من مختلف الطوائف مع قادة يهود ومسلمين في أمريكا على تشجيع الحوار والتفاهم المتبادل. وهناك من يقول إن المستقبل الكلي للتسامح والتفاهم الديني والحوار في العالم يعتمد على الولايات المتحدة لأنها من الأماكن القليلة في العالم التي تعيش فيها الأديان التوحيدية مع بعضها بحقٍ في وئام نسبي، ولازال هناك جرائم كراهية ضد السامية وتحامل ديني ولكن وبشكل عام فإن الأديان التوحيدية في الولايات المتحدة عندها خبرة إيجابية ومختلفة عما هي عليه في أنحاء أخرى من العالم، وأسأل البروفيسور كفتارو: هل ترى شيئاً ما على الأديان التوحيدية في الولايات المتحدة أن تقوم به من أجل تنمية السلام الديني وإن كان كذلك فما هو؟

وعاد بنا البروفيسور أوسوكي (Usuki) إلى مستهل القرن العشرين عندما زار روائي ياباني الأرض المقدسة وهو روكا توكوتومي (Roka Tokutomi) الذي طور مجموعة معتقداته الخاصة عن المسيح وعن الصليب وعن الطريقة التي يجب أن ينظر بها إلى القدس، وحسب العادات الشائعة لدى المسيحيين في ذلك الوقت لم يُعامل اليهود والمسلمون باحترام وافر، ولكنه لم يتجاهل أهميتهم، وكشخص أجنبي عنده رؤية لخلاص القدس بذاتها والتي فاتت الآخرين الذين هم ألصق بتاريخها، فهو قادم إليها من الخارج لذلك رأى الأمور التي كانت خفية لمن هم في داخلها، وذكر البروفيسور أوسوكي كيف أن الاحتفال الشعبي المحلي الأصيل في المعتقدات الشعبية الفلسطينية قد عُدّل ليمنح المسلمين عيداً مقدساً خاصاً حول نفس تاريخ عيد العبور اليهودي أو عيد الفصح المسيحي، ولسوء الحظ وبينما كان يحكي قصته أصبح الاحتفال قضية سياسية ومنع باستمرار من قبل أولئك الذي كانوا يحاولون إدارة الصراع الفلسطيني اليهودي.

وحتى تاريخ اليوم لم أكن أدري عن هذا الكاتب الرحالة الياباني، وإنني أتساءل عن مستقبل "عيد النبي موسى" وأحب أن أسأل البروفيسور أوسوكي إن كان من الواجب بعث هذا العبور من جديد؟ وما هي الفوائد والأضرار من ذلك؟. وهل يزيد التفاهم المتبادل أو ينمي توازناً أكبر بين الديانات التوحيدية الثلاث في القدس وفلسطين وإسرائيل؟

وفي الختام اسمحوا لي أن أقول بأننا بدأنا فقط بالنظر إلى موضوع الحرب والعنف في الديانات التوحيدية، وسوف نتابع هذه المحادثات في مداولاتنا بعد الظهر وفي الغد وتبرز كل الديانات التوحيدية معتقدات تظهر سلام الله وكلها تنشد الوئام في العنصر البشري الذي خلقه الإله الواحد، وجميعها تحمل الأنظمة الاجتماعية في العالم محمل الجد بل مطلق الجد، وبينما نسير في محادثاتنا كما أعلم فإننا سنميل إلى النظر إلى الأديان الأخرى التي لا ننتمي إليها ونقول بأنها هي غير مخلصة لأعراف السلام كما يخلص لها

ديننا وليس نحن.

ولكن الحقيقة أن كل الأديان التوحيدية قد تعثرت وارتكبت الأخطاء ولم تكن دائماً صادقة مع معتقداتها، وفي فترات متعددة من تاريخها برّرَ كل دين توحيدي العنف ودعا إليه باسم الله وأنه مشيئته، وكلها تعبد الإله ذاته ولكنها تدعي أن نظرتها هي الأفضل، وفي هذه المحادثات كما في كل المحادثات بين الأديان أريد أن اقول في الختام بأنه من الأهمية لنا جميعاً بمكان أن نتذكر أننا لسنا الله ولنا مطامحنا البشرية ولكن في نهاية المطاف علينا أن نعترف بمحدوديتنا البشرية. وشكراً جزيلاً لكم.

كلمة يوشيتسوغو ساوائي (Yoshitsugu Sawai) بروفيسور في قسم الدين في كلية الإنسانيات في جامعة تينري (Tenri).

إن موضوع هذه الندوة الدولية مهم للغاية لعالم اليوم وإنني أتشرف بأن يسمح لي بأن أعلق على هذه المحاضرات.

أولاً: يقول البروفيسور جويرغيسمئير (Juergensmeyer) بأن الإرهابيين الدينيين يستهدفون الدول العلمانية وأنه في كل الأديان وليس فقط في الإسلام تهاجم الدول العلمانية من قبل الإرهابيين. ويدعو البروفيسور جويرغيسمئير (Juergensmeyer) الإرهاب الديني الذي يضفي الدين فيه معنى للعنف بأنه "حرب كونية" ويشرح العنف الديني ضمن إطار ثنائية مطلقة بين الخير والشر، ويضيف البروفيسور جويرغيسمئير في تحليله أن أولئك المنخرطين في الإرهاب الديني يميلون إلى كراهية الأسلوب الغربي للحداثة.

وانطلاقاً من هذه النقاط أحب أن أسأل البروفيسور بضع أسئلة، وبينما نقول بأن كل الأديان تقريباً تستطيع نظرياً فيما يتعلق بعقيدتها أن تنحو إلى جانب العنف أو اللاعنف، والتزم غاندي الهند باللاعنف كلية وتماماً. ويبدو أن منهجه في اللاعنف منارة تضيء الطريق لتعايش مختلف الديانات في المستقبل. والبروفيسور جويرغيسمئير متخصص في فلسفة غاندي ونشر منهج غاندي. وإنني شخصياً كعالم في الدراسات الدينية مهتم أيضاً بحياة غاندي وأفكاره ضمن مفكري الهند الدينيين.

وكلمة عنف يقابلها اللاعنف، ويقال بأن كلمة اللاعنف دخلت القاموس الإنكليزي بسبب حركة غاندي. وكتب ي.هــ. إيريكسون (E.H. Erikson) المحلل النفسي ذو الشهرة العالمية كتاباً أسماه حقيقة غاندي عام 1969م. وترجم هذا الكتاب أيضاً إلى اليابانية وربما قرأه العديد من الحاضرين اليوم أو سمعوا به، ويدعو إيريكسون في هذا الكتاب اللاعنف عند غاندي "باللاعنف المقاتل" وبالنظر إلى هاتين الكلمتين سرعان ما يجد المرء التناقض بينهما. فكلمة مقاتل مرتبطة تلقائياً بالعنف ولكن في هذه التسمية الغربية يحاول إيركسون أن يؤكد أن اللاعنف له أهمية خاصة اجتماعية تستحق بأن تدعى بالمقاتل كما قاد غاندي الهند إلى استقلالها عن طريق اللاعنف. وأظهر غاندي بأفعاله بأن اللاعنف قد

يكون أكثر قتالياً من العنف.

وإذا ما التفتنا الآن إلى الوضع الحالي للعالم نرى أفغانستاناً غير مستقر وعراقاً في حرب قائم كما بحث بإيجاز آنفاً. وفي مثل هذه الحالة أعتقد أن علينا أن نفهم حقاً وندرك فكرة اللاعنف كما اختطها غاندي بمعناها الحق. وأعتقد أن الجنس البشري قد دخل القرن الواحد والعشرين ليفكر ملياً في معنى اللاعنف وأحب أن أسأل البروفيسور جويرغيسمئير عن رأيه في اللاعنف تلك الفكرة التي هي أكثر قتالية من العنف ولها قوة تحرك القلوب.

وشاركنا البروفيسور كفتارو وجهة نظر إنسان من الداخل أي وجهة نظر شخص مسلم وخاصة في تقديمه الذي سمح لنا أن نفهم على نحو أفضل الفرق بين "الجهاد" و"الحرب المقدسة" والأصل اللغوي لكلمة جهاد وأنها مشتقة أصلاً من الجهد والمجاهدة، وقد أثار الدكتور كفتارو لديَّ سؤالاً فيما إذا كان "الجهاد" و"الحرب المقدسة" متميزان بوضوح في السياق الاجتماعي والثقافي، وأظن أنهما متداخلان في معناهما بشكل بارز.

وتترجم وسائل الإعلام الكبرى كلمة "جهاد" عموماً "بالحرب المقدسة" ويقول البروفيسور كفتارو بأن هذا ليس مناسباً. فإن كنا نريد أن نترجمها إلى الإنكليزية ما هي الكلمة المناسبة؟ وفي هذه اللغة لا زال معنى الجهاد متداخلاً مع الحرب المقدسة. وإن أمكن التمييز بين المفهومين نظرياً لكنهما في الحقيقة متداخلان

وقد قدم البروفيسور أوسوكي (Usuki) تحليلاً ممتازاً قائماً على قصص الحج إلى القدس التي كتبها روكا توكوتومي (Roka Tokutomi) المسيحي الياباني. وكيف أن احتفال الربيع السنوي هناك (عيد النبي موسى) كان مصدر العنف الذي تطور بالتدريج إلى صراع سياسي، والقدس مكان مقدس جداً وذو قيمة بالغة في اليهودية والإسلام والمسيحية، وقد اشترك أتباع هذه الديانات الثلاث في العيش في نفس هذا المكان في حياتهم اليومية ولزمن طويل، وإن تحليل البرفسور أوسوكي هو أن القدس أرض مقدسة ترمز إلى تعايش الديانات المختلفة، وبالعودة بشكل مخصوص إلى روايات روكا توكوتومي في حجه الثاني إلى الأرض المقدسة فإن البروفيسور أوسوكي قد عرض العملية الأصلية التي يخترق فيها العنف الاحتفال مُحدِثاً مواجهات بين الأديان وهذا شرح تحليلي لأصل العنف، ومن ثم ماذا عن رحلة توتومي الأولى بالحج إلى القدس؟ هل يصف فيها تعايش الأديان الثلاثة فيما سرده عن حجه الأول؟ وبكلمات أخرى، هل أدرك حينها أن الأديان الثلاثة كانت متعايشة جنباً إلى جنب بسلام؟ وحبذا لو يوضح البروفيسور أوسوكي لنا هذه النقطة.

وقد قامت الفلسفة الحديثة في عصر التنوير (Enlightenment) بعلمنة الدين وبعثت الميل إلى شرح كل شيء بشكل عقلاني ومنطقي، وفي مثل هذا العالم العلماني فإن الإرهاب المدفوع دينياً قد يُرى على أنه صراع روحي أو ديني ضد العلمانية، وقد

بيّن البورفيسور جويرغيسمئير موقع الإرهابيين الدينيين في إطار "حرب كونية". وفي الإرهاب الديني وفي المواجهة بين الخير والشر فإن العملية التي تضمن العنف يجب أن ينتصر فيها الخير على الشر وأن يتحول كل شيء في العالم إلى خير.

وعندما نعمق فهمنا للإرهاب ذي الدافع الديني اليوم وكذلك الآراء العالمية التي يعتنقها من يسمون بالمتطرفين أشعر أنها فرصة لتعميق فهمنا فيما نحن على شاكلته أساساً أي بمعنى كم نحن البشر متدينون، وما أريد أن أقوله هو أن الإرهاب الديني يظهر بشكل سلبي مدى الحاجة "لشيء ديني" في عالم اليوم، نحن مطالبون جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين على حد سواء، وليس فقط علماء الدراسات الدينية، أن يكون عندنا فهم أعمق لأهمية وقيمة الدين بالذات.

هذه هي تعليقاتي البسيطة على المحاضرات الممتعة جداً التي قدمها المتكلمون الثلاثة وشكراً جزيلاً لانتباهكم.

المناقشة:

مدير الجلسة: أما وقد تتبعنا ملاحظات المعلّقين أحب أن أسأل المتكلمين الثلاثة أن يجيبوا على التعليقات بالترتيب التالي: البروفيسور جويرغيسمئير والبروفيسور كفتارو والبروفيسور أوسوكي.

جويرغيسمئير: شكراً لكم. وأتوجه بالشكر الجزيل إلى المعلقين لملاحظاتهما الممتازة ولأسئلتهما الجيدة جداً.

أولاً: حول الأديان التوحيدية، إنني غير متأكد أن الأديان التوحيدية تحتكر العنف وصور الحرب. لقد أمضيت سنين عديدة في الهند، وهناك نرى التقويم الفني للدين الهندي والهندوسية مليئاً بصور سفك الدماء وبالحروب العظيمة مثل المهابهاراتا والرامايانا والمعارك الهائلة بين الخير الشر، فتشعر أن الحرب وسفك الدماء صورة للهندوس كما أن فطيرة التفاح صورة للولايات المتحدة، وهي جزء لا يتجزأ من التقاليد الهندوسية، وهذا هو أحد الأسباب الذي أدهش بها غاندي الناس فعلاً باعتباره طرق باباً مختلفاً في التقاليد.

وهذا صحيح أيضاً في بوذية ثيرافادا، وفي المهافامسا وأحداث سيريلانكا إذ توجد حروب كبيرة بين مملكتي التاميل والسينهاليس البوذيتين، وهي أقل في بوذية الماهايانا لأسباب معقدة لأن البوذية في الصين واليابان والتي هي فرع لنمط ديني معقد حيث تمارس الدولة سلطتها الدينية وحيث تقمعه أشكال أخرى للدين غير البوذية، ولذلك أصبحت مسالمة في الإطار الصيني والياباني، ولكن هذا لا ينطبق على البوذية في سيريلانكا والتيبت.

وقد يكون لدى الديانة التوحيدية ميلاً للسلطوية، وقد نناقشه كاحتمال، ولكنني لا أظن بأنها تحتكر العنف كما يظهر العنف الهندوسي وعنف السيخ والإرهاب في سري

لانكا والعنف المرتبط ببوذية التيبت وحتى أحد أشكال البوذية في اليابان. والسؤال العميق الآن هو كيف تستجيب للعنف، وماذا يمكننا أن نفعل؟ واسمحوا لي أن أروي لكم قصة:

قصتي هي حول ملعب يتقاتل فيه أولاد المدرسة.، ولتكن مدرسة الأمم المتحدة. وهناك ولد صغير هو أكبر حجماً من كل الأولاد الصغار في المدرسة، وليكن اسمه جورج، وجورج هذا ليس الأكبر حجماً فقط بل يريد كل الأولاد الصغار الآخرين أن يلعبوا وفقاً لقواعده. إنه يريد أن يبقي كل العصي والأحجار في يديه لأنه يظن إن كانت كلها عنده فسيستتب النظام في الملعب، ولكن العديد من الأولاد الصغار يغارون من جورج. وفي يوم من الأيام يتقدم ولد صغير ولنسميه أسامة. فيضرب هذا الولد جورج على رأسه ويقول له: "يا جورج، إنك حقير، إنك مشاكس ولا تعدل في اللعب، إنك شرير".

والآن ماذا على جورج أن يعمل؟ هنالك عدة ردود.إحداها أن يقول: "أنا الجحيم". ويمسك بعصيه وحجارته ويهشم رأس أسامة ويطرحه أرضاً. ثم يلتفت حوله: ويرى ولداً صغيراً آخر صديقاً لأسامة ولندعوه "معمراً" فيضربه على رأسه. وبينما ينظر حوله يرى ولداً صغيراً آخر، ولندعه صداماً. ولا صلة له بأسامة ولكن جورج يقول: ربما يحاول صدام ضربي على رأسي يوماً ما وربما كان هذا هو الوقت المناسب لأضربه، لذلك يمسك به ويطرحه أرضاً ويضربه بكل عصيه وحجارته ويشجُّه.

وأسألكم هل هذه طريقة جيدة لإشاعة السلام في الملعب؟ وماذا عن بقية الأولاد الصغار ألا يتفرَّجون ويقولون: "ربما أسامة على صواب وربما جورج هو المتغطرس".

وأنا لا أقول بأن على جورج أن لا يفعل شيئاً، فهذه حماقة والضرب على الرأس أمر سيئ. ولكن أليست فكرة حسنة لو أن جورج رفع أمر أسامة الصغير إلى السلطات وقال: "أنت مثل الجميع في الملعب، عليك التقيد بالقواعد ويجب أن تمثل أمام السلطات".

وعندها ربما يلتفت إلى الأولاد الصغار الآخرين ويقول: "إن كنتم تظنون أني كنت مشاكساً ولم أعدل فأنا آسف وسأصلح أمري وربما نلعب بعض الألعاب وفقاً لقواعدكم لفترة من الزمن أيضاً".

وربما كانت هذه طريقة أفضل للسلام في الملعب، وما أقوله هو أن غاندي لديه الجواب لحالة العنف هذه، وما أحببته في غاندي هو أنه لم يكن مثالياً بل واقعياً وعملياً جداً.

وفي محاولتي لدراسة ردود الفعل تجاه الإرهاب الديني بأشكاله المختلفة اكتشفت أن العنف لم يؤت ثماره قط وهنا يكمن الحل، ولم أجد حالة واحدة قط استطاع العنف فيها وحده أن يكون الحل. وفي بعض الحالات وبالتضافر مع محاولات تهدف تهدئة

القلق العام لمؤيدي جماعات العنف كانت الأعمال القتالية فعالة وخاصة عندما يكون عددهم كبيراً ومتنوعاً ومتعدد القوميات. والحل الوحيد هنا هو الذي يحاول أن يعالج المشاكل العامة التي ولّدت العنف أصلاً ويسعى إلى حل تفاوضي كما في حالة شمال إيرلندا على سبيل المثال.

وهذا مثال جلي لنمط من الإرهاب دام قرابة قرن وانتهى بقرار صعب عن طريق التفاوض ومحاولة الوصول إلى احترام متبادل لدى الطرفين وأعتقده في نهاية المطاف الحل الوحيد تجاه العنف من أي نوع بما فيه العنف الديني.

كفتارو: في البداية أود أن أشكر المعقبين الكريمين على مداخلتيهما وأبدأ بالجواب على سؤال الدكتورة باربرة لأنه كما يقال في الغرب Ladies first، وعندنا في الإسلام، أو يقال في الغرب بأن المرأة هي نصف الرجل، لكن أنا أقول بأن المرأة هي المجتمع كله لأنها وإن كانت نصف الرجل أو نصف المجتمع بحد ذاتها فهي تربي النصف الآخر الذي هو الرجل فنحن نقول بأن النساء هن المجتمع بأكمله، أشكر الدكتورة باربرة على ما قدّمت وأنا أعتز كثيرا بأنها تنتمي إلى مجلس الكنائس العالمي الأمريكي، وقد زارنا رئيس مجلسها في دمشق منذ عامين، وكان لنا معه حوار دافئ وهادف بناء ونرجو أن تستمر مسيرة الحوار لما يغني حضارتينا بالكثيرو الكثير.

ما تقدّمت به الدكتورة باربارة من سؤال قيم، هو هل تعتقد أن هناك شيئا يمكن أن تحتاج إلى فعله الأديان التوحيدية في الولايات المتحدة الأمريكية لتعزيز السلام ؟ أنا أقول بغض النظر عن المكان إن كان في الولايات المتحدة أو في الشرق الأوسط، أقول لا بد أن نعزز ثلاثة جوانب ليفهم كل منا الآخر، بالدرجة الأولى حوار رجال الأديان فيما بينهم، لا بد لرجال الأديان أن يتفهم كل منهم دينه بجوهره وأصالته وأن هذه الأديان الثلاثة الإبراهيمية التوحيدية دعت في خلاصة ما دعت إليه إلى السلام والمحبة وبناء الجسور مع الآخر، لذلك إذا تفهّم رجال الدين بالدرجة الأولى حقيقة هذه الأديان فإننا نصل إلى الثلث الأول من الحل، الثلث الثاني هو الحوار، الحوار ليس بين رجال الدين فقط، الحوار بين أبناء الأديان الإبراهيمية، لا بد لنا من أن نقضي على ظاهرة العنف والتطرف وإلغاء الآخر، فنحن نعيش في القرن الواحد والعشرين، والذي أصبحنا نعيش فيه ضمن عائلة سميناها قرية صغيرة من خلال وسائل الإتصال الحديثة، وكان لا بد لنا أن نعيش بجو هادف حواري يعرف كل منا الآخر، وكما يقال بأن الإنسان عدو ما يجهل، إذن عندما أعرف أخي المسيحي وأعرف أخي اليهودي وأعرف أخي الإنسان بالمطلق بعيدا عن الأديان، أصل إلى حقيقة بأننا يجب أن نشارك في بناء هذا المجتمع الإنساني الذي صار قرية صغيرة وأنا أريد هنا أن ننتقل من حوار الأديان على صعيد القمة إلى حوار الأديان على صعيد القاعدة ولكنها ليست قاعدة بن لادن إنها قاعدة الشباب والشابات، أنا في سوريا أؤسس الآن جمعية الحوار الحضاري

بين المسلمين والمسيحيين واليهود من المواطنين السوريين، ما أحرى رجال الأديان أن ينقلوا تجربتهم في أن الأديان واحدة من خلال أصولها وقواعدها إلى أبنائهم وأتباعهم ليكونوا قد أدوا رسالة الله في الأرض وقد تفهموا رسالة معلميهم وهم الأنبياء العظام، فيما يتعلق بسؤال الأستاذ ساوائي، هو يطلب مني أن أشرح المزيد عن الإسلام، هذا السؤال مهم جدا لا سيما في هذا الزمن الذي نعيشه والذي كثر فيه إتهام الإسلام بأنه دين التطرف والإرهاب، من خلال هذه الجلسة القصيرة لا بد أن أعرف الإسلام بكلمات، الإسلام ثلاث كلمات إيمان وعلم وعمل، كثير من الآيات القرآنية ارتبطت بالإيمان والعلم وارتبطت أخرى بالإيمان والعمل، على سبيل المثال، أدرج في بداية الآيات القرآنية «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات» وليس الصالحات هنا المقصود بها هي العبادات، أي عمل يفيد البشر هو عمل صالح، لذلك كانت آخر كلمة قالها نبي الإسلام، قال و كان يقول دائما «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة أي غرزة فليغرسها» يعني يعلمنا على التحريج وعلى الزراعة وعلى العمل حتى ولو قامت القيامة، وأيضا الإسلام هو دين العلم، القرآن الكريم يقول أول كلمة نزلت على نبي الإسلام وهو يختلي مع ربه في الغار، أول كلمة هبط بها الوحي إلى نبي الإسلام، قال له «اقرأ» وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، وهذه رسالة مهمة لكل مسلم أن يطلب العلم، لذلك كانوا يقولون في الإسلام أو كما ورد على نبي الإسلام «اطلبوا العلم ولو في الصين»، هل في الصين توجد علوم دينية شرعية إسلامية، لا، إذن أن يطلب المسلم العلوم العصرية في كل بقعة من العالم، أيضا سأل الأستاذ ساوائي سؤالا عن مفهوم الجهاد، وطبعا مفهوم الجهاد في الإسلام يُساء فهمه في العالم عامة وفي الغرب خاصة، الجهاد في الإسلام يتفرّع إلى ثلاثة فروع الجهاد الأكبر والجهاد الكبير والجهاد الأصغر، وركّز كثير من الغربيين على حقيقة أن الجهاد هو حرب المسلمين على الآخرين، هذا تفهم خاطئ لحقيقة الجهاد في الإسلام، الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والهوى، جهاد الشهوات والأنى في النفس، وكل ما هو سيء يختلج نفسي وفكري أن يعني أواجه بها الآخرين، إن كان يضرني شخصيا أو إن كان يضر الآخرين، هذا هو الجهاد الأكبر لذلك عندما كان يعود نبي الإسلام من بعض الحروب التي كان يدافع فيها عن المسلمين في المدينة، كان يقول «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى»، وما بين هذين الجهادين هناك جهاد كبير، ربنا قال في القرآن الكريم آمرا نبي الإسلام قال له «وجاهدهم به جهادا كبيرا» أي حاورهم به حوارا كبيرا، بالقرآن بتعاليم القرآن التي دعت إلى المحبة، إلى التواصل، إلى الحوار. نحن يا أخوتي ويا أخواتي لا تفهمونا خطأ نحن أمة نحب الحوار كما تحبون ونحب العيش كما تحبون وما يجرى في الأراضي الفلسطينية لا ينطبق على الإسلام والمسلمين بالمجمل، هناك مظالم يتعرّض لها العرب والمسلمون ومن خلال هذه المظالم يقذفون بأنفسهم إلى الموت، ولكن هذا ليست ركيزة بالدين، الجهاد إذا أخذنا الجهاد الأصغر فتفسيره بكلمتين هو دفاع عن الأرض وعن النفس، كيف نطلق العنان للمقاومة

الفرنسية أن تناهض الاحتلال النازي لبلادها ولا نطلق العنان للعرب والمسلمين أن يدافعوا عن أراضيهم وعن أنفسهم، فإذا أستخدم الجهاد بالمنظور الغربي استخداما خاطئا ونحن نريد أن نضع الأمور في نصابها، وعلى صعيد ما توصلنا إليه من عنف وتطرف واستبداد سياسي، أقول بأن هناك ثلاثة لم يتفهموا واقع دينهم كما كان يذكر صديقي وأخي في البداية لكنني سأنتقل إلى تفسير آخر وإلى مثال آخر أخرج به من الملعب إلى المسجد والقرار السياسي، أقول بأن السيد شارون لا يمثل الديانة اليهودية بحقيقتها والسيد بوش لا يمثل تعاليم المسيح التي جاءت بالمحبة والرحمة والتسامح والسلام، وأيضا أؤكد بأن ابن لادن لا يمثّل الإسلام إنه تطرف واقع في فكره وهذا التطرف موجود كما قلنا في الإسلام والمسيحية واليهودية، ولا بد أن نعطي الدعم الكبير لمن يحملوا فكر الوسطية والاعتدال لأنه كيف يكون الدعم، يكون الدعم من خلال أن نفتح لهم المنابر العالمية وأن نفتح لهم الشاشات التلفزيونية ليشرحوا الإسلام على أنه دين الرحمة ، الإسلام كلمتان واحدة قالها ربنا في القرآن الكريم وجّه بها نبي الإسلام قال له «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»، ما قال له "أرسلناك نقمة للعالمين" أو "حربا على العالمين" وما قال له و"ما أرسلناك إلا رحمة للمسلمين" بل قال «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»، القضية الثانية نبي الإسلام هو القائل «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» إذن لم يُبعث للحرب ولم يُبعث للجهاد ولم يبعث لحروب مقدسة هو بُعث رحمة للعالمين وبُعث معلما لمكارم الأخلاق، ومكارم الأخلاق هي القواسم المشتركة التي تلتقي عليها الأديان الموحدة، ليس الأديان الموحدة فحسب وإنما أديان العالم كله وإنما البشرية كلها، لذلك أنا أقول بغض النظر عن الأديان نحن أخوة في الإنسانية وهكذا قال نبي الإسلام «الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره» وشكرا لاستماعكم.

أوسوكي. شكراً بروفيسورة زيكموند وبروفيسور ساواي. وكما أشار البروفيسور كفتارو للتو بأن نسأل أنفسنا إلى أي مدى يمثل شارون اليهودية وإلى أي مدى يمثل بوش المسيحية وعلينا أن نسأل إلى أي مدى يمثل روكا توكوتومي اليابانيين أو المسيحيين اليابانيين، وقد أبدت البروفيسورة زيكموند ملاحظة مهمة وطرحت سؤالاً صعباً جداً حول إمكانية بعث عيد موسى وما يعنيه مثل هذا البعث لتعايش الأديان.

وعندما نتحرى هذه الأسئلة والوضع القائم ككل علينا أن نتذكر دوماً الوضع المحلي الفعلي الذي أصبح فيه معظم الفلسطينيين لاجئين، وربما كان من الأفضل لو تناول هذه المسألة المتعلقة بمحبة الأولياء والقديسين شخص مثل البروفيسور توناجا (Tonaga) من جامعة كيوتو, ولكني أكتفي بالقول بأنه في تلك الأيام لم يكن التعلق بالأولياء معروفاً لروكا توكوتومي (Roka Tokutomi) لقد كان حدثاً لم تدركه

عقليته المسيحية، ومع ذلك من المهم أن نذكر أن الحفلات كانت تجري على مستوى صغار السن مثل احتفال النبي صالح، وهو من أكبرها يزور فيه المؤمنون ضريح الولي والآخر يدعى بعيد النبي روبين، وهذه ظاهرة تتفرد فيها فلسطين كأرض مقدسة تبنّى الإسلام فيها التراث اليهودي والمسيحي الموصوفين في الإنجيل، ووجد فيها المشاركة عبر الأديان على مستوى القاعدة، وإذا ما أكدنا على هذه النقطة فهذا قد يزيد تعقيد المسألة، وبيننا عدد كبير من المسلمين الحضور وربما تناولنا موضوع حب الأولياء في وقت لاحق.

وأظنني أجبت عن أسئلة البروفيسور ساواي (Sawai) فيما قلته للتو، وتبدي كتابات توكوتومي الأولى فيما بعد الحرب الروسية اليابانية مباشرة وجهة نظر مسيحية. والمسألة ليست فيما إذا كان هذا جيداً أم سيئاً بل فيما إذا كان مختلفاً عن كثير من اليابانيين المسيحيين الذين زاروا القدس فيما بعد. وبكلمة واحدة لم ير معظمهم حقيقة الوضع المحلي، فقد زاروا الأرض المقدسة وكفى. ولم يطرح أي سؤال. فكيف نرى ذلك؟ لدى قراءة مؤلفات كتبها مسيحيون يابانيون معاصرون أمثال شوساكو إندو (Shusaku Endo) الروائي الكاثوليكي في كتابه "جانب البحر الميت" يُلاحظ المرء أن المسلمين والمسيحيين واليهود هم مجرد جزء من المشهد، أليس هذا أمراً إدّا؟ ولقد استشهدت بروكا توكوتومي اليوم لهذا السبب أيضاً لأسأل عن تعاميه عن الحقيقة. وذكر البروفيسور موري آنفاً إمكانية لعب اليابانيين دور الوسيط وسأل عن ماهية هذا الدور، وأظن أنه لا زال هناك مشكلة خطيرة يجب التغلب عليها أولاً، فنحن اليابانيين الذين لا نستطيع أن نرى المشكلة المحلية بوضوح، كيف نكون وسطاء أصلاً ؟ وأرى أن واجبنا الأول أن يكون عندنا رؤية تسمح لنا أن نرى بوضوح ما يحدث فعلاً هناك. وأختم ملاحظاتي بهذا الاستطراد البسيط.

المقرر: شكراً لك. لقد تلقينا أسئلة كثيرة من الحضور لنطرحها على المتكلمين. وتلقينا أيضاً أسئلة دقيقة وأخشى أن مثل هذه الأسئلة عالية الاختصاص ستتطلب وقتاً أطول. لذلك سأختار الأسئلة الأساسية التي قد تهم كثيراً من الناس وسأطرحها على المتكلمين الثلاثة.

لدى دراسة أسئلة الحضور لاحظت اهتمامات مشتركة إحداها تتعلق باللغة. ففي محاضرات اليوم، مثلاً، سمعنا كلمة العنف مراراً, وسمعنا تعريفات وتفسيرات متعددة لكلمة "جهاد". وباعتبار أن البروفيسور كفتارو قد شرح كلمة "جهاد" أحب أن أتجاوب بأن أشرح بإيجاز الوضع الحالي في اليابان فيما يتعلق بهذه الكلمة، غالباً ما تستعمل كلمة جهاد في الصحف وأمثالها وتنطق "جهادو" باليابانية وبين قوسين كلمة "الحرب المقدسة". وأعتقد أن بين ظهرانينا اليوم عدد كبير من الصحافيين بين الحضور، ويبين لنا البروفيسور كفتارو أن مساواة الجهاد بالحرب المقدسة خطأ، وهذه نقطة مهمة للغاية، ولمس البروفيسور ساواي هذه النقطة أيضاً، وتلقينا أسئلة كثيرة إن كانت كلمة

جهاد فعلاً ليست الحرب المقدسة أبداً، وكذلك بالنسبة للعنف وبعض الأسئلة موجه للبروفيسور جويرجينسمئير حول تعريف العنف. وأحب أن أختار بضع أسئلة لأسأل كل متكلم.

أولاً، أتوجه إلى البروفيسور جويرجينزماير بسؤالين معاً. ذكر البروفيسور جويرجينسمئير في حديثه اليوم وكذلك في كتابه "الخوف في ذهن الإله" أن الاستقرار السياسي والاقتصادي ضروري لإزالة الخصومات والعنف من الجماعة الدولية اليوم. فالسؤال هو: أليس من الصعب للغاية أن نحقق حواراً عندما يكون لكل دين فكرته حول "الحرب الكونية"؟

والسؤال الآخر لِمَ من بين كل الأبنية في الولايات المتحدة هوجم مركز التجارة العالمي من قبل متطرفين إسلاميين وما أهمية ذلك؟

ثم، كما ذكرت قبل قليل، سأل كثير من الناس البروفيسور كفتارو إن كان "الجهاد" يتداخل بشكل معتبر مع "الحرب المقدسة" على أي حال؛ وهذا هو السؤال الأول. ويتساءل المرء إن كان هناك مبالغة حينما نقول لا يوجد حرب مقدسة في الإسلام. قال البروفيسور كفتارو في المحاضرة إن الدين مجرد أداة تستخدمها الدولة إذن هل من الممكن أن نقول، كما يتساءل البعض، إن الخصومات والصراعات بما فيها أحداث الحادي عشر من سبتمبر لا علاقة لها بالدين؟

ولدي أيضاً سؤال آخر أريد له جواباً،إن أمكن، أشار العديد لقضايا تتعلق بالمرأة والسلام في الإسلام لم تتناولها المحاضرة بشكل مباشر، فيما يتعلق بالإسلام على أنه دين سلام. كيف تعامل قضايا المرأة والسلام في الإسلام؟ وكمثال محدد، يحب البعض أن يعرف رأي البروفيسور كفتارو حول الجدل الساخن الأخير في فرنسا حول معاملة الفتيات المسلمات المرتديات لغطاء الرأس في المدارس العامة حيث عبر الرئيس شيراك عن نيته بمنع غطاء الرأس في المدارس العامة.

أما بالنسبة للبروفيسور أوسوكي فلدينا عدة أسئلة حول تفاصيل معينة عن روكا توكوتومي ولكني سأختار واحداً منها، يبدو أن روكا توكوتومي قد طوّر نظرة عالمية ضيقة للغاية. هل كان هناك عامل رئيسي أدّى به إلى تقى النفس الشديد بالمطلق؟

وسؤال آخر يتجاوز قضية الشرق الأوسط ويتناول إرسال قوات الدفاع اليابانية إلى ما وراء البحار والتي ذكرها البروفيسور أوسوكي في محاضرته. وسؤالي هو: يبدو أن اليابان انتهى بها المطاف بالموافقة على العنف من جانب الولايات المتحدة بدعم الحكومة الأمريكية، وفي مثل هذه الحالة ما هو الأهم برأيكم، بروفيسور أوسوكو، بالنسبة لليابان في تعاملها المستقبلي مع العراق وبقية بلدان الشرق الأوسط؟

باعتبار أن وقتنا محدود سنقدّر كثيراً إذا أجاب متكلمونا بإيجاز عن هذه الأسئلة. ونبدأ أولاً بالبروفيسور جويرجينسمئير.

: جويرجينسمئير أجل، شكراً. كلها أسئلة ممتازة. فيما يتعلق باستهداف مركز التجارة العالمي، إذا كان الغرض من الهجوم العثور على رمز لقوة الولايات المتحدة في الاقتصاد العالمي هل هناك أفضل من بناء مركز التجارة العالمي والذي هو فعلاً مركز التجارة "العالمي"؟

لقد كان يعمل في ذلك البناء أشخاص من ثمانين بلداً، لذلك كانت مأساة لم يعاني منها الأمريكيون فحسب بل عاني منها الناس من كل أنحاء العالم، وإن كنت تريد اختيار أهداف تظهر سيطرة أمريكا الاقتصادية والعسكرية على بقية بلدان العالم فإن مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع الأمريكية اللذين كانا هدفي الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م هما أفضل هدفين رمزيين على الإطلاق.

وأعتقد عموماً أن أعمال الناشطين الدينيين كان أمامها هذه القوة الرمزية المهمة فوق العادة لتقديم بيانهم، وهي أعمال لم يقصد منها فقط هدفهم العسكري بل التلفزيوني أي الإعلامي وليس فقط التلفزيون الأمريكي و CNN ولكن أيضاً تلفزيون الجزيرة لترى في كل أرجاء العالم الإسلامي أنه بإمكان شخص ما أن يقف في الملعب ضد المتغطرس الكبير.

أما بالنسبة للسؤال حول دور الدين في المجتمع العالمي فهذا موضوع آمل أن نتابعه في اليومين القادمين وليس الدين وحده كمشكلة والأسلوب الذي نسجت فيه الصور الدينية عن طريق أعمال العنف والعدوان في العالم المعاصر، بل أيضاً الطريقة التي بها يستطيع الدين أن يصبح حلاً لبعض هذه المشاكل وبعضاً لذلك العنف.

وإحدى الطرق هي أن نستخدم قوة الصور والخيال مثل صور الحرب الكونية كما اقترح رينيه جيرارد (Rene Girard) عالم الأدب الذي استخدم نظريات فرويد لينظر في الطريقة التي يمكن أن تصبح الطقوس وسيلة فعالة لتخفيف العنف بالتعبير عنه بشكل رمزي، ربما بالحرب الكونية، وبلزوم إرجاع جنّي علاء الدين إلى قارورته. وهكذا يجب أن نرجع العنف إلى سلطة اللغة والأدب الديني.

وهكذا وبطريقة غريبة قد تحل مشكلة العنف الديني جزئياً لا بمزيد من العنف ولكن بمزيد من الدين وأن نسمح للحياة الدينية أن تزدهر بين عامة الناس حيث ترى هذه الرموز رموزاً دينية قوية ولا تكون سمة دنيوية، وهذا يعني، وهو ما أرجو أن نستقصيه في اليومين القادمين، أن للقيم الروحية والحقائق الأخلاقية دورها الفعلي في المجتمع المدني العالمي المتنامي وأن الدين له دوره الفعلي ولكن ليس بالمعنى الحصري.

ومن بعض النواهي تشبه مشكلة الدين في عالم متعدد الثقافات مشكلة اللغة، فنحن هنا نتحدث بالإنكليزية واليابانية والعربية ونشكر الله على المهارات الرائعة لأولئك الذين يعملون في حجرات الترجمة في الخلف فهم يساعدوننا على أن نفهم بعضنا بعضاً ونكتشف رغم استعمالنا لغات مختلفة أننا نقول أشياء ذات معنى لنا جميعاً، وأرى أننا بحاجة إلى تراجمة في الدين يظهرون أن القيم الدينية والحقائق الأخلاقية هي ذاتها

أصلاً رغم الاختلافات الدينية.

كفتارو: فيما يتعلق بأن هناك أمورًا اختلطت بين الجهاد وبين الحرب المقدّسة، وهل أحداث الحادي عشر من سبتمبر جهادا ضد الآخرين أم لا ؟ أقول بأننا إذا كنا ننظر إلى الحرب المقدسة على أنها هي الحروب الصليبية، فنحن في تاريخنا العربي الإسلامي نقول بأن المسيحية السمحاء تتبرأ من هذه الحروب إنها حروب استعمارية بحتة بحجة واهية هي أن المسيحيين مضطهدين في هذه البلاد، فسيّرت الجيوش الجرارة باسم الصليب وباسم الحرب المقدسة وباسم الديانة المسيحية لتحرير ما يقال «لتحرير المسيحيين في بلادنا على أنهم مضطهدين» وهذا الأمر غير مقبول عندنا في تاريخنا، حيث أننا نقول ونؤكد بأنها حروب استعمارية، ما يتعلق في قضية الجهاد وأحداث الحادي عشر من سبتمبر نحن نقول بأن ابن لادن متطرف في فكره الإسلامي وبالتالي إن كان هو فاعل هذا العمل الإجرامي الذي نستنكره وندينه أو غير ابن لادن، فإننا نقول بأن الإسلام يتبرأ من هذه الأعمال، الإسلام هو دين الرحمة والعدالة والإنصاف، أما أن يشار بالبنان على أن ابن لادن يمثّل الإسلام، يعني هذه خدعة رفع شعارها بعض الغربيين لينالوا من ديننا ومعتقداتنا وهويتنا، فنقول بأن الإسلام يتبرأ والإسلاميين يتبرأون وهناك كثيرا من الاستنكارات الرسمية وغير الرسمية، يعني الرسمية الدينية وغير الرسمية الدينية صدرت إبان هذه الجريمة النكراء التي تستنكر هذا الفعل، ولكن نحن دائما نقول ابن لادن والقاعدة والإرهاب والجهاد، دعونا نفتش عن الأسباب التي دعت ابن لادن وأمثال ابن لادن لإحداث هذه الجريمة النكراء، هناك خطر كبير داهم على العالم بأسره، وهو خطر التطرف، التطرف هو مرض خطير، لذلك لا يمكن بالتالي أن يعالج هذا الموضوع بقتل المريض إنما بمعالجة المرض لأننا إذا قتلنا المريض فإن المريض الآخر سوف يجنح إلى عنف أكبر، لذلك نحن نتمنى أن تنطلق البيانات من كافة شرائح المجتمع وأطيافه من مثقفين ومن إعلاميين ومن رجال دين حتى من السياسيين حتى يستجيب السياسيون ويدركوا بأن المعالجة لا تكون بقتل المريض وإنما بمعالجة هذا المرض.

فيما يتعلق بالحجاب، يعني قضية صغيرة، فرنسا يعني جعلت منها قضية كبيرة وأطلقت العنان من خلال حرب علمانية على الدين، ماذا يضير هذا الحجاب السيد شيراك إذا وضع على رأس المسلمة، يعني أنا أقول بأن المسلمة قد تقتدي عندما تضع الحجاب على رأسها بالسيدة مريم العذراء والدة السيد المسيح عليه السلام، هل يستطيع أحدكم أن يصف لي ما هو لون شعر السيدة مريم عليها السلام أم سيدنا المسيح، ألم تكن محجبة وبغض النظر عن هذه المداخلة ماذا يضير العلمانية أن تضع المسلمة الحجاب على رأسها، الحجاب ليس رمزا إسلاميا، كما نقول بأن القلنسوة هي رمز من رموز الأخوة اليهود، والصليب هو رمز من رموز الأخوة المسيحيين، الحجاب شرع للمرأة المسلمة، وقد وضعته اختيارا وليس كرها، يعني نحن نقول في القرآن لا إكراه في الدين، فكيف تُكره المرأة أن تضع الحجاب على رأسها، لها الخيار أن تضع أو لا

تضع، ونحن في مجتمعاتنا أربعين في المئة محجبات وستين في المئة سافرات، فلا يستطيع الإسلامي أن يمسك العصا ويقول لغير المحجبة أن تتحجب، هذا شرع من شرائع الله ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، لذلك المرأة المسلمة لها خيار، وهذه القضية قد ينظر إليها بعض الإسلاميين المنفتحين والمجددين على أنها قضية تكميلية وليست ركيزة من ركائز الدين، وبغض النظر لا يضير العلمانية في فرنسا ولا يضير الثورة الفرنسية التي نكن لها كل الاحترام والتقدير التي جاءت بحرية الرأي وحرية المعتقد وحرية الفكر، لا يضيرها قطعة قماش تضعها المرأة المسلمة على رأسها، إذن هذه القضية حساسة وللمرأة المسلمة أن تختار وبالتالي لا يجوز أن نقول بأن هذا أمر داخلي لأن الشرائع تدخل في كل بقعة حتى تحت البحار وحتى على القمر، أما أن نقول هذا أمر داخلي وشأن داخلي لفرنسا لا يحق لغير الفرنسيين التدخل به، نقول بأن هذه شريعة الله ويجب أن نحترمها وأن نقدرها تمامًا وشكرا لحسن استماعكم.

أوسوكي: أعتقد أن الأسئلة الموجهة لي هي حول أسباب التقوى الذاتية لدى روكا توكوتومي وكيف تتعامل اليابان مع العراق والشرق الأوسط بالنسبة لتواجد قوات الدفاع اليابانية في المنطقة.

أما بالنسبة للسؤال الأول أنا لست عالماً في روكا توكوتومي ولسوء الحظ لا بد أن أقول إني لا أستطيع أن أعطي جواباً دقيقاً، ولكني أقول شيئاً واحداً له علاقة بموضوع قوات الدفاع الذاتية هو أن روكا توكوتومي كان نتاج عصر ميجي رغم تحوله المسيحي التدريجي على أي حال، وبكلمات أخرى كان مدركاً بشكل واضح أنه ياباني. وهذا مشابه لما يجده يابانيو اليوم في يابانية عصر ميجي بأنه نوع من القومية الصحيحة إن صح التعبير.

وأما فيما يتعلق بإرسال قوات دفاع ذاتية، نقول يكاد لا يوجد سبب لهذا غير أننا حلفاء للولايات المتحدة، وصلت هذه القوات منطقةالساماوه التي لم يسمع عنها اليابانيون قط.. والحقيقة لا يعرف مكانها سوى قلة قليلة من العرب، ولا زال كل شخص يرى كل يوم صوراً تلفزيونية لهذه القوات هناك. وأما سبب وجودها هناك فيعلل بعد ذلك. وأظن أن تناول هذه الأغراض دون فلسفة متسقة وراءها هو موقف اشتهرت به اليابان تجاه الشرق الأوسط. والسبب الرسمي لإرسال القوات اليابانية هو لمساعدة العراق في إعادة الإعمار، وقد أنجز هذا شكلاً دون الأخذ بالاعتبار حاجات العراق الحقيقية في الإعمار. وتذكرنا هذه الحالة بخطوات مماثلة اتخذت في السابق أدّت إلى أخطاء فادحة. وهذا يكفي لإثارة أزمة ما.

ولم يؤبه لروكا توكوتومي في هذا السياق في زمانه كياباني بحسب الظاهر. ولكنه يستحق التقدير لإصراره على موقفه بشجاعة في وجه الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني في ذلك العصر وحتى ضد الجنرال البريطاني اللنبي (Allenby). ونظراً لهذا إن ما يُرثى له حول يابان اليوم هو فقدان الرؤية المتماسكة العميقة أو

الفلسفة، أنا لست قومياً ولكن المخجل أن حكومتنا قد اتخذت قرارات هامة وهي تجهل وضع الشرق الأوسط.

المقرر: في الختام أحب أن أسأل المتكلمين الثلاثة أن يتقدموا برسائل قصيرة للحضور الياباني ولو بدقيقة واحدة لكل منكم حسب الترتيب السابق.

جويرجينسمئير: لاحقاً لما قلته آنفاً يبدو لي أن مشكلة العنف الديني في العالم ليست مشكلة دين بل نقدا للدين أو استجابة لأحداث سياسية واجتماعية عميقة في كل أنحاء العالم.

إننا مهتمون بالدين لأنه يجعل هذه الأوضاع من نواحٍ معينة أكثر إشكالية، أي إنه يزيد من المطلق ويشجع العنف. ولكنه أيضاً، يقدم إمكانيات للحل، كما نرى أن الفضائل الأخلاقية والعمق الروحي للتقاليد الدينية قد تأتي بشيء للمجتمع المدني العالمي قد يكون طرفاً في الوئام واللاعنف في المستقبل.

كفتارو: أنا أتوجه بكلمة أخيرة للأخوة اليابانيين أقول لهم بأننا نحبكم ونقدر تماما ما تقدمونه لإحلال السلام في منطقتنا منطقة الشرق الأوسط، ولكم دور كبير، ولكن معاناتكم معاناتنا، أنتم مررتم بتجربة رهيبة وهي إلقاء قنابل ذرية على ناكازاكي وهيروشيما، نحن نعاني اليوم أيضا في الشرق الأوسط من صراع دموي بين حق وباطل، لا بد أن تقفوا معنا وأن تُحق الحق من خلال الشرعية الدولية وتطبيق قراراتها وأن تتفهموا الإسلام من مصادره ومراجعه الرئيسية لأن الإنسان بطبيعته عدو ما يجهل، فإذا أردتم قراءة الإسلام فنحن نعطيكم رقم موقعنا على الإنترنت ونتمنى أن نتواصل معكم وإلى قيام الساعة وشكرا لكم.

اوسوكي إنني أنهي حديثي بشيء من نافلة القول. ولكن علي أن أقول فقط إني آمل عن طريق محاضرات ومناقشات اليوم أن يصل الحضور إلى فهم أوسع بكثير لما يحدث في العالم ولما هو مهم حقاً. وإنني شخصياً أشعر بأننا نحن اليابانيين ملزمون تجاه أنفسنا بأن نبذل الجهد لفهم الشرق الأوسط والإسلام، وما يسمى بالعالم السامي، عالم أديان إبراهيم من الداخل. وفي هذا السياق إن الترحيب بمتكلمٍ قادمٍ مباشرة من ذلك الجزء من العالم والاستماع له وهو يتكلم العربية هو فرصة نادرة وقيمة جداً وشكراً لكم.

المقرر: شكراً جزيلاً وهذا يختم ندوة اليوم وشكراً لكم مرة أخرى.

الجلسة الثانية (2004/2/20)

الحرب والعنف، والإسلام

ماذا يعني "إنكار الحرب والعنف" ؟
أطر الخطاب الإسلامي

كو ناكاتا (Ko Nakata)
جامعة دوشيشا

ملخص:

1- المقدمة:

إذا كان مفهوم "عدم وجود قاسم مشترك (incommensurability) موجودًا " في تاريخ العلوم, فيمكن تطبيق هذا المفهوم على الحوار والتفاهم المتبادل والمقارنة بين الأديان والثقافات، وإن مفهوم "الحرب والعنف" بل إذا قفلنا راجعين إلى مفاهيم عديدة مثل: "ينكر" و"يوافق" و"يعترض"و"الخير" و"الشر" سنجد أنها تختلف بصورة بارزة في سياق الأحاديث حول كل دين وثقافة، إن هدف هذا البحث هو الكشف عن وجود إختلافات أكثر بين أطر الخطاب في ثقافات وأديان متعددة، وفي نفس الوقت توضيح كيف يرمز للحرب والعنف في الخطاب الإسلامي النموذجي.

2- ما المعاني التي تحملها كلمة "يُنكر" ؟

يختلف معنى السؤال "ما هو الإنكار؟" بشكل جوهري معتمداً على التمييز بين مفهوم "الحرمان الكنسي" والعقوبات في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وحيثما يوجد مفهوم "الحرمان الكنسي", عندما يحرم شخص كنسياً لارتكابه عمل ما، وينفي من الجماعة، عندها يحدث "الإنكار" بشكل منطقي، أما في حالات الإشارة للعقوبات بشكل صريح من قبل القانون من قبل الشروع بالعمل، عندها يصبح الإنكار بقوة العقوبات المطبقة على ذلك الشخص، وفي الديانات والثقافات التي تميز بين الدنيا والآخرة فيما يتعلق بالعقوبات الأقل شدة، وحتى إذا لم تفرض العقوبات في الدنيا، يظل هناك شعور بالإنكار باعتبار أن هذا الشخص سيعاقب في الآخرة.

ولا يمكن للمفاهيم التي ناقشناها قبل قليل أن تكون مشتركة بين الثقافات والأديان مما يجعل المقارنة والتفاهم المتبادل والحوار صعباً، فلا يوجد حرمان كنسي في ديانات مثل الشنتوية(Shintoism)حيث صيغة العضوية واضحة وثابتة رغم وجود مفاهيم مشابهة لمعناها مثل النفي من الأرض وفقدان الإنسانية والوحشية، أما في الإسلام فيوجد عقاب شرعي تفرضه الجماعة ويسمى بـــ "التكفير" لكنه يختلف جذرياً عن المسيحية التي تعتمد على منهج الكنيسة الكاثوليكية حيث لا يوجد في الإسلام مؤسسة تعلن عن الحرمان رسميا

ويعمل أي تحليل كمرجع لإنكار تطبيق العقوبات ولكن لا يمكن العمل به في ثقافات أو أديان ليست مبنية على فرض العقوبات على أعمال محددة، ويصبح خطاب الإنكار شرعياً لحدٍ ما في الثقافات أو الديانات التي تشكلت فيها العقوبات، وقد يتوقع درجة من التقارب والالتقاء في عديد من الحالات باستثناء العلماء وغير العلماء، وإذا ما طبقنا هذا الإطار على ثقافات وديانات لا عقوبات فيها، نجد أنه عندما ينكر فرد معين عملاً محدداً قد يحصل هناك تحديد مزيف وغير لائق للمشكلة، على سبيل المثال فيما يتعلق بنية ذلك الفرد تطبيق العقوبات على الشخص الذي قام بذلك التصرف، وفي حال عدم وجود مفهوم للحياة الآخرة عند بعض الثقافات أو الديانات فمن الصعب حينه أن يكون لمفهوم العقوبات في الآخرة أي معنى، وطبعاً يعتبر التفريق الآنف ذكره تحليلياً ومعقداً بالفعل، ويعمل "الحرمان الكنسي" نفسه كعقوبة في مجتمع لديه مستوى منخفض من الحركية البشرية، ولا يوازي "التكفير" في الإسلام "الحرمان الكنسي" بل يوازي عقوبة الإعدام.

3- أطر الخطاب الإسلامي فيما يتعلق بإنكار الحرب والعنف: ورغم عدم وجود نظام رسمي في الإسلام يعترف رسمياً بالعقائد، نجد مستوىً عالٍ من الوحدة والثبات يتجاوز الأزمنة والأمكنة ويؤيده "الشرع الإسلامي" أما في الغرب فتصنف الأخلاق والقانون في بنية ذات قيمتين كما في حالة "الخير والشر" أو الشرعي وغير الشرعي، وبالمقابل توجد لدى الشرع الإسلامي قاعدة مبنية على منطق ذي خمس قيم تتدرج تحت الأخلاق، وتصنف كل التصرفات الإنسانية تبعاً للسفسطة المنطقية إلى خمس أنواع: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام وتحدد هذه الأنواع الخمسة على الشكل التالي:

- الفرائض: التواني في فعلها يؤدي للعقاب في الحياة الآخرة.
- المندوبات: القيام بها يؤدي للجزاء لكن التواني عنها لا يؤدي للعقاب.
- المباحات: يبيح الله فعل هذه الأعمال أو عدم فعلها لكن لا جزاء ولا عقاب على فعلها أو تركها.
- المكروهات: هناك جزاء على تجنب هذه الأعمال، لكن حتى إذا فعلت فلن يعاقب فاعلها.
- المحرمات: ارتكاب هذه الأعمال يؤدي للعقاب في الآخرة.

ومن الضروري أن نلاحظ أن الشرع الإسلامي هو نظام من الأنماط التي تصف العلاقة الصريحة بين الله والبشر، وتضمن مشروعية ذلك النظام من خلال العقاب في الحياة الآخرة، فيكون العقاب في هذه الحياة عند ارتكاب الأعمال التالية: السرقة أو النهب أو شرب الخمر أو الزنا أو قذف المحصنات أو القتل أو الأذى أو إنكار الشرع الإسلامي وهو في الحقيقة استثناء، وحتى نفهم تقييم الأعمال والأحداث في العالم الإسلامي من المهم أن لا نحكم فقط بالنظر إلى الأعمال غير العادية من الأمم بل أيضاً نأخذ بعين الاعتبار توقعات الناس بما يتعلق بالحساب في الحياة الآخرة.

ويتم الحديث عن تقييم القيم الإسلامية بشكل أساسي تبعاً للفئات الخمس التي ناقشناها آنفاً، وتكمن فئة "التكفير" و"الحرمان الكنسي" على الحدود بين القانون واللاهوت والتي تصرح أن أي مناقشات خارج تلك الفئات لا تعتبر مناقشات داخلية عن الإسلام، ولهذا السبب يجب أن يفهم أن الخطاب الإسلامي ليس سلوكاً مبنياً على منطق ذي قانونين وذي قيمتين كما في حالة المفاهيم الغربية مثل "الخير والشر" و"الشرعي واللاشرعي" و"الصحيح والخطأ" و"القبول والرفض"، و"الحقيقة والشرف" و"الاتفاق والاختلاف" و"الاستحسان والإنكار"، و"الصديق والعدو". ويجب ألا تترجم بشكل خاطئ باستخدام المنطق ذي القانونين وذي القيمتين.

4- الحرب والعنف في الإسلام:

كما نرى من المناقشة الآنفة الذكر لا جدوى من تقرير إن كان الإسلام يوافق على الحرب والعنف أو ينكرها.

وموضوع البحث هو في أي من الفئات الخمس أو الست المذكورة آنفاً على المرء أن يصنف الأعمال كالحرب والعنف في ديانات وثقافات أخرى.

يمنح الشرع الإسلامي حرمة لخمسة أمور تسمى بمقاصد الشريعة وهي:

1- الحياة 2- الممتلكات 3- العرض 4- النسب 5- الدين.

وباعتبار أنه لا يسمح بانتهاك أي من هذه الخمس عندها وبالرغم من أن العنف عموماً الذي يؤدي إلى انتهاك هذه المحرمات محرمٌ شرعاً. إلا أن العنف الذي يقصد به حمايتها قد يكون مستحسناً في حالات استثنائية، وتعتبر أعمال العنف التي غايتها حماية ممتلكات الفرد المشروعة دفاعاً عن النفس من قبل الأفراد ولكن أعمال العنف المقصود بها العقاب لانتهاك الحقوق لا تقبل من الأفراد، فالقصاص في الدنيا يأتي من خلال قانون العقوبات وسلطة تنفيذ حكم المحاكم والجزاء منوطة بالخليفة أو من يمثله.

وأما الحرب فهي مسؤولية الخليفة أو من يمثله حصراً، وبينما يفرض قتال عصابات اللصوص فإن قتال المتمردين غير مفروض، وهنا يستحسن الاستسلام، أما الحروب والحروب الأهلية التي تستدعي الخروج على السلطة والتي لا يشنها الخليفة الشرعي فهي ممنوعة وقتال الوثنيين باسم الله يطلق عليه شرعاً اسم الجهاد.

والجهاد يفرض التضامن ولكن إطلاقه يتطلب شروطاً ثابتة محدودة، وتمنع الحرب حينما لا تتوفر هذه الشروط، وإن الحكم بالجهاد والقيام به يقع حصراً في نطاق صلاحيات الخليفة. ومع ذلك كما أن الأفراد يقرون أعمال العنف لدى الدفاع عن النفس لحماية الممتلكات الشخصية المشروعة، كذلك في حالات تعرض العالم الإسلامي "دار الإسلام" للغزو على أبناء تلك البلد البالغين محاربة الغزاة كفريضة جهاد دون انتظار أوامر الخليفة.

وما أسلفناه هو ملخص للخطاب الإسلامي العام فيما يخص الحرب والعنف، ومفهوم "الحرب المقدسة" ليس إلا وسيلة للتحريض يلجأ إليه مفتعلو التشويش في الغرب.

5- الخاتمة:

لقد وضحنا هاهنا المشاكل الخاصة بفهم مفاهيم الحرب والعنف منفصلة عن إطار الخطاب الإسلامي مستعملين أطر أديان وثقافات أخرى، ولكن هذا لا يعني استحالة إجراء مقارنات وتفاهم وحوار مع الثقافات والأديان المغايرة، وهذا لأن مثل هذه المفاهيم ليست ثابتة ولا تتغير في أي دين أو ثقافة بل بالأحرى هي مفاهيم حركية (ديناميكية) تتبدل من الداخل وضمن سياق التفاعل مع الأديان والثقافات الأخرى، ومن المستحيل حتما فهم الديانات والثقافات الأخرى دون الاستعداد لتغيير إطار إدراكنا بالذات، وإن كان عندنا التصميم على التغيير لن نكون ذات الأشخاص غداً الذين كانوا عليه بالأمس وإن تغير عالم الغد عندها يمكننا من أن نرى عالماً جديداً يتحقق فيه امتزاج أفقي في الإدراك وعندئذ تتعايش فيه مختلف الأديان والثقافات.

الحرب والعنف: منظور إسلامي

م. شمس الدين (M. Syamsuddin)
الجامعة الإسلامية الوطنية، جاكرتا – المجلس الأندونيسي للعلماء

الخلفية:

إن الحرب والعنف ظاهرتان عامتان في العالم اليوم، ففي الحرب الباردة الماضية لم يكن العالم خالياً من الحرب والعنف وحتى أن أنواعاً مختلفة من حالات عدم السلم حدثت في مناطق مختلفة من الكرة الأرضية. وظهرت حالة انعدام السلام بما فيها من فقر وجهل وظلم واستغلال وفساد، وأشكال أخرى من اللاأخلاقية بالإضافة إلى التوتر والنزاع والصراع والعنف والإرهاب والحرب ذاتها كتهديد عالمي وعنصر هدام محتمل للحضارة البشرية، وإن من أكثر المشاكل تحدياً التي يواجهها سكان الأرض اليوم، هذا الخراب العالمي التراكمي الذي تسببه قطاعات عديدة من العصرنة، هذه العصرنة التي تبدّت منذ النصف الثاني للقرن العشرين في كثير من البلدان، وجلبت إلى حياة البشرتأثيراً إيجابياً وسلبياً.

وبالرغم من تأثيرها الإيجابي الذي لا يمكن إنكاره كرفع مستوى المعيشة أو تسهيل الاتصالات بين الناس لكي يتمكنوا من تبادل الأفكار ويطوروا حضارتهم المادية، إلا أنها خلقت أيضاً خياراً سلبياً كتشجيع العلمانية التي جلبت بدورها اللاأخلاقية إلى الوجود وأكدت العصرنة على شكلها المادي بينما تجاهلت البعد الروحاني في حياة الإنسان، وكنتيجة لهذا أخذت العصرنة شكل الحيوانية فتسببت بخلق أزمات بشرية لأنها مهدت الطريق إلى النسبية الأخلاقية والانحلال والتحرر في المجتمع، وردّ رجال الدين على هذه الظاهرة بطلب إعادة بناء الأخلاق العالمية في الذكرى السنوية المئوية لبرلمان أديان العالم في شيكاغو عام 1993م، ومع ذلك فلم يحدث أي تغيير هام في حضارة البشر وحتى مجيء الألف الجديدة.

هذا الخراب العالمي التراكمي هو نتاج للنظام العالمي ومشتقاته في مجالات عديدة من الحياة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعلمياً. أسس هذا النظام العالمي على "مركزية الإنسان" حيث تضع الإنسان في مركز الوعي الإنساني وهذا يختلف عن العكوف أو الإقبال على الله حيث يكون الله تعالى مركزاً للوعي الإنساني وبهذا وُجهت الحياة لتحقق السعادة الروحانية والمادية. وأما الحياة التي وجهت لتركز على الإنسان فقد أوجدت رجالاً عصريين بعقدة الشعور بالعظمة والتكبر والأنانية. وكنتيجة لهذا يتنافس الرجال العصريون ويميلون للسيطرة والتحكم على

بعضهم بعضاً. وقد شجع هذا الميل في السلوك على المستوى الدولي عدة رؤساء في العالم على إظهار تفوقهم وغرورهم وجرِّ أممهم لفرض زعامة سياسية عن طريق السيطرة على أمم أخرى.

وشهد العالم اليوم ظهور القوة الزعامية، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي مما جعل الغرب يظهر كقوة متفوقة أحادية. هذه السيادة التي تظهرها الدول الكبرى في العالم قد تضمنت تحرراً سياسياً من خلال فرض ديمقراطية متحررة غربية على البلاد الأخرى دون المبالاة بأصولها التاريخية الاجتماعية والسياسة ومتجاهلة طريقة تنفيذ تلك الديمقراطية المتحررة في معظم الأحيان وبهذا تنتهك مبادئ الديمقراطية نفسها وقد أصرت أيضاً قوة السيادة العالمية على رأسمالية متحررة من خلال الضغط على أمم أخرى لتبنيها، ومن خلال أدواتها العالمية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي فأخذت الرأسمالية المتحررة تشدد قبضتها على اقتصاد دول العالم الثالث، كما مهدت أيضاً قوة السيادة العالمية الطريق إلى تحرر أخلاقي ظهر خلال علمانية المجتمع لينشر بدوره الفساد الأخلاقي، ومن ناحية أخرى فإن هذه الاتجاهات كان لها نصيب في إيجاد عدة أنواع من الفجوات والتباين بين الأمم بل وفي داخل الأمة الواحدة، كالهوة بين الأكثر غنى والأكثر فقراً وبين الشمال والجنوب وبين البلاد النامية وغير النامية.

وخلق هذا الواقع ذاته بدوره ظلماً عالمياً خدم جذور التوتر والصراع والعنف والحرب والإرهاب في العالم، ولا نريد أن نبرر الإرهاب كأكثر نوع مدمر من العنف ولكن نسبته لدين معين أو لجماعة دينية، فإن هذا وحده سيخلق ردة فعل وتبريراً دينياً، وإن شن حرب على الإرهاب عن طريق عمل إرهابي من قبل أمة ضد أخرى سيشجع ردة فعل أعظم في شكل حرب ضد إرهاب الدولة.

ليس للإرهاب جذور دينية، وليس له دين، ومامن دين في العالم يبرر الإرهاب، وهكذا فالتطرف الديني أو الأصولية لا يمكن أن يكون موازياً للإرهاب فهما شيئان مختلفان. فقد جاء التطرف الديني والأصولية كظاهرتين عامتين في كثير من المجتمعات الدينية جراء فهم في النصوص المقدسة وكردٍ رافض للعصرنة والعلمانية التي تمارسها السلطة السياسية الحاكمة، وفي حالات عديدة فإن التحديث تماشياً مع النظام العالمي قد جعل شريحة معينة من المجتمع ضحية له وهمشها وأوقعها في الحرمان، فكانت هذه الجماعات المهمشة والمحرومة تتعامل برد فعل يتحدى الأنظمة العلمانية والتي يرونها طاغية وظالمة باسم الدين وتحت شعار الدين، إن ظاهرة التطرف والأصولية في المجتمعات الدينية وكذلك الحرب والعنف بين المجتمعات الدينية يجب أن تدرس بعناية مع الأخذ بالاعتبار كلاً من العوامل اللاهوتية والاجتماعية، ولهذا فالحرب والعنف يجب أن لا يُنسبا بكل سذاجة إلى الدين لأنه قد يكون مجرد وسيلة للتبرير.

الحرب والعنف: منظور تاريخي:

إن الحرب والعنف هما بالتأكيد ظاهرتان قديمتان كقدم تاريخ البشرية.

وقد ظهر العنف والوحشية والقسوة وأشكال أخرى في الأفعال اللاإنسانية منذ بداية تاريخ البشرية ومع ذلك فإن ظواهر الحياة التي تميل إلى الإنسانية كالسلام والأمن والتسامح ومحبة الخير والحب والرحمة قديمة قدم الدين والحضارة، ومن الوجهة الثقافية تعتبر الظواهر الأولى كصفة لحياة غير المتمدنين وينظر إلى الثانية على أنها صفات عامة للمجتمع المتحضر، وفي سياق التاريخ ظهرت كلتا الظواهر معاً وتداخلت مع بعضها البعض، أما ظواهر العنف فهي كامنة في عملية التغيير الثورية في حين أن ظواهر السلام أصيلة في عملية التغيير التطورية.[1]

وإن عملية الصراع بين الطرق الثورية والتطورية قد انعكست في الصراع بين الحرب والسلام عبر تاريخ البشرية وحتى نهاية الألفية الثانية، حدثت الحروب والعنف والتوتر والصراع في كثير من أرجاء الكرة الأرضية في أوربا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، وشهد العالم في بداية الألفية الجديدة إعادة ظهور أشد أنواع العنف تدميراً ألا وهو الإرهاب بما فيه إرهاب الدولة.

وقد عانى العالم في القرن العشرين مرحلتين من الحروب العالمية، الأولى في 1914 –1918، والثانية في 1939– 1945. تبعها فيما بعد الحرب الباردة لمدة أربعين سنة (1950–1990) يرافقها التوتر والحرب في عدة أقاليم مثل كوريا وفيتنام والشرق الأوسط والخليج العربي والبلقان، ومع ذلك فإن انتهاء الحرب الباردة لم تنه الحروب والتوترات والصراعات، ومما يدعو للسخرية استمرار التوتر والصراع وازدياد احتمال صراع الحضارات في الفترة التي لم يعد فيها استقطاب مزدوج باعتبار أن الغرب بقي القوة العالمية الوحيدة.

واعتبرت نهاية الحرب الباردة نهاية للتاريخ باعتبار أن التحرر الغربي صار عنده الزخم لينتشر في كل أنحاء العالم، وبدأت الرأسمالية تستشري في بلاد كثيرة بما فيها دول العالم الثالث.

وهذا ما جعل فرانسيس فوكوياما (Fransis Fukuyama) يختم قائلاً: "ربما نشهد نهاية التاريخ كذلك، أي نهاية مرحلة النشوء العقائدي للإنسان وتعميم

---

(1) ديوكو سوريو (Dioko Suryo) من كتابه ضد العنف بلا عنف، طبع في جاكرتا 2000، ص33.

الديمقراطية المتحررة الغربية كشكل نهائي لحكومة البشر"[2].

وقد شجعت ظواهر العالم الجديدة توماس – ل.- فريدمان (Thomas L Friedman) الصحفي في جريدة النيويورك تايمز أن يبتدع نظرية القوس الذهبي بأنه ما من بلدين لديهما مطاعم مكدونالد يتقاتلان باعتبار أن كليهما لديه مطاعم مكدونالد الخاصة به.[3]

وقد يكون كلاهما مصيباً بأن القرن الواحد والعشرين سيكون عصر العولمة وفي نفس الوقت عصر الحضارة الغربية. فمن الواضح أن الغرب يمسك بزمام التفوق في حضارة العالم. ولكن الادعاء أن هذا هو نهاية التاريخ مسألة. و قد تحدى صموئيل ب هانتينجتون (Samuel P. Huntington) فوكوياما (Fukuyama) في كتابه "صراع الحضارة وإعادة صناعة النظام العالمي" وعلل ظهور حضارات غير غربية واحتمال الصدام بين هذه الحضارات والحضارة الغربية وقال: إن الانفجار السكاني في البلاد الإسلامية وارتفاع اقتصاد جنوب شرق آسيا يغيران السياسة العالمية. وتتحدى هذه التغيرات السيطرة الغربية وتشجع معارضة المثل الغربية العالمية، المفترضة وتركز في الصراع بين الحضارات على قضايا مثل الانتشار النووي والهجرة وحقوق الإنسان والديمقراطية.[4]

والانتقادات على طرح هانتينجتون (Huntington) ليست بلا مبرر، ومن بين إحدى الحجج أن مواجهة الإسلام بالغرب غير واردة لأن الإسلام أصبح موجوداً بشكل واضح في الغرب وأصبح عاملاً هاماً في الثقافة الغربية مع النمو السريع لعدد السكان المسلمين في كثير من البلدان الغربية. ومع ذلك فالصدام الوشيك بين الإسلام والغرب ليس مبالغاً فيه فهو مستمد من تاريخ طويل من المنافسة بين الحضارتين ومن العاطفة الثقافية الموروثة من تفاعلاتهما التاريخية.

وإذا وضعنا الإسلام جانباً وعلاقته بالغرب فإن طرح هانتينجتون يوحي بأن انكماش العالم كنتيجة للعولمة لن يؤدي بالضرورة إلى عالم هادئ ومنسجم،

---

(2) فرانسيس فوكوياما (Fransis Fukuyama) نهاية التاريخ (The End of History) مجلة The National Interest طبعة الصيف 1989.

(3) توماس ل فريدمان (Thomas L Friedman)) في كتابه "سيارة ليكساس وشجرة الزيتون وفهم العولمة" طبعة نيويورك عام 2000 صفحة IX.

(4)صموئيل ب هانتيجتون (Samuel P. Huntington)وكتابه صراع الحضارة وإعادة صياغة النظام العالمي، طبعة نيويورك 1996 ص31.

باعتبار أن العالم يتطور مع خط الحضارة، لذلك قد يؤدي هذا إلى صدام حضاري، وتبع هانتينجتون الكثير من المفكرين ووضعوا سيناريو أسود لمستقبل تاريخ الإنسان فـ كابلان Kaplan مثلاً، كان قد تنبأ بأن ما سيظهر في القرن الجديد لن يكون عالماً هادئاً ومنسجماً ولكن عالماً مليئاً بالفوضى أو ما يسمى (بالفوضى القادمة) أي العالم المنقسم إلى عدة ثقافات وحضارات صغيرة، وتنبأ هانز ماجنس انتسن برجر (Hanz Magnus Entzensberger) أيضاً بأن العالم لن يواجه في فترة ما بعد الحرب الباردة أي حالة من الهدوء والسلام ولكنه سيواجه عنفاً عارماً بظهور صراعات بين جماعات صغيرة غير منظمة وبدون سبب واضح.

وهذه على ما يبدو نظريات يوم الحساب وهي بالفعل تطورات لما لاحظناه سابقاً في النصف الثاني من القرن العشرين حين رأى الكثيرون أن العالم سيواجه معضلات نشأت من حقيقة أن العالم تطور عسكرياً وتقنياً واستمر إلى أن وصل إلى مجمع صناعي عسكري وبعد ذلك إلى سباق التسلح بين الدول المتطورة، وقد عرف العالم في ذلك الوقت اصطلاح "نظام الحرب" الذي أدى إلى "مشكلات عالمية" كما صرح ستانوفيك Stanovnik «تبدو المشكلة العالمية لسباق التسلح والإعداد العسكري بأنها ترمز إلى تفاقم أزمة العالم الحالية» وما هذا إلا تعبير عن التناقضات العميقة والعداوة التي قسمت العالم وجعلته يعيش في صراع بد لا من أن يكون متعاوناً[5]. وهو أيضاً وفوق كل شيء يظهر مواهب البشر الخلاقة واللامحدودة في البحث العلمي تُستغل وتحُرف عن الهدف وتسير بعكس الغريزة الفطرية للبقاء على قيد الحياة[6].

ومن المنظور النفسي فإن الحرب والعنف هما شيء متأصل في الغريزة البيولوجية للبشر وهذا يسمى بالغريزة العدوانية، وبسبب هذه الغريزة يميل البشر إلى الهجوم العدواني على الآخرين من خلال صراعهم على البقاء والبقاء للأصلح، وقد تحول العنف إلى حرب شاملة عندما بدأ الناس يتحدون على أساس من التضامن كالقومية والقومية المصغرة والشيوعية والمعتقدات الدينية والمصالح الاقتصادية والمذاهب السياسية.

وإن جمع غريزة العدوان والشعور بالتضامن سيشجع الناس على الانخراط

---

(5)انظر دجوكو سوريو في كتابه سير العارفين ص58.

(6) ج.ستانوفينك (J. Stanovnik) من مقالة "المشاكل العالمية ودور العلم والتكنولوجيا في حلها" في كتاب ج. جفيشياني (J. Gvishiani) "العلم والتكنولوجيا والمشاكل العالمية" طبع أوكسفورد 1979 صفحة 41 وقد وردت في كتاب م. شمس الدين "الدين والسلام" ص9 (لم ينشر بعد).

في الكفاح من أجل الوجود بينما ينكرون أحياناً وجود الآخرين، ونتيجة لذلك فإن الاتجاه للتعايش كشرط أساسي للعيش معاً في مجتمع متعدد بدأ يتلاشى، وإذا ما تحرك الناس بغريزة بشرية أخرى كالحاجة إلى القوة فهذا يدفعهم للسيطرة على الآخرين، وفي المقياس السياسي الدولي فإن هذا الميل سيخلق نزوعاً للسيطرة ولتكوين زعامة سياسية من قبل نظام حكم يسيطر على الآخرين بين الأمم وضمن الأمة الواحدة.

وهكذا فالحرب والعنف لا يدفعهما مجرد العامل النفساني فقط ولكن تدفعهما العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي هذا السياق فإن أي حرب أو عنف بين جماعتين أو أكثر من الناس المتدينين ليست بالضرورة مستمدة من دافع ديني حقيقي، فالدين قد يستخدم كوسيلة تبرير، وهكذا فالحرب والصراع يجب أن لاينظر إليهما بأنهما ذو طبيعة دينية ولكنهما حرب وصراع بدرجات دينية متفاوتة.

النزعة المزدوجة للدين:

إن للأديان على ما يبدو نزعة متعارضة نحو السلام والوئام، فمن ناحية تدعو للسلام والوئام بين الناس من معتقدات مختلفة لأنها أتت من إله واحد وهم أعضاء عائلة عظيمة من البشر، ولكن الأديان من ناحية أخرى تدعو لحرب أناس آخرين، والدعوة الدينية للسلام والحرب لها ما يبررها في كتبها المقدسة.

فهل للدين طبيعة مزدوجة نحو السلام والوئام؟ الجواب نسبي ويعتمد على كيفية تأويل النص الديني، ويعتقد الكثيرون أن الأديان في تعارض حقيقي، فالدين يعلم أتباعه العيش في سلام وانسجام مع إخوانهم في الدين ولكن إن كان هناك أسباب تدعو إلى الحرب فالحرب لا بد منها.

ويعتقد الآخرون بأن الأديان تعلم القيم الجيدة فقط ولذلك فهي لا تدعو إلى الحرب والآيات في الكتاب المقدس التي تهتم بالحرب يجب أن تُقرأ في سياق الزمن الذي نزلت فيه، ويمكن كحلٍ آخر اعتبار الحرب طريق لابد منها للسلام. وبكلمات أخرى الحرب وسيلة لإقامة السلام لأنه إذا كان هناك صراع بين الخير والشر فالشر لا بد أن يُقهر.

ومن المنظور اللاهوتي والفلسفي فإنه يعتقد بأن الدين يدعو إلى السلام فقط وليس للحرب ولكن الدين في مظهره التجريبي له ازدواج تجاه السلام والوئام ومن الصحيح بأن الدين يمكن أن يخدم كقوة متكاملة لتمهد الطريق نحو السلام والحوار والتعاون، ولكن في وقت آخر يمكن أن يكون أيضاً قوة مفككة تؤدي إلى الصراع والعنف والحرب.

هذا الوجه اللاتكاملي للدين يظهر في ثلاث خصائص على الأقل في ضمائر المؤمنين:

أولاً- يتكلم الدين عن الحكم المطلق وهذا يصبح نتيجة لأزمة للاعتقاد الخاص والشخصي في الحقيقة المطلقة أو الله، وهذا المطلق غالباً ما يأتي بعده موقف يرفض بقية المعتقدات، وفي حالات كثيرة يصبح هذا المطلق كجذر للتعصب والطائفية التي تؤدي إلى الصراع في كلا المستويين الداخلي والخارجي للمجتمع الديني.

ثانياً- يدعو الدين إلى التوسع والانتشار وهذامبدأ يفرض على أتباع هذا الدين أن يوسعوا أو ينشروا معتقدهم إلى كل البشر، ويشهد تاريخ الأديان على هذه الحقيقة وذلك بأن كل الأديان تقريباً قد توسعت وانتشرت خارج مهدها، هذا التوسع الذي له شرعية لاهوتية في الكتاب المقدس يُعتقد به كرسالة مقدسة يجب أن يُأخذ بها، وتبدأ المشكلة بالحدوث عندما تنجز هذه الرسالة من قبل جماعة متدينة على حساب أخرى وهذا يخلق تفاعلاً لا مناص منه ويصبح دافعاً يؤدي إلى التوتر والصراع.

ثالثاً – إن للدين أيضاً نزعة اختراق مناطق غير لاهوتية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، هذا الاختراق الذي يأخذ شكل توظيف للعاطفة الدينية في هذه المجالات، قد يحدث نزاعاً أو صراعاً دينياً.

هذه الخصائص الثلاث للدين غالباً ما تكون من الناحية العملية عوامل للحرب والعنف ثقافياً وسياسياً، وقد أرانا تاريخ الإنسان شواهد لحروب عظيمة باسم الدين قتلت ملايين البشر ودمرت دور العبادة بالآلاف، وهكذا تُبرر الحرب المقدسة وتُعطي المصطلحات الدينية كالجهاد والحملة الصليبية معنى صارماً ومتشدداً يتعلق بالحرب المقدسة.

وجهة نظر إسلامية:

يقوم المنظور الإسلامي للحرب والعنف على طبيعة مبدأ الإسلام بالذات، والإسلام كدين يحض على التوحيد الخالص والصارم و هو يؤكد على عقيدة التوحيد ويجعلها مركزية أساسية، ولا يعلم التوحيد فقط بأن الله القدير هو واحد وهو رب الناس وملك الناس وإله الناس الذي لا يعبد سواه، بل يعلم أيضاً بأنه رابطة ينجم عنها وحدة الخلق ووحدة الوجود ووحدة المعرفة ووحدة الحياة.

ومبدأ الوحدة هذا يتضمن وحدة البشر ووحدة حضارتهم، ولا يستلزم مفهوم الوحدة في هذا السياق معاملة موحدة للأشياء، ولكنه يوحي بأن هناك توافقاً وتناظراً بين الخالق والمخلوق وبين كل المخلوقات، ونتيجة لذلك فالبشر يجب أن يكونوا ملزمين بإنسانية واحدة وبمستقبل وغاية واحدة للحياة.

الإسلام هو دين السلام وكلمة إسلام مشتقة من الفعل سلم وتعني حرفياً السلام والسلام والأمن والكمال والتكامل والصحة. فكلمة إسلام أساساً تعني السلام ويتحقق السلام في استسلام وخضوع الإنسان لله الخالق، ويعني الخضوع هنا أن

الإنسان يحرر نفسه من الخضوع لما سوى الله كما توحي عبارة "لا إلـه إلا الله". وتستمر عملية التحرر إلى السعي من أجل الخلاص. ومع ذلك فالإسلام لا يـأمر فقط بأن ننال خلاص النفس بل الخلاص الجماعي أيضاً أي خلاص كـل البشـر، وتنتهي عملية التحرر والخلاص بنوال السلام لذلك يطلب من المسلم أن يُنشد دعاء خاصاً من أجل السلام، ويكون هذا عادة بعد الصلاة وهو كالتالي:

اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام. فأحينا اللهم بسلام وأمتنـا بسلام وأدخلنا دار السلام بسلام يا ذا الجلال والإكرام.

فمن هذا الدعاء يتوضح أن الإسلام يعلم السلام ويوجه أتباعه ليعيشوا بسلام، لأن السلام هو الغاية النهائية للحياة، ويتعلم المسلمون بأن يمارسوا هـذا السـلام بشكل رمزي خمس مرات يومياً بتلاوة تلك الكلمات "السلام علـيكم ورحمـة الله وبركاته" أي لينزل الله عليكم حبه ورحمته وسلامه، وعند تلاوة هذه الكلمات فـي صلاتهم اليومية الراتبة يلتفت المسلم بوجهه يميناً ويساراً ويقولها، وهذا يعني أنـه ينشر السلام على كل من حوله، ويبدأ المسلم صلاته النظامية بقـول: الله أكبـر، وينهيها بكلمات السلام تلك، وهذا يوضح بأن هناك علاقة شاقولية مع الله يجب أن تتواصل بعلامة أفقية مع البشر. ومن خلال تحليل محتوى الصلاة هذه تجد تحولاً في شعور المصلين من توجه شخصي إلى توجه جماعي وهذا يبين أن المسـلمين يجب أن يطوروا تقواهم الفردية إلى تقوى جماعية كذلك.(7)

وتتلقى هذه التعاليم الدينية للمسلمين لبناء السلام من الرسول (صلى الله عليه و سلم) دعماً أكثر من ذلك عندما يأمر المسلمين بإفشاء السلام. والعمل بـذلك لا يأخذ فقط شكل إلقاء التحية بقول "السلام عليكم"، ولكن الأهم هو تحقيـق السـلام بأفعال محسوسة "أدناها" وفقاً لحديث آخر للرسول "إماطة الأذى عن الطريق".

هذا التوجه الذي يدعو للسلام في الإسلام موضح في القرآن بأكثر من ذلـك وهو أن جوهر رسالة الإسلام ليس إلا إقامة السلام والرحمة للعالمين(8). وتعنـي هذه الرؤية الإسلامية حول مستقبل حضارة الإنسان بأنها يجب أن تكون محاطـة بالحب والرحمة والسلام بنداء إلى سلام عالمي، ويجب أن نضيف هنا فكرة أخرى وذلك بأن التعاليم الإسلامية المتعلقة بالسلام تتناول أيضاً وجهة أصولية في البحث وهي أن معالجة السلام يجب أن تكون شاملة وإجمالية، وهناك آيـة فـي القـرآن تفرض الدخول في السلام من قبل الجميع: "ادخلوا في السلم كافـة" [السـورة11- آية208].

(7) المسلمون في صلاتهم اليومية يقرأون أدعية مختلفة تبدأ بمشاعر شخصية مثل: اللهم اغفر لي، إلى أدعية تحمل روح الجماعة باستعمال كلمات "السلام علينا وعليكم".

(8) الكثير من التفاسير تفسر كلمة "العالمين" بأنها تعني كل المخلوقات وليس فقط البشر.

هذه التعاليم التي تتعلق بالعقيدة في القرآن والحديث النبوي والتي شرحناها آنفاً توضح بجلاء طبيعة الإسلام كدين سلام، إذاً فما معنى الحرب التي تذكر مراراً بشكل واضح في مصدري الإسلام القرآن والحديث وهو شيء حقيقي واقعي في تاريخ الإسلام؟ من المهم أن نعرف أن القرآن قد ذكر كلمة الحرب بنفس عدد مرات كلمة السلام، وبالرغم من أن كلمة الحرب بمعناها الحرفي قد ذكرت فقط ست مرات، ذكر المرادف لها وهو القتل ومشتقاته نحو مائة وسبعين مرة وكلمة الجهاد ومشتقاتها قد ذكرت إحدى وأربعين مرة مقارنة مع كلمة السلام والتي ذكرت مائة وإحدى وخمسين مرة.

وبالطبع فهذا التكرار لا يعني أن الإسلام يؤكد على الحرب أكثر من السلام. فقد بين العلماء المسلمون بأن الحرب في الإسلام لاتهدف إلى مهاجمة الآخرين ولكنها للدفاع عن النفس وأسباب الحروب العديدة في التاريخ الإسلامي وخاصة في عهد الرسول محمد(صلى الله عليه و سلم) كمعركة بدر وأحد فقد كانت دفاعاً عن النفس ضد التهديد والهجوم من الأطراف الأخرى، ولا يوجد هناك حقائق في التاريخ الإسلامي تثبت بأن المسلمين قد انخرطوا في حرب بادرة وبدافع الهجوم على الأعداء، ولتحقيق الدفاع عن النفس يبدو الإسلام قوياً في الدعوة له كما هو مبين في عدة آيات في القرآن مستعملاً كلمة "قتال".

ومع ذلك فإن إصرار الإسلام على التوحيد ودعوة الناس إلى التوحيد الحقيقي والصارم بعيداً عن تهديد وإجبار(9) قد يلمح إلى إمكانية المبادرة في حرب ضد الكفر.

وبالفعل يفرض الإسلام الحرب على الكفر لأنه في المنظور الإسلامي يناقض الفطرة الدينية الإنسانية التي تدفع للإيمان بوحدانية الله ولذلك هو ضد الإنسانية، ويذكر هذا الدافع المبرر للحرب في القرآن في السورة (8) آية (39) "*وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير*" ومع ذلك يجب أن يكون السلام في المحل الأول كما تفرض الآية (61) في نفس السورة "*وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم*".

وتدل هذه الآيات بوضوح أن السلام والحرب هما فكرتان مختلفتان في المفهوم، ولكنهما متصلتان في الجوهر فالسلام هو المثالي والحرب طريق لابد منها للوصول إلى هذه المثالية، وقد عبر عنها البرفسور مارك جوير جينزماير (Mark Juergensmeyer) في عبارات جميلة "الإسلام فيه غموض حول العنف. وكبقية الأديان يسمح الإسلام بين الفترة والأخرى ببعض القوة بينما يؤكد بأن

(9) هناك آية في القرآن تشترط بأنه "لا إكراه في الدين".

الهدف الروحي الأساسي هو اللاعنف والسلام".[10] ومن الصحيح بأن الصفة الرئيسية للإسلام هي السلام ولذلك فإن الإسلام يتحسس بشدة تجاه كل أنواع حالات انعدام السلام وخاصة الظلم، الإسلام دين السلام وفي نفس الوقت هو دين العدل، وضرورة العدل هذه غالباً مايدعى لها في آخر خطبة يوم الجمعة من كل أسبوع وذلك بتلاوة الآية القرآنية *إن الله يأمر بالعدل والإحسان*".

ومن المناسب في هذا السياق أن نركز على مفهوم الجهاد الذي يساء فهمه، وهذه المبادرة مشتقة في اللغة العربية من فعل "جهد" ويعني حرفياً الجهد الجاد الذي يسعى لتحقيق أهداف نبيلة ومثالية، وكمبدأ هام في الإسلام فإن الجهاد من حيث المبدأ له بُعد روحاني وأخلاقي وفي درجاته العليا فإن الجهاد يأخذ شكل تطهير للنفس لتكون أقرب لله وقمع للنفس ومنعها من الأفعال السيئة، ومن الصحيح أن نقول بأن مبدأ الجهاد يتضمن حرباً مقدسة أو التحاماً مادياً خاصة من أجل الدفاع عن النفس وحماية كمال واكتمال الجماعة المسلمة. ولكن في نفس الوقت فإن له شمولية أوسع في المعنى لأنه يتضمن جهوداً مخلصة أو كفاحاً في كل مجالات الحياة، كالاقتصاد والسياسة والدبلوماسية والعلوم والمعلومات... الخ. وهذا هو المقصود في الآية القرآنية: "*وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم*"[11] [السورة 9 الآية 20]. فضرورة الجهاد "حتمية" يجب أن تنجز أولاً وفي أقصى المستطاع من خلال بناء قدرات مادية لحل كل المشاكل الموجودة ومن ثم من خلال تطوير أفضل للمواقف كالصبر والإصرار والثقة لمواجهة كل التحديات.

ومن هذا المنظور القرآني فإن الجهاد في معناه الضيق "لقاء مادي أو حرب" يسمح به في حالات معينة وفي شروط أساسية.

أولاً: الجهاد أو الحرب ويمكن القيام به دون تفريط وهو مقصور على الذين يقاتلون ضد المسلمين. "*وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين*" [البقرة 19].

ثانياً: الجهاد في معنى الحرب يمكن أن يكون ضد هؤلاء الذين يهاجمون المسلمين ويطردونهم من بلادهم. "*لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا غليهم إن الله يحب المقسطين*" [60- آية 8].

ثالثاً: إذا كان هناك عرض أو مبادرة من الأعداء نحو السلم. عند ذلك تعطى

---

(10) مارك جوير جنز ماير (Mark Juergensmeyer) "الإرهاب في ذهن الله.. النشوء العالمي للعنف الديني"، مطبعة بيركلي (Berkeley) عام 2001 صفحة 79.

(11) كلمة أموال هي جمع مال تعني الثروة وتتضمن كل الإمكانيات المادية – والمعنى الصحيح للأنفس هو النفس وليس الروح كما تترجم أحياناً -مفردها: نفس- جمعها: أنفس.

الجهود من أجل السلم حق الأفضلية كما هو موضح في الآية: *"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم"* [8 – آية61].

رابعاً: يجب أن تكون الحرب دون إفراط أو مبالغة، وقد أمر الرسول محمد(صلى الله عليه و سلم) المسلمين أن يضمنوا ويحموا حقوق المدنيين خاصة النساء والأطفال والأراضي المزروعة وأماكن العبادة ورجال الدين.

وعند تناول قضية الإرهاب كقضية عالمية حاسمة مباشرة بعد الأحداث الإرهابية في الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، فإن للإسلام موقفاً واضحاً فهو ضد كل أنواع الإرهاب كما أنهى بذلك ولتر لاكير (Walter Lacquer) كتابه "عصر الإرهاب" بقوله: "إنه لا يوجد تعريف للإرهاب يستطيع أن يغطي كل أنواع الإرهاب التي ظهرت خلال التاريخ". فلا يمكن أن يبرر الفعل الإرهابي بكل أنواعه بما فيه الإرهاب الحكومي، ومن المنظور الإسلامي فإن الإرهاب جريمة ضد البشرية ولذلك يجب أن يدان. ويوضح القرآن هذا في الآية: *"من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً"* [المائدة: 32].

وردة فعل المسلمين تجاه الإرهاب واضحة ومحددة، وذلك بأنهم يدينون الإرهاب بقوة لأن الإرهاب بكل أشكاله ليس له أصل ولا جذور في الإسلام، وإذا أظهر العالم الإسلامي ردة فعل متشائمة تجاه الحرب على الإرهاب التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش فذلك لأن الحرب على الإرهاب تمثلت شكل اتهام للإسلام وعممته على المجتمع الإسلامي مما يدمر صورة الإسلام، وأكثر من ذلك فالحرب على الإرهاب قد أخذت شكل الإرهاب ذاته من خلال الهجوم على بلاد أخرى والاعتداء عليها من غير أسباب مبررة، وهكذا فالحرب بالهجوم والاعتداء وغزو البلاد الأخرى ذات السيادة ليست بالجواب.

ملاحظات الختام:

ومن المنظور الإسلامي فإن الحرب والعنف هما خطران عظيمان على حضارة البشر ولذلك يجب منعهما. وهكذا يجب أن يباشر هذا بعمل عالمي تجمعي بالسيطرة على التخريب العالمي التراكمي وهذه مهمة كل المؤمنين وذلك بأن يعملوا جميعاً وأن يضموا أيديهم إلى بعض ليطلقوا جهودهم النبيلة كي يؤسسوا نظاماً عالمياً جديداً في عالم هادئ مسالم قائم على قيم أخلاقية.

وبالرغم من اختلافاتها في الكثير من الأشياء فإن الأديان تشترك في قيم أخلاقية تهتم بالسلام، وقد حان الوقت الآن لكل المتدينين بأن يظهروا التزامهم

المشترك بالسلام عن طريق جهود مشتركة تهدف إلى الخلاص من كل أنواع الخلافات وانعدام السلام في العالم، وأن يضعوا حداً للعنف والإرهاب ويقاوموهما بكل إخلاص.

باسمه تعالى

الحرب و السلام من منظور الشريعة الإسلامية

اشرف البروجردى
وزارة الداخلية بايران

يشير تاريخ تكوين الديانات السماوية إلى استتباب الأ من والسلام في الوسط الاجتماعى حيث الدافع الأ مثل لكافة العقائد تدويل الاستقراروالحد من الفوضى

من هذا المنطلق يمكن استقراء الحالة الاجتماعية و البيئة المنشئة لهذه الديانات عبر الكلمات التى ينطق بها الوحى إذ أن الدافع الأساسى للبعث يتعاظم فى التآخى والمحبة حيث يشير الذكر الحكيم :

« و كنتم على شفا حفرة من النارفأنقذكم منها و كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »[i] ؟

صدق كتابه و أنباؤه.

اما الحرب والإسلام من منظور الديانات السماوية و بخاصة الشريعة الإسلامية فهي محط اختلاف و جهات النظر من حيث المبدأ و مدار التغطية و زمن النشوب بحيث أن الفتاوى الصادرة بهذا الشأن من جانب علماء الدين و تعددية الاستقراءات و التفاسير الواردة حول آي الذكر الحكيم من منظور السيرة النبوية أدت الى بروز و جهات نظر متباينة تتراوح بين الانعزال و الصمت من جانب و التسلح و خوض المعارك من جانب آخر.

كذلك نلاحظ أن الشريعة لن تسمح باستعمار قوم أو الاعتداء عليهم بغية السيطرة عليهم اقتصاديا و اجتماعيا حيث تعتبر هذه البادرة ظليمة حيث يصرح الذكر الحكيم:

« لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »[ii]

فى ضوء ذلك يتحتم علينا أن نردف الجهاد[iii] بالدفاع عن النفس و الكفاع ضد أى عدوان أو إعتداء يكسبه الشرعية و يمكن أن تغطي هذه البادرة أو الظاهرة جوانب من الحياة الاجتماعية تتراءى فى الأنفال و الثروات و الملكية و الشرف الإنسانى. إذًا لو صح لقوم ما أن يدافعوا عن كيانهم و استقلالهم تجاه اعتداء قوم آخرين فيمكن اعتبار هذه الجهود ممدوحة ولها مشروعيتها.

و بغض النظر عن الجهاد الذى يتسم بالدفاع حسب مفاهيم آى المصحف المرتل، يترادف لفظ الحرب فى القرآن الكريم في كلمات مثل القتال و النفر و الغزو و الفتك و الاغتيال و ما قارن ذلك ، كقوله تعالى:

« **قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم** »[iv]

و كذلك:

« **انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأ موالكم و أنفسكم فى سبيل الله ..**»[v]

أما الجهاد الذى يعتبر بابا من أبواب الجنة فإنه يغطى القطاع الأوسع من الحياة الاجتماعية ، يقول تعالى:

« **الذين آمنوا و هاجرا و جاهدوا فى سبيل الله بأ موالهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون** »[vi]

و تأتى حروب صدر الإسلام و بخاصة منها التي وقعت أيام حياة الرسول بكونها أداة لوقاية الكيان الناشئ حيث سنة الله التي سنها فى الأديان التى سبقت الشريعة الإسلامية[vii] ، يقول تعالى:

« **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة و الانجيل و القرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذّى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم** »[viii]

إضافة إلى ذلك تتسم الديانات السماوية بالسلم و يشير القرآن إلى أن:

« **و الصلح خير** »[ix]

لكن فيما إذا لن تجنح أمة في الوصول للسلم و التعايش السلمى و الكرامة البشريه يتحتم عليها القتال حيث لايجدى السلام بشيئ.

و لأن الخلق و البوادر الكونية تبدأ مسيرتها من النقصان للسير فى درب التكامل حسب مقدراتها وطاقاتها ، و كل ما يتصدى هذا السير لعرقلته و يقف بوجه هذا التكامل يسبب نشوب المنازعات و الحروب حيث جهاد ابن آدم لتكوين الكيان التكاملى. إذًا علينا أن نأخذ بعين الاعتبار بأن الدفاع عن العقيدة والذي يسبب في نشوب الخلافات والمنازعات والحروب كان إثر هنا التوجيه المتكامل ، و قد تدل الآيات القرآنية على ذلك حيث « **لا إكراه فى الدين** »[x]

و أما فى العصر الحاضر فإن الاسلام يواجه حربا معلنة وخفية من القوى الحاكمة و المتحكمة فى العالم المعاصر، قوى الغرب الحضارى الحديث بما يملكه و يسيطر عليه من أدوات سياسية حاكمة ذات قدرات أمنية وعسكرية فائقة وقدرات إعلامية وثقافية غدت ذات تأثير كاسح مخيف فى العقود الأخيرة من هذا القرن الميلادى بعد ثورة الاتصالات، وأدوات إقتصادية تتحكم بانتاج و تجارة المواد الخام و صناعتها وتتحكم فى برامج و سياسات التنمية فى العالم الثالث كله وخصوصا فى العالم الإسلامى ، و قد واجه الغرب الحضارى الحديث منذ بدايات تكونه فى عصر النهضة الأوروبى التحدى الإسلامى الذى كان يشكل فى وقت ما تحديا عقيديا و سياسيا

و إقتصاديا و تنظيميا ، وما يزال يواجه هذا التحدي حتي الآن مع العلم أن بناه التنظيمية السياسية قد تحطمت بسقوط وانحلال الدولة العثمانية.

و لم يعد تحديا اقتصاديا تجاريا بعد الثوره الصناعية و التقدم العلمى الشامل فى الغرب الحضارى و امتلاك قوى الحضارة الحديثة نتيجة لذلك حدثت أزمة الاقتصاد فى العالم كله.

ولكن الاسلام بقى -كماكان دائما- تحديا ثقافيا للغرب الحضارى ولقواه المسيطرة ، و هو تحد ثقافي يحمل دائما فى أحشائه مشروع انبعاث سياسي تنظيمي لعالمه ، وهذا ما يجعله ضدا لقوى الغرب الحضارى و لمشروع السيطرة العالمى ثم الكونى ، و هذا يجعل المجابهة بين الإسلام و بين هذه القوى قدرا لا بد منه .

ولكن الإسلام بما هو ثقافة – صيغة حياة، و مشروع حضارة و نظام مجتمع و أمة لم يستسلم أبدا ، و لم ينحسر عن ساحة المواجهة فى جميع مراحل و محطات الصدام مهما كان.

و آخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين- حسبنا الله و نعم الوكيل .. نعم المولى و نعم النصير.

المصادر "

[i] سوره آل عمران، آية 103.

[ii] سوره البقرة، آية 190.

[iii] وردت كلمة الجهاد فى القرآن فى 72 مرة هى: آيات 190، 216، 194، 218 و 244 من سورة البقرة، آيات 13، 121، 128، 139، 147، 190، و 200 ةمن سورة آل عمران، آيات 66، 71، 84، 89، 91، 94، 97، 99 و 104 من سورة النساء، آيات 35، 54 من سورة المائدة، آيات 5 الى 19، 39 الى 52، 57، 60الى 64، 72الى 75 من سورة الفرقان، آيات 37 الى 59، 111، 122 من سورة التوبه، آيه 110 من سورة النحل، 39 و 78 من سورة الحج، 52 من سورة الأنفال، آيات 6 و 69 من سورة محمد، آيه 15 من سورة الحجرات، آية 11 من سورة الصف و آية 9 من سورة التحريم تبحث عن تشريع الجهاد. أيضا آيات 2و64 من سورة البقرة، 155، 157 و 167 من سورة آل عمران، آيات 72 تا 74 من سورة النساء، آيات 81و 87و 92 و 97 من سوره التوبة، آيات 133 من سورة الأحزاب، آيات 20 تا 30 من سوره محمد تبحث عن موضوع هزيمه المنافقين من الجهاد. أيضا آيات 216 تا 218 من سورة البقرة، آية 95 من سورة النساء، آيه 121 من سورة التوبة و آية 10 من سورة الحديد تبحث عن فضيلة الجهاد و المجاهدين. أيضا آيات 90 تا 92 من سورة التوبة تبحث عن الذين لا يجب عليهم الجهاد و اخيرا آيه 72 من سورة الانفال، آيات 41، 44، 81، 88، 111 من سورة التوبة و آيه 15 من سورة الحجرات و آيه 11 من سورة الصف تبحث عن الجهاد بالمال.

[iv] سورة البقرة آية 190.

[v] سورة التوبة آيه 41

[vi] سورة التوبة آيه 20

[vii] كان لى دراسة فى الآيات المشتر كة التى نزلت على الرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وسلم) و الأنبياء الذين سبقوا المختار – موسى(ع)- عيسى(ع)- ابراهيم(ع)- سجلت على النتايج التاليه:

الف- ان الوثنية و عبادة الاصنام كانت هى القائم المشترك بين عهدى النبى محمد و إبراهيم عليهما الصلوة والسلام و لذلك فقد اختصت الآيات المشتر كة بينهما بمعرفة البارى عزوجل و مرد توصيف الإشارة إلى صفاته و الإشارة إلى نعوته

ب- بعث النبى إبراهيم للكلدا نيين الذين كانوا يقطنون بابل وأرض العراق و كانت لهم حضارة عريقة ومرموقة ، تتضمن الدستور الحمورابى الذى عثر عليه المنقبون و رواة علم الآثار خلال تنقيباتهم في أرض الرافدين و عثور هم على المخطوطات الأثرية بحيث يعتقدون أن امة أبراهيم كانت لها أسس تقنينية تمهد الدرب لادارة شؤون الاجتماع ، ولكن كان ينقصها التوحيد فى نفس الوقت و لذلك نراها كانت بحاجة ماسة إلى دليل يرشدهم سواء السبيل و لذلك يطلق على شريعة إبراهيم شريعة التوحيد .

ج- و من خلال دراسة الآيات المشتر كة فى التوراة و القرآن (الآيات الأولى إلى الحادية و العشرين من جزء 42 و كذالك الآيات الأولى إلى الثانية والعشرين من جزء 60 و هكذا الآيات الأولى إلى الثانية عشرة من فصل 54 و الآيات العاشر إلى

الثانيةعشرة من فصل 28 من سفر أشعيا النبى من التوراة و الآيات 45 من سورة الأحزاب، الآية الأولى من سورة الأنعام، سورة الإسراء آيه 111، وآيه 58 من سورة الأنعام من القرآن)
و المشتركانت بين ما نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) و ما جاء به النبى موسى (عليه السلام) تحمل طابعا تقنينيا و تشريعيا ويمكننا أن نستلهم الواقع الذى كان يعيشه بنى اسرائيل و إقبالهم على الدنيا من خلال دراسة الوضع الاجتماعى لشتى فئات هؤلاء القوم التى كانت تبقى إحداها على الأخرى حيث المعايير الخلقية اختفت من أوساطها و نلاحظ عند دراسة التوراة أن تنزيل النبى موسى(عليه السلام) يؤكد فى اكثر من موقع على أسس الأخوة البشرية ورعاية حقوق الآخرين أكثر من تأكيدها على معانى التوحيد.
د- لم تتطرق الروايات الى الآي المشتر كة بين محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح (عليه السلام) ، عند دراسة هذه البادرة، يتبادر إلى أذهاننا أن نعزى سبب غياب الاشتراك إما الى كون تعاليم التوحيد واحدة وتمضي على درب واحد وعلى سبيل متماثل تارة ، أو فرضهما على طرفى نقيض تارة أخري، ولكن يمكن افتراض وجه ثالث و هو أنه لم يرد ذكر للآى المتماثلة و المتشابه لتصديق شريعة المسيح لاسبقيتها من تقنين أتى به الحكيم(عليه السلام) و يمكن افتراض وجه رابع إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا و يوحنا) كتبت من بعد النبى عيسى(عليه السلام) و لذلك لن تتطابق مع الآيات القرآنية ، و لم يسهل علي الباحث بين كتابى البارئ عزوجل ، و تقديم إثبات هذا الفرض على صفوة إدلة مقنعة.

viii سورة التوبة آية 111

ix سورة النساء آية 128

x سورة البقرة آية 256

المراجع "

1 القرآن الكريم
2- بروجردي ، أشرف ، درساة حول الآيات المشتركة بين الأنبياء : محمد (ص) ، إبراهيم (ع) ، موسى (ع) وعيسى (ع) من خلال القرآن الكريم ، صحف ‘براهيم ، التوراة والإنجيل طهران كلية الفقه والحديث جامعة طهران 1996م
3- شمس الدين ، شيخ محمد مهدي فقه العنف المسلح في الإسلام بيروت المؤسسة الدولية للدراسات والنسر 2001م 1422هجري
4- مظهري ، مرتضى الجهاد طهران صدرا 1980م

الجلسة الثانية: تعليقات ومناقشة

1- د. ياسبر سفارتفيك (جامعة لوند): (Jesper Svartvik)

قلائل أولئك الذين يجادلون جيسيكا شترن (Jessica Stern) عندما تذكر أن القرن الواحد والعشرين يشهد انبعاث الإرهاب المقدس(1)، إن جيلي الذي ترعرع في السبعينات من القرن الماضي وهو يشهد برامج الأخبار تروي عن الإرهاب السياسي للجماعات اليسارية الراديكالية الناشطة مثل اللواء روس (Brigate Rosse) وعصابة بادر ما نهوف (Baader- Meinhof) وبيو جانج زفي جوني (Bewegung Zwei Juni) قد شهد التحول من الإرهاب السياسي إلى الإرهاب الديني، وأمام ناظري اليوم الجماعات الإرهابية المعاصرة بخطابها الديني العميق بدرجة عالية محسوسة، ومن أجل تبسيط الحالة الحاضرة نقول إن الإرهابي العادي قد وضع جانباً المذكرة السياسية وباشر الاستشهاد بالقوى الدينية بدلاً من ذلك وليس كل ذلك لتبرئة السياسة والدين من مسؤوليتهما (بمعنى أن الإرهابيين هم ما هم عليه ولكن دوافعهم قد تحولت من وقت لآخر) بل للتأكيد على ضرورة السعي لفهم ظاهرة الإرهاب المميتة باسم الله (والذي هو عنوان كتاب جيسيكا شترن). وقد يكون تشارلز تاونشيد (Charles Townshend) مبالغاً جداً حينما يقول: بأن ثمانين بالمائة من الإرهابيين في العالم كانوا من المسلمين وليس الماركسيين، ولكنه على أي حال يثبت تحول الخط البياني من السياسة إلى الدين(2). ويذكر بروس هوفمان (Bruce Hoffman) في كتاب "الإرهاب الداخلي" (Inside Terrorism) بأن الجماعات الإرهابية الدينية قد ظهرت في عام 1980م، وبنهاية عام 1994 أصبحوا يشكلون ثلث الجماعات الإرهابية (16 من 49) وبلغوا في عام 1995 النصف تقريباً (26 من 56)(3)، ولو كان الأمر مجرد خطاب ديني لا سياسي لما كان في هذا مشكلة، ولكن الأمر الملح والعاجل هو أن الخبرة تعلمنا أن الدين عندما يصبح الأساس العقلي للأعمال الإرهابية يصبح الإرهابيون أكثر تلهفاً للتضحية بحياتهم و تكون إصاباتهم قاتلة، وفي كلمات الوزير البريطاني اللورد تشالفونت (Lord Chalfont): "... كان عدوي طوال الفترة التي انهمكت فيها بالعمليات ضد الإرهاب والتي ترجع إلى ثلاثين سنة خلت رجلاً قلقاً على

(1) جيسيكا شترن في كتابها "الرعب باسم الله: لم يقتل المقاتلون المتدينون؟" (نيويورك نشر Ecco عام 2003) صفحة xxii.

(2) تشارلز تاونشيد: "الإرهاب مقدمة قصيرة جداً" (اوكسفورد نشر مطبعة اوكسفورد الجامعية 2002) ص131. وليس من الواضح تماماً ما يعني بكلمة "كانوا" إنها مرادف "ليكون" أم أنه يرى هذا السيناريو ممكناً؟

(3) تشارلز تاونشيد، ص97.

حياته. ولم يعد بمقدورك أن تركن إلى ذلك لأن الإرهابي ليس مستعداً فقط للقتل بل يريد أن يُقتل[4].

وفي كتاب جيل كيبل (Gilles Kepel) "انتقام الله: المسيحيون واليهود والمسلمون في غزو العالم"، الذي أصبح مشهوراً الآن، يذكر المؤلف أن الاديان التوحيدية الثلاثة اليوم لها بعد سياسي واضح، وهذا حتماً ليس بجديد ولكنه عاد بقوة قد تدهش أولئك الذين أخرجوا الدين من مجتمعهم المتنور، ولا بد أن عودة الله بالنسبة لهم مفزعة جداً[5]. وأن عودة الدين للظهور اليوم تجعل نظريات العلمانية في أواخر القرن العشرين أقل شأناً.

وفي رده الموجز للأوراق الثلاث المثيرة للفكر حول الإرهاب الديني في العالم الإسلامي أحب أن أذكر ثلاث نقاط، واسمحوا لي أن أدحض الادعاء الشديد الشائع بأن المتطرفين مؤخراً قد صادروا الدين، وأظن أن من السهولة بمكان أن نذكر أن المتطرفين قد حرفوا روح الدين الصافي الحقيقي أو ليس من الصدق أن نعترف بأن الاستعارات والقصص العنيفة وكذلك النصح العنيف موجودة في النصوص المقدسة؟ ولو أنكر ذلك علينا فلا مجال أمامنا أن نؤولها بشكل وعظ مسالم، ووفقاً لكلمات دفيد هارتمان (David Hartman) الاستفزازي على الدوام ولكن المحب للحقيقة من معهد هارتمن للسلام في القدس:

"لا يعلمك الإنجيل التسامح وهو ليس مصدراً للتسامح ولن تجده هناك: إنك تذهب إليه من أجل العاطفة والحماس والتطرف. فالإنجيليون متطرفون[6]".

وباعتبار أن هذه الجلسة تعالج موضوع التطرف في التقليد الإسلامي أحب أن أبين أن قرّاء القرآن الكريم لا يخلون من هذا، وإن كان هذا صحيحاً، ما هي التحديات بالتحديد لمعتنقي التوحيد أي لقراء الإنجيل والقرآن؟ هناك جواب لهذا السؤال المعقد يطرحه تشارلز كمبيل (Charles Kimball) في كتابه "عندما يصبح الدين شراً (When Religion Becomes Evil) وهو يدعو لفهم "العوامل التي تستطيع بالفعل أن تقود أصحاب الإيمان والإرادة الطيبة من حيث يدرون ولا يدرون إلى أنماط سلوكية مدمرة شريرة[7].

---

(4) تاونشيد، ص119.

(5) راجع تاونشيد، ص96 "واجه العالم في نهاية القرن العشرين انبعاث الأصولية الدينية وهذا شيء محير تماماً لكثير من الناس الذين افترضوا بأن عملية العلمنة رغم أنها متقلبة إلا أنه لا تراجع عنها".

(6) مقتبسة من كتاب ديفيد ك شيبلر (David K. Shipler) عربي ويهودي: أرواح جريحة في أرض الميعاد (Arab and Jew: Wounded spirits in a Promised land)....) طبعة منقحة (لندن نشر Penguin 2002).

(7) تشارلز كمبل (Charles Kimball) "عندما يصبح الدين شراً" (سان فرنسيسكو: نشر هاربر 2002) ص7.

ومن يقرأ كتابه أو هذه المقالة عليه أن يدرك أن كتابه هو لشريحة كبيرة من الناس لذلك لا بد من وجود بعض التعميم، ولكن من الضروري أن نشير إلى أن عدداً من العلماء قد يخالفونه في فهمه الأصولي لمفهوم الدين بالذات، ومن نافلة القول بأن هذا النقد يأخذنا إلى لب الكتاب فكمبل يتحدث على الدوام عن الطبيعة المسالمة لكل الأديان أو بعبارة أخرى عن الطفل الوديع الذي تخطفه قوى شريرة، ويبدو أنه يؤكد أن الناس الذين ينتمون إلى دين ما عندما يصبحون عنيفين فإنهم بالتأكيد يخونون الجوهر الإرشادي لدينهم، ومفتاح مشكلة العنف الديني لديه دائماً هو ضرورة عودة الناس إلى مصادرهم الصحيحة، ويكمن الحل دوماً في التاريخ الأولي وفي الأصل الفردوسي وكلما عدنا إلى البداية الأولى كان ذلك أفضل "وفي الحقيقة يجد المرء دائماً في مركز كل دين صحيح السلام الموعود"[8].

وقد يسأله من كان موقفه تجاه هذه المسألة مختلفاً إن كانت المصادر السلمية حكراً على الأديان فقط أم أن هذا ينطبق على الإيديولوجيات (العقائد) العلمانية وإن ذهبنا لأقصى مدى هل يستطيع المرء مثلاً أن يجادل بأنه حتى النازية ــــ تلك الظاهرة التي نربطها بالاحتقار والقسوة والإبادة الجماعية – في صميمها الاهتمام بكرامة وحقوق كل إنسان، بل بالأحرى هل نفهم أن النازية هي تحريف لعقيدة صحيحة أخرى؟ فإن كان الجواب بالإيجاب أليس يهودا بور (Yehuda Bauer) مصيباً عندما يصف الجماعات الدينية القتالية بطفرات دينية في المسيحية واليهودية والإسلام.. إلخ؟ وبالتالي لا يستطيع هؤلاء القتاليون أن يجدوا وعد السلام في مركز دينهم لأنه طفرة عنيفة لشيء مغاير[9].

ولتكون مسالمة يجب أن تكون شيئاً آخر وعليها ألا تنشد المسالمة في المركز ولا في الأصل أي في التاريخ ولكن في المستقبل بتبني طرقاً مختلفة في التفكير في السياق القائم.

وتعاني المناقشة الحالية حول الدين والعنف شيئاً من الهروب في المعنى والاشتقاق فلا يكفي أن نذكر أن الإسلام والسلام ينحدران من أصل لغوي واحد، وسواء كان كذلك أم لا، فالعلماء يختلفون حول هذا، ولتكن ما تكون، فعلينا أن نتجاوز الهروب في المعاني، فالتصدي لتحديات العنف الديني لن يكون في الاشتقاقات[10]. واسمحوا لي أن أضرب مثلاً من العالم المسيحي والذي هو ديني، ولا يركز هذا على الاشتقاق اللغوي ولكن على الظاهرة المتعلقة بنفي التهمة عن دين المرء، يتفق معظم العلماء اليوم على أن المسيحية كانت طرفاً ضرورياً لحدوث المحرقة في أوربا ولكن

---

(8) كمبل (Kimball) ص1560.

(9) خطاب باور (Bauer) في الكنيس الكبير في استوكهولم في 27 كانون الثاني 2004.

(10) علاوة على ذلك فإن المناقشات الاشتقاقية حول مناهضة السامية (كراهية كل الساميين، وليس فقط اليهود) والجهاد (الجهد وليس الحرب المقدسة) يجب أن تكون موضع بحث.

لم تسببها لأنها لو كانت السبب الوحيد أو الأهم لكانت الطرف الكافي، وإن التأكيد على أنها كانت طرفاً ضرورياً هو الإقرار بأنه لولا المسيحية أي لولا ألفي سنة من تعاليم الاحتقار المسيحي في أوربا لما حدثت المحرقة، وخلال لقاء في القدس قالت سيدة مسيحية كبيرة في السن تسمع القصة المريعة عن العلاقات اليهودية المسيحية لأول مرة "ياله من شيء غير مسيحي نقوم به" وحينها أجاب عالم يهودي "حسنا دعونا نعترف بأن هذا كان شيئاً مسيحياً جداً في التاريخ".

فإن عدنا للإسلام لا يكفي التصريح بأن التفسير المتطرف للإسلام ليس إسلاماً، فالتحدي الحقيقي وهذا ما أحب أن نتناوله اليوم – هو أن نسأل ما هي النقاط في التعليم الإسلامي التقليدي التي أوجدت الظروف الضرورية للإسلاميين القتاليين المعاصرين وكيف نقاوم هذا التراث العنيف.

والنقطة الثانية هي أننا جميعاً نعلم بأن الإرهابيين الدينيين لم يعودوا مستعدين لأن يقتلوا فحسب بل يريدون أن يُقتلوا، وقد لوحظ هذا الاتجاه قبل تفجيرات البحرية الأمريكية ورئاسة الأركان الفرنسية في أبريل عام 1983م. وبالفعل تفاقم هذا منذئذ أولاً وأخيراً في إسرائيل وفي بلدان أخرى كذلك، ويجب أن يكون تحول مفاهيم الانتحار والشهادة من أهم الموضوعات التي يدرسها العلماء وتعالجها المؤتمرات. وكما هو معروف تماماً فإن الانتحار ممنوع قطعاً في الشرع الإسلامي، ولكن مفهوم الاستشهاد قد فتح الباب للتفجيرات الانتحارية، ويعود طرف المشكلة إلى أن الغرب لا يسمح بأي إدانة لهذا التحول، والسبب هو أننا في الغرب لا نصيخ لسمع ومن الممكن أيضاً أن السلطات الإسلامية لا تفصح عن نقدها بشكل كاف.

وفي نقطتي الثالثة والأخيرة أحب أن أركز على المسألة الجدلية في تفسير مفهوم الجهاد، التي بحثت في الأوراق حول الإسلام والعنف، وقد عالج البروفسور ناكاتا هذا الموضوع في ورقته، وباعتباري تطرقت لمشكلة التهرب الاشتقاقي فلا حاجة لي للتكرار، والمسألة ليست إن كان الجهاد مطلوباً في الصراعات لأنه كذلك ولكن فيما إذا كانت المعايير والظروف شرعية وإلى أي حد هي كذلك، من يحدد ومن يقرر ومن يدحض؟ ومرة أخرى أعتقد أن العالم الغربي لا يستطيع حقاً أن يسمع المناقشات الجارية والتي تعاني من التهرب اللغوي، وإنني أقرر معالجة بروس لنكولن (Bruce Lincoln) في كتابه "المخاوف المقدسة: التفكير في الدين بعد الحادي عشر من سبتمبر" حيث يميز بين من ينشدون الحد الأعظم ومن ينشدون الحد الأدنى، أي بين أولئك الذين يعتقدون بأنه يتوجب على الدين أن يهيمن على كل مظاهر الوجود الاجتماعي بل الإنساني وأولئك الذين لا يريدون ذلك[11]. وقد اقترح في أحد الأوراق بأن الدين يتصف بثلاث سمات وهذا جزء من المعالجة التوسعية الأعظمية التي يصفها بروس لنكولن في كتابه، ولا أعتقد مع

(11) بروس لنكولن (Bruce Lincoln) في كتابه "مخاوف مقدسة: التفكير في الدين بعد 11 أيلول (شيكاغو ولندن ص50، نشر مطبعة شيكاغو الجامعية 2003)، 5.

ذلك أن كل دين هو دائماً توسعي ولا بد أن يكون كذلك، ويدافع البروفسور شمس الدين (Syamsuddin) عن المركزية الدينية في ورقته، ومرة أخرى علينا أن نطرح أسئلة مهمة، ما نوع المركزية الدينية؟ هل هي الشريعة؟ إن كان الرد بالإيجاب ما نوع تفسير الشريعة؟ وكيف تطبّق؟ وما هي النتائج بالنسبة لغير المسلمين؟ وأعتقد أن هذه كلها أسئلة جيدة وعلينا أن نفكر بالجواب عنها.

وقد أثارت هذه الأوراق الثلاث حول الإسلام والمثيرة للفكر في مجتمعنا المعاصر عدداً من الأسئلة الكبيرة، وكل الثناء لـــ CISMOR للدعوة إلى هذه الندوة المهمة، وأرجو أن تساعدنا مناقشتنا على أن ندرك الطرق العميقة لا هوتيا للوصول إلى تنوع عريض في الخبرة الدينية، لأنه كما أكد رئيس الحاخامات جوناثان ساكس (Jonathan Sacks) في مناسبات عدة قائلاً إن كان الدين جزءاً من المشكلة لا بد أن يكون جزءاً من الحل[12].

تعليقات:

2- السيد هاشم شحرير (Hashim Shahrir) من مجلس الدعوة الإقليمي الإسلامي لمنطقة جنوب شرق آسيا والمحيط الهادئ.

السلام عليكم. أشكر CISMOR على دعوتي، إنني لست عالماً دينياً بل جندي عمل كثيراً في خطط السلام على الأرض، لذلك أقدر كثيراً لو أجري معظم هذا الحوار على الأرض حيث يعاني أولئك الناس بعد أن ذهب الجميع، فهؤلاء يجب أن يدعوا ليعبروا عما يشعرون وما يجدون على أرض الواقع.

إن المناقشة حول الحرب والعنف من المنظور الإسلامي وأقولها ثانية، ولسوء الحظ، وباعتباري جندياً متقاعداً وبحمد الله كان عملي تحسين مستوى المسلمين في جنوب آسيا والمحيط الهادئ، كان الإنسان المدني في حروب الأمس هو الضحية ولكن في حروب اليوم ينتهي المطاف بالجنود بأن يصبحوا ضحايا، فعندما يدخلون البلد يعانون وعندما يستتب الأمر يواجهون التفجيرات والقنص وما إلى ذلك.

وأعود فأقول إن الجنود يدربون على الحرب في وقت السلم وفي الحرب يدربون على إقامة السلام، ورأيي في موضوع الحرب و العنف الناتج أن ذلك منوط بالقرارات السياسية للدولة، وكمسلم وأب لستة أولاد، من زوجة واحدة بالطبع، كنت في عديد من ميادين الحرب ولكن كمحافظ على السلام وليس غازياً، وخلاصة القول كانت الحرب تعلن بين أطراف متعادية ولكنها أصبحت في خبر كان، أما اليوم فلا بد من الحوار وهو الذي يحفظ السلام.

---

(12) مؤخراً في كتابه "كرامة الاختلاف: كيف نتجنب صدام الحضارات" نسخة منقحة مع مقدمة جديدة. طباعة Continuum، لندن – نيويورك والتي يصفها في صفحة (vii) "بنداء – أقصى ما يمكنني فعله من أجل التسامح في عصر التطرف".

كان تحليل اليوم في محله تماماً، وإيذاء الأبرياء خطأ فادح بكل اللغات، وكشيء حري بالتفكير، كانت ماليزيا وأندونيسيا في نزاع حول جزيرتين صغيرتين جداً وعند أندونيسيا سبعة عشر ألف جزيرة، فلا مانع من إعطائنا جزيرتين، ولكن كان علينا أن نقرر من يعطي الآخر.

ولسوء الحظ كانت إحداهما صالحة للغطس والأخرى عديمة الفائدة، وهنا قررنا أن نحيل الأمر لمحكمة العدل الدولية في لاهاي، وكان الحكم لصالحنا، بأن تكون الجزيرتان لنا وليس لأخوتنا في أندونيسيا وخسروا الجزيرتين، ونكرر بأن الحوار هو أفضل حل، حتى فيما يتعلق بالأراضي، لكل المشاكل.

وهناك حديث النبي محمد(صلى الله عليه و سلم) فيما يتعلق بإزالة المنكر بثلاث طرق: جسدياً باليد فإن لم يكن فباللسان، أي نتحدث عن ذلك وإن لم تستطع فبالقلب. وأريد أن أتوجه للمتكلمين على المنصة بما نحتاجه حقاً ألا وهو استراتيجية الارتباط، وهذا مطروح على المسلم لأن التفسير خاطئ، ولقد وُصمنا بصفات لا تنتهي من التعصب في مرحلة إلى الأصولية لاحقاً ثم إلى التطرف وبعدها إلى القتالية وأخيراً الإرهاب، ولا أعلم ما يخبئ لنا المستقبل بعدها..

فما نحتاجه هو أن يشرح غير المسلم وجهة نظره للمسلمين ويفعل المسلمون كذلك بالمقابل، وهذا هام لأنه عندما أصبحت أحداث الحادي عشر من سبتمبر الموضوع الرئيس اشترى العديد من الناس نسخاً من القرآن، وهذا لا يكفي، فأنت بحاجة إلى معلم يشرح لك القرآن وإلا صار عندك تفسيرات لا عدَّ لها عن الجهاد قد تكون بعيدة جداً عن الصواب.

ولدينا أيضاً اليابان، فقد دعونا مدرسين يابانيين إلى ماليزيا، ليتعرفوا على الإسلام لينقلوا ما عرفوه إلى تلامذتهم على أرض الواقع، فالمستقبل مهم، وربما لن يتمكن الجيل الحاضر أن يحل المشكلة ولكن لنأمل أن يستطيع ذلك أولادنا أو أولادهم عندها سيكون عندنا عالم أفضل في المستقبل القريب وبالطبع ليس في حياتنا.

والموضوع الآخر هو الدفاع، ولا أعلم أيهما الأصح: الطريقة الأمريكية في الدفاع أم النمساوية؟! عندما يسمح الإسلام بالدفاع عن بلدك فهذا يعني الدفاع على الأرض، وليس بالذهاب إلى أرض الغير للدفاع قبل أن يحط فيها العدو، فهذا تفسير آخر يلزمه الدراسة.

وأخيراً أشكر منظمي هذه الورشة، وعلى العلماء هنا أن يتذكروا أن الحرب ليس فيها عدَّاؤون يتسابقون إلى خط النهاية، فهناك رابح واحد دائماً ولا يمكن أن تكون الثاني في سباق الحرب. وشكراً لكم.

3- كنجي توميتا (Kenji Tomita) بروفيسور في كلية اللاهوت، جامعة دوشيشا.

أحب أن أعلق بإيجاز على ما أراه فكرة مشتركة مهمة مبطنة في محاضرتي

الدكتورة البروجردي والدكتور شمس الدين، وهذا ما يبحثه في ورقته وتشير إليه الدكتورة على أنه الغزو الثقافي والاقتصادي للحضارة الغربية، وأن الإسلام ليس ضد المسيحية بالذات بل ضد هذه الحضارة ويعتبرها عدوة له في الأساس، إنها حضارة الغرب الحديث التي تتصف بالعلمانية والمادية والتنافس الحر، ومن هذا المنظور ينظر إليها أبناء الحضارة الإسلامية، وأعلموني إن كنت مخطئاً.

وعلى الصعيد المحلي في البلد الواحد يُنتج التنافس الحر، رابحاً وخاسراً، وإن نشأت المشاكل في هذا المضمار تتدخل الحكومة لتضع الأمور في نصابها، أما في الصعيد العالمي فلا مثيل هناك للحكومة المركزية، فلا تملك الأمم المتحدة أي قوة ملزمة، وهي ليست بحكومة، لذلك فإن هذا التنافس الحر الذي ابتدعه الغرب ينتشر في العالم كجزء من العولمة مما يسبب عدة أنماط من التوتر والمشاكل تلقائياً، ولا يوجد هيئة مركزية قادرة على تخفيفها، فماذا يجب أن يفعل من يعارض هذا الاتجاه، في بعض الحالات لا مناص أمامه من اللجوء للعنف.

وفي هذا المنحى إن المشكلة التي تهمنا اليوم ليس فقط المواجهة بين الأديان مثل المسيحية واليهودية والإسلام، وأعتقد أن هناك عوامل تتعدى الدين وهي علمانية ومادية الغرب الحديث وهي وثيقة الصلة ببعضها.

وانتشرت الحضارة الغربية الحديثة في كل أصقاع العالم عبر العولمة، وأظن أن هذه الحركة تدمر القيم التقليدية لمجتمعات عدة من نواح مختلفة وتدمر كذلك تصورات هذه المجتمعات حول الوجود الإنساني والروحانية والإنسانية، هذه هي تعليقاتي وأحب أن أتكلم أكثر من ذلك لولا استنفاذي للدقائق الخمس الممنوحة لي.

تعليقات:

4- أكيرا إيتشيغويا (Akira Echigoya) بروفيسور في كلية اللاهوت في جامعة دوشيشا.

من دواعي سروري أن أكون هنا لدى استماعي للبروفيسور كفتارو والمتكلمين الثلاثة في هذه الجلسة فقد تبين لي أننا بحاجة لفهم أفضل وأدق للإسلام، ومن المهم أن نسأل أنفسنا إن كان الإسلام مفهوماً بشكل صحيح حتى الآن، ولم يكن هذا ما حدث بالضرورة، فمنذ الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م ازداد اهتمام الناس بالإسلام بشكل ملحوظ، والمشكلة الكبرى هي أن فهم الإسلام مرتبط بتلك الهجمات الإرهابية. لذلك من الأهمية بمكان أن نبحث فيما يجب فعله ليُفهم الإسلام بشكل صحيح.

ويشدد الدكتور شمس الدين على أن الإرهاب ليس أصيلاً في الدين وأن المواجهة بين الجماعات الدينية المختلفة ليست قائمة بالضرورة على دوافع دينية بحتة، وأن الدين يُستغل لتبرير أمور كثيرة، ويشير الدكتور شمس الدين إلى إشكالية النظر إلى الإسلام على أنه مرتبط بالهجوم الإرهابي في الحادي عشر من سبتمبر.

ومن ثم تصبح المسألة الأهم كيف يمكن للإسلام أن يُفهم بشكل صحيح، يقول

البروفيسور ناكاتا والدكتورة البروجردي بأن الحرب والعنف واردان في الشرع الإسلامي، أما وجهة النظر المسيحية فهي ثنائية بهذا الصدد إما الأخذ باللاعنف أو قبول العنف، والشرع الإسلامي من ناحية أخرى يسمح بهما مما يؤدي إلى تأويلات متنوعة بدلاً من فرض القيود، وأرى حقاً أنه ليس من السهل محاولة فهم الإسلام من شخص خارج عنه.

ويتطلب التفاهم المتبادل الحوار، وأكدت الحاجة إليه مراراً، وفي واقع الأمر فإن الحوارات بين المسيحية والإسلام جارية منذ وقت طويل، فقد بدأت بين القرنين التاسع عشر والعشرين وتأسس مجلس الكنائس العالمي بعد الحرب العالمية الثانية سنة 1948م. ورعى الحوار بين الجماعات المسيحية والإسلامية، ثم بدأ الفاتيكان بالدعوة إلى الحوار مع الإسلام وما يهم هو معرفة النتائج الهامة التي نتجت عن هذه الحوارات.

ولسوء الحظ البروفيسور طارق متري من مجلس الكنائس العالمي ليس موجوداً هنا ليعطينا سرداً عن نشاطاته، ولكن ما نعلمه هو أن الحوارات قائمة، ومع ازدياد أهميتها وضرورتها يطرح السؤال عن تنظيمها، وحتى الآن فإن البادئ بها هو الجانب المسيحي وما على الإسلام، ذلك الدين العالمي، إلا أن يستجيب، وسؤالي الملح هو إن كان لدى الإسلام أفكار عملية عن كيفية القيام بالحوار مع المسيحية ومع الديانات الأخرى. وشكراً لكم.

مقرر الجلسة: شيوجيري (Shiojiri)

شكراً لكم بروفيسور إيتشيغويا. والآن ننتقل إلى الأسئلة والأجوبة مع الحاضرين والمتكلمين الثلاثة والمعلقين الأربعة، وأطلب من البروفيسور حنفي البدء.

حنفي: لدي سؤال بسيط كرجل أكاديمي، هل يكفي أن نتقدم باعتذار عن الإسلام والمسيحية واليهودية، ونحلل النصوص وندعو للسلام وننبذ العنف؟ نحن لسنا في كنيسة أو مسجد أو كنيس، إننا علماء محترمون قدمنا لتحليل حقيقة العنف في الدين وما إلى ذلك.

وسؤالي هو التالي: أين تذهب هذه الجماعات التي ترتكب العنف، إنها مظلومة في أوطانها وإذا ما خرجت ترى عالماً تسيطر عليه العولمة والولايات المتحدة، إنه عالم غريب لا تنتمي له، لقد رأت أفغانستان والشيشان وغيرهما، أين يذهب أي ناشط إسلامي يحب أن يمارس دينه ليعيش في عالم العدل وليس في عالم القوة. إننا ضحايا العنف في العالم الإسلامي وأنتم ضحايا العنف خارجه، أين تذهب هذه الجماعات الناشطة؟ هل ننزل إلى جذور العنف والتي هي الظلم في العالم؟ الظلم في الداخل والسيطرة في الخارج وإذا اقتفينا هذا الدرب وصلنا إلى جذور العنف وليس إلى تحليل النصوص والتي يمكن قراءتها من الناحيتين.

مقرر الجلسة:

شكراً بروفيسور حنفي. هل أخبرتنا لمن توجه ملاحظاتك؟

حنفي: إلى العلماء المسلمين والمسيحيين على حد سواء، إلى مارك وإلى شمس الدين والأخت البروجردي ولكل من استمع إلينا في الصباح وبعد الظهيرة.

شيوجيري: شكراً. إذا تفضل بروفيسور شمس الدين.

شمس الدين (Syamsuddin)

اتفق مع البروفيسور حنفي أن من المهم جداً بالنسبة للعلماء المسلمين وكذلك العلماء من الأديان الأخرى أن يجروا تحليلاً اجتماعياً مع التأكيد على التحليل اللاهوتي وتحليل النص، وفيما يتعلق بنا أشعر بأننا مطالبون بالتحليل الاجتماعي للنص في الإسلام، وأظن أننا قلنا في مكان آخر بأن الحرب والعنف المنسوبين للإسلام والمسلمين لا يمكن أن ينظر إليهما بدافع ديني بحت، إنني أدعو ذلك "حرباً مع إزعاجات دينية" فهناك عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية، وأما الدين فيستغل لتقديم المبررات.

وأشخاص أمثال ابن لادن وغيره لهم الحق أن ينتسبوا للإسلام وأن يعرفوا وبكل فخر بأنهم مسلمون إرهابيون، وربما لا يطلقون على أنفسهم اسم الإرهابيين بل مجاهدين، وربما كنا مخطئين في نظرهم نحن العلماء المعتدلين أمثال حسن حنفي وسواه حيث نتعامل باعتدال وضعف تجاه الإمبريالية الجديدة في العالم.

وكما ذكرت في كلمتي هناك ثلاثة مظاهر: الأول الإمبريالية الجديدة وهي تصر على التحرر السياسي بتسويق الديمقراطية الغربية المتحررة الحديثة في بلدان العالم الثالث، وثانياً التحرر الاقتصادي بالإصرار على الرأسمالية الغربية في العالم، وثالثاً التحرر الأخلاقي والتي مهدت الطريق لكل أنواع المفاسد والفجور وخصوصاً في المجتمع المسلم.

وختاماً هناك عوامل أخرى كثيرة، وقد قرأت كتاباً ألفه بيتر برجن (Peter Bergen) مراسل CNN بعنوان "الحرب المقدسة وتوابعها" يحلل فيه شبكة القاعدة ويظهر كل شيء عنها في العالم وفي أربعة وعشرين بلداً ولحسن الحظ لم يأت على ذكر أندونيسيا، وقرأت أن أسامة بن لادن وغيره تلقوا تدريبهم على يد وكالة المخابرات المركزية CIA والولايات المتحدة وأنهم استُخدموا لمواجهة الاتحاد السوفييتي في أفغانستان، فعلينا إبراز مثل هذه الأمور ولفت النظر إليها ولا نكتفي "بإظهار" الأمور المتعلقة بالإسلام.

ولا ننكر وجود مسلم إرهابي كما يوجد إرهابيون في جماعات دينية أخرى والحقيقة هي أن الدين يجمع النقيضين في تعامله مع الحرب والسلم على الأقل في ظاهر الآيات المقدسة ولا زلت أقول بأن علينا الاهتمام بالعوامل غير اللاهوتية وراء الإرهاب.

وأعتقد جازماً كما قلتم بأن جذور الإرهاب العالمي ناشئة من الظلم العالمي، ولا نستطيع أن نحارب الإرهاب مالم نحارب ونستأصل جذور الإرهاب وهي الظلم

العالمي.

آن الأوان إن أردنا ان نحل المشكلة أن يعمل الجناح المعتدل في الجماعات الدينية يداً بيد بالأخذ بفرضية السلام من كل الأديان بدون أحكام كلية أو اتهامات أو تدمير لصورة الآخرين.

شيوجيري (Shiojiri) سأفسح المجال لأكبر عدد من المتكلمين، فمن أراد التعليق نطلب منه أن يذكر اسمه وبلده.

كاتو(Kato): اسمي كاتو وأنا من اليابان إنني أحاول أن أفكر من وجهة نظر لا هوتية حيث لا يوجد عدد كبير من اللاهوتيين بيننا اليوم وأثناء استماعي للمحاضرات والتعليقات لاحظت أن السلام موضع بحث من قبل الناس، وهذا شيء طبيعي باعتبار أن الحرب جزء من الموضوع، وأحب أن أعرف إن كان سلام الله في الإسلام لا يعتبر ذا بال؟! ذكر المتكلمون وغيرهم بأن الله مصدر السلام، وهو سلام الناس، وأحب أن أركز على سلام الله جدياً وليس تلقائياً فقط، إن لم نبحثه حتى الآن هل لأنه أمر مسلم به ولذلك نستغرق في سلام الناس؟ أحب أن توضح هذه النقطة.

شيوجيري: هل تعني "بسلام الله" "السلام مع الله" أم "السلام تحت الله".

كاتو: أعني "السلام مع الله".

شيوجيري: أعطي فرصة الكلام للبروفيسور ناكاتا.

ناكاتا: سمعنا في محاضرات اليوم كلمة "السلام" عدة مرات التي تقابلها كلمة "شالوم" في العبرية. وهي في أصل الإسلام، والخلاف في المعنى بين "الإسلام" و"السلام" ضئيل. وذكر البروفيسور سفارتفيك وجود جدال إن كانت كلمة "السلام" مشتقة من "الإسلام" والحقيقة أن كلمة "الإسلام" مشتقة من "السلام" ولكن لكل كلمة معناها، وأصل كلمة إسلام من الفعل المتعدي "أسلم" وتعني الاستسلام وإشاعة السلام في الآخرين. وهذا يعني نزع السلاح من أجل الاستسلام والخضوع كلية، لذلك كان الإسلام خضوعاً لله، وليس جعل الله مسالماً.

لذلك في الإسلام، لا يقول المرء "السلام مع الله". والعربية لغة سامية والاشتقاق فيها يزيد في غنى مفرداتها، وأما عن العلاقة بين الله والإنسان فهي علاقة بين الخالق والمخلوق ونحن نستسلم لمشيئة الله بالكلية لنكون مع الله ولتكون مشيئة الله مشيئتنا، وبهذا نصل إلى الطمأنينة، هذا هو المفهوم الإسلامي وآمل أن أكون قد أجبت عن السؤال.

شيوجيري: ما رأيك دكتورة البروجردي؟

البروجردي: السلام عليكم مرة أخرى، أود أن أؤكد على أننا الآن نبحث عن السلام، السلام من وجهة نظر الأديان السماوية ولكن نشاهد الحروب في المناطق التي يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود، فما هو السبب، يعني هل ينتمي الحرب والسلام إلى الأمم التي هي مسلمة أو مسيحية أو يهودية أم لا، في اعتقادي بأنه نحن

نتمنى لو كنا نعيش في منطقة ليست لدينا الظروف والأجواء التي عشناها، حينها ما كانت حدثت المسائل التي تنسب إلينا فهي تابعة لما عندنا من الظروف ، مثلا كنا نتمنى أن لم يكن لدينا نفط فنعتقد أنه هو السبب الرئيسي للحروب أو في حرب العراق أو في أي منطقة أخرى، لاستحصال النفط من العراق على أيدي الذين يريدون أن يغنون أنفسهم يعني الذين ينتمون إليهم الغنى من ناحية مصادر التي لدى الشعوب التي تعيش في هذه المنطقة، فإذن لازم نبحث عن الأديان السماوية كما وردت في الكلمات التي بحثنا فيها صباح وعصر اليوم، كلها تؤكد وتركز على وجود السلام ووجود الأمنية في داخل هذه الأديان فلازم نتباحث عن الظروف الأخرى والأسباب الأخرى والدلائل الأخرى التي تسبب الحروب وهذه الظروف وهذه الدلائل وهذه الأسباب لن تنتمي إلى الأديان بل تنتمي إلى الشعوب وإلى الحكام، إلى الذين يحكمون وإلى الذين يسيطرون على هذه الأمم، فالأبحاث سوف تنتهي إلى الأبحاث السياسية ولن تنتمى إلى الأبحاث الدينية أو الأبحاث الاعتقادية، فمن الناحية الاعتقادية أنا أعتقد لا توجد لدينا أي مشكلة فالأديان السماوية كلها تنتهي إلى نقطة واحدة وأنها مبعوثة من ناحية الله، والله عز وجل هو واحد ووحيد وما يصدر منه طبعا يكون واحدا كما أن الأديان السماوية التي ينتمى إليها المسلمون والمسيحيون واليهود الذين يعيشون في هذا الزمن يستفيدون بالأصل من منبع واحد ومن بعث واحد وهو إرادة الله، فما نعيش فيه من هذه الظروف التي وفرتها القوى المسيطرة وليست الأمم والشعوب والديانات، فالديانات هي ديانات السلام وإذا كانت الأمم لها قدرة على أن تعيش بعضا مع بعض لم تنتهي علاقاتهم إلى الحروب، ففي أكثر البلدان يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود جنبا إلى جنبا بدون أن يكون بينهم أي اشتباك كما يعيشون في إيران أو في أي دولة أخرى، ليس بينهم اشتباكات، لأنهم يعيشون حسب ظروفهم وعلى أساس تعاليمهم وعلى أساس ما تعلموا من الأديان السماوية التي لديهم، وإنما الأسباب التي تنتهي بهم إلى هذه الحروب هي الأسباب التي تؤدي الظروف للذين يريدون السيطرة على الأمم المختلفة ونحن باعتقادنا في الدين الإسلامي، الإسلام يعلمنا الدفاع عن كياننا الإسلامي فمن يريد أن يضغط علينا وعلى الأمة الإسلامية ومن يريد أن يضغط على الشريعة الإسلامية ومن يضغط على المسلمين ليجعلهم كأشخاص تحت السيطرة، فلا يسمح لنا الإسلام أن نقبل سيطرة الذين لا ينتمون إلى الإسلام، فنحن المسلمون نعتقد بأن كل مسلم يمكنه أن يعيش مع الآخر بدون أن يسيطر أحد على الآخر، وهذا هو الأصل الذي يجب علينا يعني يوفر لنا الظروف لأننا إذا أراد أحد أن يسيطر علينا فعلينا أن ندافع عن أنفسنا وعلينا أن نحفظ عقيدتنا وعلينا أن ندافع ضد من يهجم علينا.

شيوجيري: شكراً جزيلاً. هل عندكم أسئلة حول هذا أو أي موضوعات أخرى؟

لقد ذكر البروفيسور حنفي آنفاً أن كلا الفريقين من هم داخل الإسلام وخارجه هم ضحايا العولمة، هل عندكم أسئلة عن هذا؟

تفضل بروفسور جونسون.

جونسون: شكراً. اسمي جيمس تيرنر جونسون من جامعة روتجرز (Rutgers) في الولايات المتحدة، لدي سؤال موجه إلى البروفيسور ناكاتا، عندما كنت أقرأ ملخصاً عن كلمتكم المنشورة في هذا الكتاب الذي يحتوي خلاصة أعمال المؤتمر أثار اهتمامي مفهوم الجهاد على الصعيد الشخصي لأنني ظننت أن بإمكاني أخيراً أن أحصل على مناقشة مستفيضة حول هذا المفهوم لأن عدداً ممن ذدعوهم بالإرهابيين قد استخدموه ليبرروا أعمالهم، إنني أفكر بمن اغتال السادات وأفكر بأسامة بن لادن وأيمن الظواهري وغيرهم في الفتوى التي صدرت عام 1998م، وأفكر بحجة حماس في القضاء على إسرائيل.

ولكن في الواقع بينما كان يمكننا إجراء مناقشة مجدية حول ذلك قمت بشيء مدهش تماماً: فقد بدأت تتكلم عن الإرهاب فيما يتعلق بفكرة "البغاة" وإنني في حيرة من ذلك، لأنه يبدو لي أن أعمال هذه الجماعات لاتتفق أبداً مع مفهوم "البغاة" ومع "أحكام البغاة" أحكام التمرد.

ولا يصف هؤلاء القوم أنفسهم "بالبغاة" ولا يتقيدون بأحكام "البغاة" التي تنطبق فقط على الصراع ضمن الإسلام وربما انطبقت على تفجيرات القاعدة في العربية السعودية مؤخراً وما أظن أن السعوديين يوافقون على هذا.

وحبذا لو شرحتم قليلاً لم تعتقدون أن هذه الفئة وليست فئة الجهاد فعلى الصعيد الشخصي هي الأفضل لوصف أعمال هؤلاء الناس الذين نسميهم بالإرهابيين.

ناكاتا: جواباً على سؤالكم أقول أولاً إن المشكلة بعبارة الجهاد أن عدداً من الفئات الصغيرة تطلق على قضيتها اسم الجهاد سواء كانوا في فلسطين أو العراق وسواء كانوا أتباع ابن لادن أم لا، وكما بينت آنفاً الإسلام نظام علمي فيه إجماع على بعض المواضيع وليس على سواها.

وفي الأساس يفترض الشرع الإسلامي وجود قائد واحد يوحد العالم الإسلامي يدعى إماماً في الاصطلاح الإسلامي، ويدعى عادة بالخليفة الذي يخلف النبي محمداً وخلفاءه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، هذا هو بناء الإسلام التصوري.

وعندما يتوحد العالم الإسلامي ويشن حرباً فالخليفة وحده يملك الحق في إعلان الجهاد ولا يملكه أحد سواه، ولكن كما قلت قبل قليل عندما يهجم العدو يمكنك اللجوء للعنف بمقدار كدفاع عن النفس مشروع كما لا يسمح في وقت السلم للمواطنين العاديين أن يلجأوا للعنف ضد الآخرين، وليس في وقت الحرب، ولكن إذا تعرضوا للهجوم بغتة ولا يستطيعون طلب النجدة من الشرطة فهم مخولون بالدفاع عن النفس، وكذلك في الإسلام إذا غزا عدو أرضك فإنك تحاول حمايتها بأي وسيلة كما تحمي بيتك بنفسك. وفي هذه الحالة لا ضرورة للحصول على إذن الخليفة مقدماً، وهذا هو ما ينص عليه الشرع الإسلامي.

واليوم يقاتل المسلمون في العراق وفلسطين، على سبيل المثال، لأنهم غزوا في

عقر دارهم، وهذا ينطبق على شخص مقيم في داره ويهاجمه لص بسلاح فتاك ولا سبيل لدعوة الشرطة، لذا عليه أن يقاتل من أجل حياته، وهذا ما يفعلونه في فلسطين والعراق، وبالطبع يمكنهم أيضاً أن يختاروا الاستسلام، ولكن البعض يفضل القتال، وهكذا يطلق كثير من الجماعات على حركتهم اسم الجهاد اليوم.

وقد استعملت كلمة "البغي والبغاة" ولا أعني أن الوضع القائم يمكن تفسيره بشكل أفضل بهذه الكلمات التي استخدمتها لأن كلمة إرهاب فيها إشكال، وكما قال البروفيسور حنفي آنفاً بأن هناك أشخاصاً لا سبيل أمامهم سوى اللجوء إلى العنف، وإن أنكرنا العنف أين يذهب هؤلاء.

وإذا استخدمنا كلمة إرهاب لجعلنا هؤلاء الناس مجرمين وقال ماوتسوتنغ (Mao Zedong) هناك أسباب للثورة، ولم يعد هذا الشعار سائداً اليوم، ولا يوحي هذا السماح بالثورة ولكن يُبيِّن أن هناك دائماً أسباباً لمثل هذا الفعل، وتوجد دائماً أسباب للإرهاب كذلك.

وهناك مثل ياباني يقول "حتى اللص لديه أسبابه" ولا يعني هذا أن السرقة مسموح بها ولكن هناك أسبابا على الدوام تدفع الناس للجوء إلى الأعمال الإجرامية والإرهاب. وأول ما يطلب منا هو الإصغاء إليهم ومعرفة أسبابهم ونغريهم بتصحيح الخطأ، ومن يسمون بالبغاة حسب الشرع الإسلامي لا يسمون أنفسهم كذلك لأنني كما ذكرت للتو هم أناس يعتقدون أن تفسيرهم للإسلام والقرآن صحيح والثورة ضد الخليفة أو الإمام أمر مشروع.

ومع أمثال هؤلاء أول ما نفعله هو أن لا نُجرمِّهم ونعاقبهم في الحال بل نصغي إليهم ونقنعهم ونفسح لهم المجال في التراجع، وأحياناً ينتهي الأمر بالفشل وينقطع الحوار، ثم عليك أن تقاتلهم وتضربهم، وحتى عندها فإنك لا تقاتل على أساس أن الشرعية بصفّك وأنك تمثل الحكم والنظام والخير ضد الشر، ففي المفهوم الإسلامي المتمردون دائماً لهم أسبابهم ويستحقون أن يسمعوا، ولهذا تتبنى نفس الموقف لدى القتال، ولهذا استخدمت كلمة "بغاة" بدلاً من الإرهاب لأنني أؤمن أن هناك شيئاً نتعلمه من الشرع الإسلامي المأثور وليس بسبب أنني أفضّل شرح إرهاب اليوم "بالبغاة". وآمل أن أكون قد أجبت على السؤال.

شيوجيري: شكراً لكم. هل لديكم تعليقات أو أسئلة أخرى بروفيسور جونسون؟ هل من أسئلة أخرى؟ كنتم ترفعون أيديكم لتتكلموا.

ميتشي(Miichi): اسمي ميتشي وأنا من اليابان، إننا نستمع منذ الصباح إلى أحاديث ومناقشات حول الدين، وخاصة حول الإسلام وأنه دين سلام وأن الدين لاعلاقة له في الأصل بالعنف والحرب.

وأعتقد كذلك حقاً وأتفق مع النظرة بأن الأمة الإسلامية لا تعامل بإنصاف، كما ذكر مراراً، وأن الإرهابيين المسلمين لا يمثلون الأمة بالضرورة، ولكننا لا نزال لا

نستطيع إنكار حقيقة أن هناك عنفاً مفرطاً، حتى ولو وضعنا في الاعتبار مبدأ استخدامه دفاعاً عن النفس.

وذكر البروفيسور ناكاتا أن أول شيء نفعله تجاه الذين يعارضون الشرع الإسلامي أن نُغريهم بالعدول عن ذلك، وأعتقد حقاً بأن هذا هو ما يجب فعله عندما يسمح بتأويلات مختلفة للقانون.

إنني أقوم بأبحاث في السياسة الأندونيسية، وأحياناً أقابل أندونيسيين ذوي ميول راديكالية وأكلمهم على الصعيد الشخصي، وتقريباً مائة بالمائة منهم يقول بأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتفجيرات بالي التي حدثت قبل سنتين لا مشروعية لها في الشرع الإسلامي، ولكن يندر أن يتقدم مثل أولئك ببيانات عامة تدين أعمال العنف المرتكبة من أجل الإسلام وباسمه.

وأظن أن في مثل هذه الحالة رغم أن العلماء والمسلمين والزعماء السياسيين مُخَوَّلون بإصدار بيانات ينتقدون فيها العالم الخارجي جرَّاء المعاملة شديدة الظلم للأمة الإسلامية، إلا أن عليهم أن يُظهروا أيضاً موقفاً ثابتاً تجاه العنف ضمن أمتهم ويعلنوا أنه ضد الإسلام وإلا فلن يستطيع الإسلام أن يسهم في السلام بشكل كامل.

وأنا لست مسلماً وأنا مجرد مراقب من الخارج ولا زلت أسأل من وجهة نظري الشخصية إن كان على قادة الأمة الإسلامية أن يتسنّموا مسؤولياتهم في الحفاظ على السلام باسم دينهم.

شيوجيري: شكراً.

أظن أن البروفيسور شمس الدين هو الشخص المناسب للإجابة عن هذا السؤال فيما يتعلق بالعنف المفرد في الأمة الإسلامية من ملاحظته المباشرة في أندونيسيا ومساهمة القادة المسلمين لتخفيف الحالة.

شمس الدين (Syamsuddin) شكراً لكم سيد ميتشي.

أما موضوع الإسلام والسياسة في أندونيسيا فموقفنا واضح جداً فعقائدياً نحن نؤمن أن الإسلام دين سلام، وبالنسبة للحالة الراهنة وخصوصاً ما بعد الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 وأيضاً تفجيرات بالي وتفجيرات فندق ماريوت في أندونيسيا وسواها فإن ندلي ببيانات وخصوصاً من مجلس علماء أندونيسيا.

والواقع يوجد إجماع لدى المنظمات الإسلامية الستين في كل أرجاء أندونيسيا ولس فقط مجلس علماء أندونيسيا، لأن على البيان أن يقرأ بشكل شامل، فنحن ندين بشدة أي نوع من الإرهاب ولكن وسائل الإعلام لا تنشر ذلك أبداً، ولكنها نشرت النداء القاسي الذي نناشد فيه المسلمين أن يعدوا أنفسهم للمضامين السيئة الناجمة عن غزو الولايات المتحدة لأفغانستان.

وأما فيما يتعلق بتفجيرات بالي فقد شكلنا لجنة مستقلة من خبراء في التفجير والكيمياء والفيزياء والذرة من حملة شهادة الدكتوراة من جامعات أوربية، ووجدوا أن

مواد التفجير عالية جداً، ولا يمكن أن يستخدم فيها C4RDX. فمن المستحيل أن يعترف أولئك الناس بتورطهم في تفجيرات بالي فمقترفوها لديهم القدرة على استخدام مواد عالية التفجير.

لذلك نقترح على حكومتنا ومخابراتنا أن تجري تحريات شاملة وكاملة عن إمكانية استخدام قوى مخابرات خارجية، لأن هؤلاء الناس غير معروفين في أندونيسيا، فهم عائدون من أفغانستان فقد جُنّدوا في أواخر الثمانينات ليعملوا في أفغانستان ومواقع في ماليزيا وغيرها.

ولذلك لا ننكر وجود عمل إرهابي في البلد ولا ننكر أن عدداً من المسلمين اشتركوا في تلك الأعمال الإرهابية، ولكن ما نريده هو استقصاء عادل وشامل وكامل حول هذه الإمكانية، ورغم أنني لا أتبنى نظرية المؤامرة إلا أن هناك احتمالاً لتعاون هذه القوى محلياً ودولياً، فهذا هو موقفنا، لماذا؟ إننا في وضع حرج جداً وخصوصاً بعد انهيار نظام حكم سوهارتو في أندونيسيا وبدأنا عصر الإصلاح، والأمة في أزمات متعددة واسعة الأبعاد وعلى كل المستويات، وعملية الانتقال مستمرة في البلد.

والمجتمع هش حقاً لذلك لا نريد صراعاً داخلياً ضمن الأمة لأن الأجنبي يقسّمنا إلى أحرار وراديكاليين ومعتدلين وغير ذلك باستخدام مثل هذا التصنيف الذي نحسُّ بأنه عنيف لأن اللغة عنيفة أحياناً.

لذا لا نريد ذلك، وأتاني كثير من الوفود من الخارج، وخصوصاً المستشار الخاص للبيت الأبيض، والمستشار الخاص لرئيس وزراء أوستراليا وأصروا علينا أن نواجه الراديكاليين. وفي رأينا يتألف من يسمون بالجماعات الراديكالية من أكثر من ستين مجموعة، ولجان الإصلاح منبثقة من العهد الإصلاحي الجديد لأن النظام السابق قمع الحريات ولم تعد موجودة، وأسس كثير من قادة أندونيسيا أحزاباً سياسية ولكن مثل هؤلاء الشباب لم يؤسسوا أحزاباً سياسية بل أسسوا لجاناً وروابط عسكرية تجاوزت الستين منظمة أو جماعة في جاكرتا بالذات.

ولا أوافق إن نظر إليهم علماء الاجتماع أو صنّفوهم كراديكاليين سياسيين لأنني لدى تدقيق النظر فيهم، ربما يصنَّفون في فئة الراديكالية الأخلاقية لأنهم يتحسسون كثيراً من الفساد الأخلاقي الناتج عن العلمنة ولم يظهر الإسلام القائم بمؤسساته ردود فعلهم.

وربما إذا استثنينا بضع منظمات مثل جهاد لاسكر أو جبهة الدفاع الإسلامية التي ترتبط بالفوضوية فإن بقية هذه المجموعات تنضوي تحت الراديكالية الأخلاقية، فهذا هو موقفنا وهذه هي قضيتنا الداخلية ضمن الأمة الإسلامية ولكن لدينا طرقنا في حل المشكلة.

وباعتبار أن هناك هوساً كبيراً لدى هذه الجماعات لإقامة الشريعة الإسلامية كما كان يسأل الدكتور سفار تفيك (Svartvik) فإننا نقيم حواراً معها ونسألها عما تعنيه

بالشريعة وإقامتها في البلد، وعندما كانوا يجيبون بأن الشريعة هي القانون الإسلامي وقانون الجزاء لم نتفق معهم كأكثرية مسلمة في أندونيسيا لأننا نفهم بأن الإسلام ليس الشريعة فقط.

إننا نؤمن كما ذكر المتكلم السابق هذا الصباح بأن الإسلام يؤكد على المنظومات الأخلاقية والمعنوية في السلوك فالإسلام يؤكد على الخُلُق لذلك لا نراه كله شريعة أو قانون عقوبات فهذا اختزال للإسلام فالحكم الإلهي الذي يجب أن نقيمه ليس في الجماعة الإسلامية فحسب بل في الجماعات الدينية الأخرى أيضاً هو الذي يؤكد على المنظومات الأخلاقية والمعنوية للسلوك التي تؤكد على العناصر الدينية، وليس بالمعالجة القانونية الشكلية فحسب بل بتلك التي تصر على القيم الأخلاقية والمعنوية.

شيوجيري: شكراً. تفضلي بروفسورة زكموند بالكلام.

زيكموند(Zikmund): آنا بربارة براون زكموند من الولايات المتحدة إنني أدرِّس حالياً في اليابان، ولسوء الحظ لن أكون هنا غداً وربما كان من الأفضل طرح هذا السؤال في جلسات الغد ولكنني مضطرة لطرحه اليوم وهو حول نوع خاص من العنف يعرف "بالشهادة" أو "التضحية بالنفس" ودوره في العلاقات بين الأديان.

لدى كل الديانات التوحيدية نص يمنع القتل والجريمة، وكلها ضد الانتحار ولكن الكثير من تقاليدنا تحتفل بالشهادة، إنني مؤرخة للتاريخ المسيحي وأعلم أن هناك أقوالاً وذكريات في التاريخ المسيحي حول الشهادة، ويقال بأن "دم الشهداء بذور للكنيسة المسيحية"، ويقتبس المسيحيون ما يقال عن المسيح: "لا يجد الحب الأكبر رجلاً أفضل من هذا الذي يقدم حياته من أجل أصدقائه".

وهذه رسائل رمزية قوية جداً في تقاليدنا حول الموت من أجل معتقداتك، ومع ذلك فإن تعاليم تقاليدنا تقول بأن القتل والانتحار غير مسموح بهما، فكيف نوفّق بين هذين؟ وتقول بأن الالتزام الأمثل يتطلب عاطفة كبيرة جداً بحيث تعطيه كل شيء، والإيمان بالقضية أكبر من حياتك، وعاطفتك أعمق منها والمستقبل أهم من الحاضر، الزمن الكوني الذي تحدث عنه البروفيسور جوير جينز ماير هذا الصباح يدعونا أن نقوم بالأمور الآن من أجل مستقبل أفضل.

فكيف تبني هذه الأديان التوحيدية ثقافة تتعامل مع هذه الحالة من الاستشهاد أو التضحية بالذات؟ إنها قوة هائلة حيث يوجد في كل التقاليد التوحيدية معتقدات تدعم القتل وتقاليد أخرى تنكره، وآمل أن نستفيض حول التوتر القائم بين تحريم القتل والحث على التضحية بالذات.

شيوجيري: شكراً هل أطلب من البروفيسور ناكاتا أن يجيب عن هذا السؤال؟

ناكاتا: أظن أن البروفيسور كفتارو أو علماء مسلمين آخرين أكثر كفاءة مني.

شيوجيري: إذن تفضل دكتور كفتارو.

كفتارو: يعني إذا كنا نتكلم عن العمليات الاستشهادية فلم يثبت في عصر النبوة

عصر نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام مثل هذه العمليات، إلا أن هذه العمليات قد حدثت في عصرنا الحاضر فقد نظر إليها العالم واستنكرها على أنها عمليات يكون من ورائها قتل النفس وهذا لا يصح بطبيعة الحال، إلا أننا بغض النظر عن قضية جواز هذه العمليات، نقول بأننا يجب علينا أن ننظر إلى مأساة رجل اُحتلت أرضه وهُدم بيته وسُلبت خيراته فماذا ينتظر منه أن يفعل، إذا وضعنا هرا واحتبسناه في غرفة لمدة ثلاثة أيام وجوعناه وعطشناه وفتحنا عليه الباب بعد ثلاثة أيام فإننا سنجده وحشا ضاريا، يعني دائما نحن نستنكر عملا وحشيا ونقول بأن هذا قتل نفسه وقتل الآخرين معه، لنفتش عن الأسباب التي دعت هذا الإنسان أن يقتل نفسه، أما من حيث الإسلام فلا يجوز قتل النفس مهما كانت الأسباب، لأن هذه النفس استودعنا الله عليها وأمننا إياها وأوجب علينا الحفاظ عليها وهو سوف يحاسبنا عليها يوم القيامة، لكن أعود وأقول : لننظر إلى مأساة رجل سُلب منه كل شيء فماذا بإمكانه أن يعمل، هو يفجر نفسه ليأخذ في طريقه الآخرين وقد تكون هذه الأمور من خلال ظروف نفسية أليمة يعني أحاطت بهذا الإنسان فأراد أن ينتهي من حياته وأن يذهب إلى العالم الآخر الذي يقتنع بأنه موجود وأن الله هو الذي سيقضي بينه وبين من ظلمه في الحياة الدنيا، من حيث المبدأ لم يرد في حياة نبي الإسلام ولا في حياة خلفاء الإسلام مثل هذه العمليات الاستشهادية ولكن نقول، أنا على سبيل المثال أنا أقود أكبر مجمع إسلامي في الشرق الأوسط نحن نستنكر هذه العمليات إذا كانت ضد المدنيين مهما كانت الأسباب هناك مقاومة مشروعة للمحتل قد يكون هذا المقاوم لا يجد السلاح الذي يناهض به المحتل فيضع حزاما ناسفا ويأخذ في طريقه بعض المحتلين من المحاربين أما أن نقتل نفسا مدنية، هذا العمل إجرامي وسنسأل عنه يوم القيامة كأحداث الحادي عشر من سبتمبر وأحداث بالي والحادث الإجرامي الذي وقع بحق قتل مدنيين يهود في تونس على سبيل المثال .

شيوجيري: شكراً والآن تفضل سيد علي زادة.

علىزاده(Alizadeh) إنني عبد الرزاق علي زاده من جامعة طهران في إيران، إنني أدرس القانون وعلم الاجتماع ومضى علي سنوات في دراسة الشرع الإسلامي، وأحب أن أصرِّح برأيي حول الموضوع كمشارك في هذه الجلسة لمزيد من الفهم.

في التحليل النهائي وكباحث مسلم أعلن أنه رغم أن الدين قد يسبب أحياناً بعض الأعمال العنيفة ليس كدين بل كإيمان وعقيدة، فالدين إيمان والإيمان فيه القدرة والقوة، وعموماً قد يأتي الإيمان من القومية أو الدين أو الفلسفة أو العقيدة بل وحتى من الجنون،

فالإيمان قوة أو قدرة ولهذا قد تسبب العداوة والصراع بين الكائنات البشرية، ومشكلتنا القوة لا الدين، فالقوة على الصعيد القومي أو الدولي يجب أن تقيّد وتُحدّد، ويجب أن تُقيَّد أقصى القوى القومية (أي السيادة الوطنية) عن طيب خاطر أو بالإكراه ولو كان ذلك بالقوى الإنسانية أو الإيثارية أو الأخلاقية في العالم، والتي تؤمن فقط بالعقل والعلم، والآن بقي شيء آخر وهو تقييد وتحديد القوة على الصعيد الدولي للحياة

الاجتماعية والإنسانية، ويقول مثل فرنسي "القوة تفسد والقوة المطلقة تفسد بشكل مطلق". وعلاوة على ذلك، وحسب الدراسات الاجتماعية (وخاصة في نظرية الصراع) فإن الحرب والاعتداء والجريمة كذلك لامناص منها وتصدر عن العلاقات الإنسانية، لذلك لا نجاة من الحرب والصراع والعداوة والاعتداء.

وأخيراً علينا أن نقدِّر الأشخاص الذين يمنعون أنفسهم والآخرين من الحرب والاعتداء، والدين وخصوصاً الإسلام يؤكد على هذا التقدير، وثانياً عندما تنشب الحرب يجب أن تكون بين كائنات بشرية تحكمها الأخلاق، وكذلك يركز الدين على هذه المبادئ الأخلاقية.

ولهذا أسأل ما هي مسؤولية الدين في عالم معقد لا معنى له؟ وفي رأيي علينا أن نحدد ونقيد القوة الكلية التي لا حد لها التي هي الخطر الحقيقي على الحياة الإنسانية.

شيوجيري: شكراً والآن تفضل بروفيسور حنفي.

حنفي: أتمنى أيضاً أن يجيب عن السؤال أصدقاؤنا من إسرائيل، ولأكون واضحاً ومحدداً، سألنا هذا الصباح عن العبارة الإنكليزية المقابلة للجهاد، وتكلم توماس أكويناس (Thomas Aquinas) عن الحرب العادلة، ونحن في فكرنا الإسلامي المعاصر تكلمنا عن الحرب الدفاعية، وتكلمنا كذلك مؤخراً عن حرب التحرير، إذاً إن أفضل تعبير هو صراع التحرير وحركات التحرير القومية التي هي أحد الحقوق المشروعة طبقاً لميثاق الأمم المتحدة، إن كنت مُحتلاً كان الجهاد أي الحرب التحريرية الوحيدة أي إن احتل شخص ما أرض الآخرين، وليس الجهاد ضد المسلمين، وليس الجهاد الحرب العدوانية ضد أي شخص لم يفعل لك شيئاً، ولكنه عندما تكون مُحْتلاً وليس أمامك أي وسيلة أخرى تستطيع أن تحرر نفسك بها، وهذه هي الحرب.

وسؤالي هو التالي: هل هو نفس الشيء مع المهاجمين الانتحاريين؟ وهذه ترجمة سيئة للعمليات الاستشهادية، ولنأخذ قضية إسرائيل والفلسطينيين، عندنا ثلاثة أنواع من الإسرائيليين: الجنود الذين يحتلون الأرض الفلسطينية، ولا سبيل لتطبيق قرار الأمم المتحدة أو خارطة الطريق لتقسيم فلسطين القديمة إلى دولتين.

وإلى الآن الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية تحت الاحتلال والسبيل الوحيد أمام المقاتلين من أجل الحرية، هي التفجيرات الانتحارية، فهم لا يملكون طائرات الأباتشي المروحية ولا طائرات F16 ولايملكون القنابل ولا الدبابات لذلك يضحُّون بحياتهم وهي أقصى ما يملكونه.

والنوع الثاني هم المستوطنون وهم مدنيون عسكريون يقطنون في المستوطنات وهم شبه جنود ولهذا يقاتلهم الفلسطينيون الذين طردوا من بيوتهم، وهذا أيضاً حق مشروع، والنوع الثالث هم المدنيون ولابد أنهم أبرياء، ولكن إسرائيل تستهدف المدنيين في غزة والضفة الغربية بالقنابل ولهذا ترد حماس والجهاد بتفجير آخر للمدنيين.

وقد أوجد سفك الدماء من الجانبين نوعاً من التوازن في القوة وأصبحنا جاهزين للسلام لأن الطرفين يفقدان المدنيين الأبرياء، وأصبح الجميع منهكاً والكل لديهم وعي أخلاقي تجاه هؤلاء المدنيين الأبرياء الذين تغتالهم القنابل من كل جانب، وهذا هو ما أوجد نوعاً من توازن القوة، ليس على الصعيد المادي بل النفسي، لذلك كان واجبنا حقاً تجاه الراغبين في السلام أن نقدّر أولئك الذين يقدمون حياتهم من أجل أجيال المستقبل لتعيش في سلام.

شيوجيري: شكراً بروفيسور حنفي.

باعتبار أن وقتنا محدود. ندعو البروفيسور بابي للحديث.

بابي(Pappe) اسمي إلان بابي من حيفا في إسرائيل، أحب أن أردد كلمات البروفيسور حنفي وأحذّر من التعامل مع الشهادة كظاهرة هامة ومثيرة ولا أود أن تكون موضوعنا الرئيس للمناقشة غداً.

وأعتقد أن هناك شيئاً مثيراً حولها يعكس صور الأعلام المعاصر عن الإسلام فيما يتعلق بالشهادة وكأن ما سواها في العالم ليس مثلها دموية وشراسة وعسيراً على الفهم كالسلوك البشري والتفجيرات الانتحارية ولذلك لا أفضل أن نركز عليها.

وبالعكس، أعتقد أن ما يجب أن نركز عليه في سياق القنابل الانتحارية هو مسألتان: الأولى أن نسأل أنفسنا عن الفرق بين أعمال العنف التي يرتكبها جماعات وأفراد عديدون، لماذا نهتم بشكل معين من العنف ونهمل الأشكال الأخرى؟ لماذا نركّز فقط على تفسير الجهاد؟ دعونا نركز على تفسير الإرهاب: على إرهاب الدولة وإرهاب الأفراد، هل الاحتلال شكل أقل من العنف أم الحرب ضد الاحتلال؟ أوليست الحقيقة في معظم الأحوال عندما نتكلم عن الإرهاب الإسلامي فإننا نتكلم عن عمل ضد العنف المقترف ضد شخص ما؟

هذا وإن العمل ضد العنف يمكن أن يكون أيضاً عنيفاً جداً ومستهجناً ومنفّراً ومع ذلك يجب أن نتذكر أنه لا يأتي من فراغ، ويجب أن نتحاشى هذه النظرة عن الإسلام بأن المسلمين في كل أنحاء العالم ودون سابق إنذار أصبحوا عنيفين، لقد أصبحوا كذلك لأن شخصاً ما ألحق بهم الأذى وأن قضية إسرائيل وفلسطين خير مثال على ذلك.

هل نريد أن نلقي الضوء على الانتحاريين أم على الاحتلال الذي ولّدهم؟ هل نريد أن نركز على المسلم المتدين الذي قد لا ينتهك مبادئ الإسلام بارتكاب الانتحار؟ إني لست خبيراً بالإسلام ولذلك لا أعلم إن كان هناك مشكلة في ارتكاب الانتحار، ولم لا نركز على اليهودي المتدين الذي يجلس في طائرة F16 ويقتل من الناس بقنبلة واحدة أكثر مما يحلم أن يقتل الانتحاري في خمسين عملية انتحارية؟ أليس رجلاً متديناً ذلك الذي يرتكب عمل عنف بإلقاء قنبلة على مجمع سكني؟ وفي الواقع أليس هو أكثر جبناً عندما يتحاشى الموت في العملية لأنه يجلس في قمرة F-16؟ أليس ذلك رفاهية؟ ومع ذلك في تصورنا إنه أكثر أخلاقية. ولِمَ؟ لأنه صار غربياً؟ لأنه لا يقتل نفسه؟ وهذا

يجعله أفضل؟ والحقيقة إنني أقدر الناس الذين يقتلون أنفسهم في العملية أكثر من أولئك الذين يجلسون في F16 ثم يذهبون إلى بيوتهم بعد ذلك بعد أن تحط بهم الطائرة ويرجعون إلى أسرهم وكأن شيئاً لم يحدث.

لقد حدث مثل هذا القتل في أوربا عندما عاش الناس سعادة دون أن يلحقوا الأذى بأنفسهم بعد أن قاموا بالفظائع ضد الآخرين، ولذلك أرى أننا إن ركزنا على العمل بالذات والذي يستحوذ على الأخبار الرئيسة فسوف تفوتنا نقطة هامة وهي أن القومية وليس الدين هي التي تحول الدين، كما في اليهودية على سبيل المثال، إلى قوة تؤيد العنف.

هل أيدت اليهودية العنف قبل إيجاد دولة إسرائيل؟ هل كانت اليهودية ديناً أعطى المصداقية والشرعية للاحتلال والاستيطان وطرد الناس قبل أن تتحول إلى حركة قومية؟ هل يستطيع شخص ما أن يعطيني مثالاً من عام 70م إلى عام 1882م عن أي عالم يهودي تكلم بأي شكل عن العنف؟

ومرة أخرى أستطيع أن أعطيكم أمثلة وافرة بعد عام 1882م كيف يسمح لك وباسم اليهودية أن تطرد الناس وتستوطن أرضهم وتحتلها بل وتقتلهم، وهذه مسألة هامة، عما فعلته القومية بالأديان التوحيدية وليس عما فعلته الأديان التوحيدية ببني البشر، وشكراً لكم.

شيوجيري: شكراً. تفضل بروفيسور شمس الدين.

شمس الدين: إني مهتم جداً بتعاطف الدكتور بابي والفكرة هي أن أي مفهوم ديني يجب أن يفهم ضمن سياق لا خارجه، وهذا أمر أساس ليس فقط في الدين ولكن في حقول العلوم الأخرى، فالسياق مهم جداً.

وأنا لست من المختصين في الشريعة الإسلامية، ولكن رداً على موضوع التضحية بالذات والتي تسمى في العربية بالاستشهاد أو طلب الشهادة قرأت أن فقيهاً مشهوراً اليوم وهو الدكتور يوسف القرضاوي قال بأن الاستشهاد مسموح في الإسلام، وهو ما تسميه وسائل الإعلام بالقنابل الانتحارية، ولكن قرأت أن فقهاء كثيرين من بلاد أخرى بما فيها أندونيسيا ولجنة الفتوى في مجلس علماء أندونيسيا خلصوا بعد الدرس والمناقشة إلى وجود عقيدتين أساسيتين في الإسلام.

الأولى الاستشهاد، والثانية تحريم القنوط، هذا وإن الفتوى في مجلس علمائنا هي أن قتل النفس بلا سبب محرم في الإسلام، لأن الحياة مهمة وقد خلقها الله وهناك أمران طلب الشهادة في دار الحرب مثل فلسطين وربما العراق، وهي الدار التي أخرج المسلمون منها، أما يفعله الإرهابيون في البلد مثل تفجيرات بالي في أندونيسيا حيث قتل شخص نفسه بتفجير انتحاري فهذا لا يسمح به الإسلام لأن أندونيسيا ليست بدار حرب بل هي دار الإسلام ودار السلام، وشكراً.

شيوجيري: شكراً بروفيسور شمس الدين، لا بد أن الكثيرين منكم يشعرون بأن

لديهم الكثير ليقولوه ويشاركوا به وقد تعمقت أسئلتكم وربما لديكم أسئلة وقضايا أكثر مما كان لديكم عندما وصلتم هذا اليوم، وعلى أي حال، إن استطعنا في هذه الندوة، كبداية جديدة، أن تتسنى لنا الفرص لحوارات في المستقبل فإن التفاهم المتبادل بين الإسلام والديانات التوحيدية الأخرى سيتعمق، وأحب أن أشكر متكلمينا البرفيسور ناكاتا والبروفيسور شمس الدين والدكتورة بوروجيردي، وأتوجه بشكري إلى معلقينا الدكتور سفار تفيك والسيد هاشم شهرير والبروفيسور تو ميتا والبروفيسور إيتشيغويا. شكراً جزيلاً.

وهذا يختم جلستنا الثانية لهذا اليوم. وشكراً.

الجلسة الثالثة(2004/2/21)

الحرب والعنف، والمسيحية

نظرية الحرب العادلة
في التقاليد التاريخية والمناظرة الجارية

جيمس تيرنر جونسون (James Turner Johnson)
جامعة روتجرز (Rutgers)

تؤلف تقاليد الحرب العادلة الخط الرئيسي للفكر الأخلاقي في الثقافة الغربية على أساس اللجوء إلى القوة المسلحة والاستخدام المناسب لمثل هذه القوة المبررة. وعلى الرغم من أن الحرب الباردة قد تشكلت بمصادر دينية ولا دينية من الوجهة التاريخية فمن الممكن فصل العناصر الدينية وهذا ما سأركز عليه هنا.

إن الجذور العميقة لفكرة الحرب العادلة تعود إلى زمن سحيق لم تندمج فيه الفكرة والممارسة معاً حتى العصور الوسطى،حيث بدأ هذا الاندماج خاصة في منتصف القرن الثاني عشر وفيما يتعلق به كمبدأ مسيحي فقد استقر وبقدر كبير في زمن توماس اكويناس (Thomas Aquinas) بعد قرن وربع، وتحدد المفهوم بهذا الشكل الكلاسيكي للحرب العادلة كما هو موضح في (الشكل رقم 1).

وتألفت شروط اللجوء العادل للقوة والتي دعيت فيما بعد بـ " الحق بالذهاب للحرب" من أربعة مستلزمات : السلطة الحاكمة والقضية العادلة والنية الصحيحة بمعنيين : تجنب الدوافع الخاطئة مثل الكسب الشخصي، والرغبة بإلحاق الأذى بالعدو أو السيطرة عليه أو إثارة البغض الشديد له، وأخيراً الهدف الإيجابي من إقامة السلام.

والمستلزم الأول هو أن السلطة الحاكمة هي المخولة الوحيدة باستعمال القوة على أساس مسؤولية الحكم السياسي وأن الحاكم مسؤول عن إيجاد النظام العادل وحفظه في المجتمع السياسي وبهذا تقوم حالة السلام، ومع الظروف التاريخية حيث تبقى الخطيئة والظلم فيضطر الحاكم لاستخدام القوة لفعل ذلك، وهذا وارد في نص إنجيلي مفصل لمنظّري الحرب العادلة في القرون الوسطى. (روميا الفصل 13 الآية 3) : " لا تخش الأمير لأنه ممثل الله لمصلحتك ويأتي غاضباً ليعاقب الشرير." ولذلك كانت العلامة الأولى للحرب العادلة كما يتصورها فكر الحرب العادلة المسيحي كلاسيكياً هي أنه لا يقوم بها سوى الحاكم في سلطته كمسؤول عن الصالح العام وكأداة نحو تحقيق ذلك الصالح والحفاظ عليه.

ولكن قد يستخدم الحاكم القوة فقط من أجل قضية عادلة وبنية صحيحة بالمعنيين المحددين والمشروحين سابقاً. والحرب العادلة كما تصوّر هنا لها سبب واحد من الأسباب الثلاثة التالية أو جميعها. الدفاع عن الصالح المشترك واستعادة

الأشياء التي أخذت خطأ، ومعاقبة الشريرين وهكذا يرجع بنا التعريف الكلاسيكي للقضية العادلة إلى المسؤولية الأساسية للحاكم من أجل صالح الجماعة السياسية ككل ومن أجل أفرادها ومن أجل الإطار الذي توجد فيه الجماعات السياسية بشكل عام وتزدهر.

وكجزء من التقاليد الكلاسيكية كان هناك نوعان من الجهود لتقييد استخدام القوة في الحرب العادلة والتي دعيت فيما بعد بـ " الحق أثناء خوض الحرب" وهو تعريف للحصانة غير المحاربة وهذا الحق تؤمن به مجموعات من الناس لا يشتركون عادة في الحرب ويمنعون أنواعاً من الأسلحة توصف بأنها شديدة الإيذاء فقد تبنى القانون الدولي للصراعات المسلحة كلا المدخلين لكبح السلوك في الحرب.

واسمحوا لي أن أقارن هذا المفهوم الكلاسيكي بصيغتين من الفكر المسيحي حول الحرب العادلة من بول رامزي (Paul Ramsey) والأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة.

ويقدم كتابان نشرهما رامزي في الستينات من القرن بعنوان " الحرب والضمير المسيحي" في عام 1961م و الحرب العادلة: القوة والمسؤولية السياسية " عام 1968م نقطة علام في التفكير المسيحي حول الحرب العادلة مؤخراً، ويقدم رامزي هنا مفهوم الحرب العادلة القائمة على فكرة الحب المسيحي للجار والتي تبرر استخدام القوة وتقيدها. انظر (الشكل رقم 2). ولكي نمنع الأذى الظالم للجار، كما يناقش رامزي، فإن حب الجار يبرر بل قد يتطلب استخدام القوة لحماية الجار. وفي نفس الوقت، فإن محبة المهاجم كالجار تعني كبح جماح النفس وعدم استخدام القوة أكثر من اللازم لمنع ضرر مقصود، وعلى المرء أن يوجه القوة المستخدمة فقط ضد أولئك الأشخاص المنخرطين فعلياً في إلحاق الضرر أو التهديد به، ويرى رامزي أن هذا المنحى من التفكير هو مبدأ التمييز، وهو الالتزام، وبدافع الحب، باستخدام القوة مباشرة وعن قصد ضد المحاربين فقط وعدم إيذاء غير المحاربين مباشرة وعن سابق إصرار ويسلم رامزي بأنه في قانون التأثير المزدوج قد يكون هناك مناسبات يصاب فيها غير المحاربين بالأذى بشكل غير مباشر وعن غير قصد، ولكن الحب يفرض، كما يصر رامزي، على أن لا يكون الذين لا يشتركون في الحرب هدفاً لها.

ويقدم رامزي أيضاً مبدأ تقييدياً آخر لا يستمد من الحب بل من العقل وهو مبدأ " التناسب " وهو أيضاً يستمد من الحب بنحو ما، باعتبار أن المرء يجب أن لا يفعل بعدوه أكثر مما يلزم لإخضاعه أو لمنعه من إلحاق الأذى الذي يريده. وعلى أي حال بالنسبة لرامزي، فإن هذين المبدأين اللذين يحددان قيود استخدام القوة مع استعمال العقل حول توقيت تبرير اللجوء إلى القوة يبلوران فكرة الحرب

العادلة المغروسة في الحب المسيحي للجار، وبالمقارنة ليس لدى رامزي إلا القليل ليقوله حول مشكلة اللجوء إلى القوة المسلحة التي يعتبرها خاضعة للحكم السياسي وليس انعاكساً أخلاقياً مسيحياً، ومع ذلك كان لتفكيره حول مشكلة السلوك الأخلاقي في الحرب أكبر الأثر، وإن الأحاديث الأخلاقية اللاحقة حول الحرب لتشير تلقائياً إلى مبادئ التمييز والتناسب وليس إلى قوائم غير المحاربين ومحظورات الأسلحة.

والمثال الثاني الذي أقدمه عن الفكر المسيحي المعاصر هو مفهوم الحرب العادلة الذي يحدده الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة بصيغتين مختلفتين قليلاً: (انظر الشكل 3) الأولى في رسالتهم الرعوية واسعة الانتشار " تحدي السلام " عام 1983م. والثانية في بيانهم "حصاد العدل يُبذر في السلام" عام 1993م. وبينما يوجد اختلافات داخلية ذات أهمية ما، إلا أن ما يهمنا هنا هو ظاهرتان جديدتان مميزتان مشتركتان في كليهما ولكنهما تختلفان عن المفاهيم الأخرى للحرب العادلة التي ذكرت آنفاً.

الأولى: هي الافتراض بأن الحرب العادلة الكاثوليكية تبدأ من " التسليم بمناهضة الحرب" عام 1983م إلى " التسليم بمناهضة استخدام القوة " عام 1993م فينتج عن هذا الافتراض أن معايير الحرب العادلة تعمل على إبطال هذا التسليم في حالات معينة، مما يغير تماماً طبيعة ومعنى فكرة الحرب العادلة من فكر كلاسيكي للحرب العادلة حيث تكون القوة بذاتها حيادية معنوياً وعندئذ تأخذ استخداماتها صفتها الأخلاقية من الظروف المحيطة بها.

والظاهرة الجديدة الثانية هي تقديم الأساقفة لعدة معايير حكيمة والتي تدعم فردياً وجماعياً فكرة " التسليم بمناهضة الحرب " وأن اللجوء للقوة يجب أن يكون الملاذ الأخير (وهذا يعني استنفاذ كل البدائل الأخرى وفشلها وليس مجرد دراستها والاقتناع بضرورتها)، وأن يكون هنالك أمل بالنجاح، وهذا النجاح متناسب بين الخير المطلوب والدمار الحاصل، وأما في الممارسة فقد استعمل الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة معيار التناسب في مفهوم " قانون الحرب " لتدعيم فكرتهم بأن الحرب الحديثة غير متناسبة في إمكانياتها التدميرية وبالغة السوء في تشخيصها للضرر الحاصل من تقديراتها في استخدام القوة.

وتعيد هاتان الظاهرتان معاً تحديد فكرة الحرب العادلة وتكبح أساساً الشر الكامن في الحرب بدلاً من فكرة الحرب العادلة الكلاسيكية والتي تتعلق بمسؤولية الحكومة في ردع أعمال الشر والعقاب لإحقاق العدل، وتفتح إعادة التعريف الباب لإمكانية الحرب العادلة ولكنها توضح بأن هذه الحرب شريرة بذاتها ويجب تجنبها بقدر الإمكان.

وهكذا تحدد الحديث عن الحرب العادلة الدينية المعاصرة ضمن نطاق هــذه الصيغ الثلاث للحرب العادلة وهي : المفهوم الكلاسيكي ومفهوم رامزي ومفهــوم الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة.

الشكل (1)

تقاليد الحرب العادلة في الشكل الكلاسيكي

1. المعايير المحددة لحق اللجوء للقوة (The Jus ad Bellum)

أ ــ السلطة الحاكمة :

الاحتفاظ بحق استخدام القوة بأشخاص أو جماعات في أعلى سدة الحكم

القضية العادلة:

- واحد أو أكثر مما يأتي :
- الدفاع عن الصالح العام
- عن الأبرياء ضد الهجوم المسلح
- استعادة الأشخاص أو الممتلكات أو الأشياء الثمينة الأخرى التي أخذت غصباً
- معاقبة المسيئين.

ب ــ النية السليمة.

في معنيين:

سلبياً: في الشرور التي يجب تجنبها في الحرب بما فيها كراهية العدو

العداوة الدفينة " من أجل الانتقام فقط "

الرغبة في السيطرة

إيجابياً: الهدف إنتاج السلام

2. المعايير المحددة للسلوك السليم في استخدام القوة (The Jus in Bello)

أ. حماية غير المحاربين

- قوائم بالأشخاص الواجب تجنيبهم ويلات الحرب
- النساء
- الأطفال
- المسنون
- العاجزون
- آخرون لا يستطيعون شن الحرب
- جماعات مثل رجال الدين ــ التجار ــ الفلاحون في الأرض.
- أشخاص في نشاطات لا تمت إلى شرور الحرب

3. تقييد الوسائل:

ــ محاولات لتقييد الأسلحة ذات الضرر العشوائي أو تحدث ضرراً لا ضرورة له.

ــ الأيام التي يسمح فيها بالحرب.

الشكل (2)

بول رامزي والحرب العادلة

1. محبة الجار والاستخدام المسيحي للقوة

- محبة الجار البريء كمصدر للسماح أو الإرغام على استخدام القوة لحماية ذلك الجار
- محبة الجار المذنب كمصدر للإرغام على عدم استخدام قوة زائدة عن اللزوم ضد المذنب أثناء حماية البريء

مبادئ قوانين الحرب

التمييز: وجوب عدم استخدام القوة ضد البريء مباشرة وعن قصد

التناسب : وجوب عدم استخدام القوة الزائدة عن اللزوم لتحقيق الغاية.

2. قانون التأثير المضاعف

على المرء أن لا يلحق الضرر بالأبرياء لا مباشرة ولا عن قصد ولكن باعتبار أن العمل الصالح قد يكون له آثار سيئة لذا يسمح بإيذاء الأبرياء بشكل غير مباشر وغير مقصود عند قصد هدف مشروع مباشرة وعن قصد.

الشكل (3)
معايير الحرب العادلة
كما يحددها الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة

أ ــ تحدي السلام عام 1983م
افتراض : يوجد تسليم بمناهضة الحرب
الحق بالذهاب للحرب Jus ad Bellum
القضية العادلة :

- مواجهة خطر حقيقي أكيد
- حماية الحياة البرئية
- حفظ الشروط الضرورية لوجود إنساني لائق
- تأمين حقوق الإنسان الأساسية.

السلطة الكفوءة: في التقاليد الكاثوليكية كان استخدام القوة مرتبطاً بالصالح العــام: يجــب أن تعلــن الحرب من قبل المسؤولين عن الصالح العام.
العدالة المقارنة: المستويات النسبية للحق في كلا جانبي الصراع فيما إذا وجد حق كاف يبطل التسليم بمناهضة الحرب
النية الصحيحة: " يمكن البدء بالحرب فقط بناء على الأسباب التي ذكرت آنفا كقضية عادلة " وأثناء الصراع السعي وراء السلام والوئام وتجنب الدمار غير الضروري والظروف غير المعقولة.
الملاذ الأخير : لكي يبرر اللجوء للحرب لابد من استنفاذ كل البدائل.
احتمال النجاح : لا استخدام للقوة إذا كانت الحصيلة غير متناسبة وبلا جدوى، ولكن الــدفاع عن القيم الرئيسية ومقاومة السلبيات قد يكون شاهداً مناسباً.
التناسب: لابد أن يتناسب الدمار الحاصل وتكاليف الحرب مع النفع الذي يُجنـــى مـــن وراء حمل السلاح.
Jus ad Bellum الحق أثناء خوض الحرب
التناسب : تجنب التصعيد إلى حرب أوسع أو حرب شاملة. أو استخدام أسلحة ذات إمكانيات تدميرية هائلة.
التمييز : يمنع المبدأ الهجوم المقصود مباشرة على غير المحاربين أو الأهداف غير العسكرية.

الشكل (3)

ب حصاد العدل يبذر في السلام (1993م)

افتراض : يبدأ تقليد الحرب العادلة بتسليم قوي يناهض استخدام القوة ويقيم الظروف عندما يُبطل هذا التسليم من أجل الحفاظ على نوع من السلام يحمي الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان.

الحق بالذهاب للحرب Jus ad Bellum

السبب العادل : يسمح للقوة أن تستخدم فقط عند تقويم شر عام مثل العدوان أو انتهاك شديد للحقوق الأساسية لكافة الشعوب.

العدالة المقارنة : إبطال التسليم بمناهضة استخدام القوة لأن الظلم الحاصل لفريق يفوق كثيراً الظلم الذي حصل للآخر

السلطة المشروعة : السلطة العامة المنتخبة هي الوحيدة المخولة باستخدام القوة المميتة أو شن الحرب.

النية الصحيحة: يمكن للقوة أن تستخدم فقط من أجل قضية عادلة حقاً ومن أجل ذلك الهدف فقط.

إمكانية النجاح : يجب أن لا يستعمل السلاح في قضية عبثية أو عند لزوم إجراءات غير متناسبة لتحقيق النجاح

التناسبية : يجب أن ترجح كفة النفع الحاصل على كافة أشكال الدمار المتوقع من جراء استخدام القوة.

الملاذ الأخير : تستخدم القوة فقط بعد استنفاذ كل البدائل السلمية وتجريبها.

الحق أثناء خوض الحرب: Jus ad Bellum

الحصانة لغير المحاربين : يجب أن لا يكون المدنيون هدف الهجوم المباشر وعلى العسكريين بذل قصارى جهدهم لتجنب إلحاق الأذى بالمدنيين أو التقليل من ذلك.

التناسب : يجب بذل الجهود بحيث أن الوصول إلى الأهداف العسكرية لا يتم باستخدام قوة غير ضرورية عسكرياً وتجنب الدمار غير المتناسب لحياة المدنيين والممتلكات.

النية الصحيحة : الهدف هو السلام مع العدل وبذلك تُمنع الأعمال الانتقامية والعنف العشوائي.

المسيحية و العنف و وجوب السلام

أورسولا كينغ (Ursula King)
جامعة بريستول (Bristol)ـ انكلترا

ازداد الاهتمام خلال العشر سنوات الأخيرة بالعلاقات الكامنة بين الدين والعنف وخاصة منذ نمو الإرهاب الدولي، وبرز إلى الوجود حقل جديد وافر من الدراسات حوله. وتقدم هذه الندوة دليلاً آخر عن التطورات في هذا المجال. فلقد طرأت حوادث عنف في السنوات الأخيرة في أديان وثقافات بعينها ومن هنا يطرح السؤال إلى أي مدى توقد التعاليم والممارسات الدينية نيران أعمال العنف. ويناقش البعض أن العنف العالمي المتزايد ليس له علاقة بالدين إنما تسببه عوامل سياسية واقتصادية، بينما يعتقد البعض الآخر أن الدين طرف في مشكلة العنف ولهذا يجب عليه أن يكون طرفاً في إيجاد حل لمواجهته.

وأذكر أني منذ عشر سنوات مضت كنت في مؤتمر دولي أشارك في مناقشة فكرة أن "السلام والوحدة بين الأديان مستحيلة " باعتبار أن الدين يفرق الناس أكثر مما يجمعهم وبسبب اختلاف دعواهم حول الحقيقة، واختلاف طرق معاشهم، ومساندتهم للخصومات الدينية والأخلاقية وبسبب بعض تعاليمهم التي تروِّج للكراهية والصراع بل للعنف والحرب، وقد أشار العلماء خصوصاً إلى تعصب الديانات التوحيدية التي غالباً ما ترى " الغرباء أو الآخرين " على خطأ ولهذا يطردون من بين ظهرانيهم أو يكرهون على إتباع دينهم، وإذا وجدت ظاهرة العنف الديني علينا أن نحللها بالتفصيل ونفحص ونشرح أسبابها ونعثر على مروجيها وضحاياها، وعلينا كذلك أن نبحث في المصادر التي تملكها الأديان للتغلب على العنف وتحويل السلوك من العنف إلى اللاعنف. ونظراً للقوة العسكرية المتنامية في العالم، والإمكانيات التكنولوجية العالية التي تدمر الحياة والممتلكات والبيئة، والصراعات الإقليمية المتعددة المتزايدة، ونمو القدرة النووية وإمكانية استئصال الحياة على الأرض فإن السلام لم يعدُ مجرد خيار بديل للعنف بل واجب ملح وضرورة مطلقة، إنْ أردنا للإنسانية وهذا الكوكب أن يكون لهما مستقبل جدير بالحياة.

وفي عام 2001م كنت عضوة في هيئة محلفين دولية لمنح جائزة ألمانية في اللاهوت والفلسفة تقدمها وكالة معونات مسيحية لمن يكتب مقالة كاملة حول " الأديان والعنف " من طلاب ما بعد الدكتوراه في الدراسات العليا في اللاهوت ومن بلدان شتى، وعندما أعلن موضوع المسابقة كان كالتالي:

((في هذه الأيام يأخذ عدد كبير من الصراعات القومية والدولية طابعاً دينياً مثلما هو في ايرلندا الشمالية والجزائر ونيجيريا وأوغندا وأفغانستان وإندونيسيا، ...إلخ. في ظاهرة مثيرة للاضطراب. هل الأديان سبب العنف أم أنها تعمل على استتباب السلام ؟ وإلى أي مدى يُخشى أن تسبب الأديان العنف ؟ وهل أصل المشكلة الدين بذاته أم أنه استغلال للدين كمجرد أداة لتحقيق أغراض معينة ؟ وما هو الدور الذي تلعبه الأديان في ظهورالعنف ودحره؟ وما هي القواعد الأساسية التي يجب مراعاتها في هذا السياق ؟ وما هي نتائج الحقيقة القاسية للعنف بالنسبة للاهوت والفلسفة[1] ؟))

إن قائمة البلدان المذكورة في هذا الإعلان ليست كاملة بأي حال، ويمكننا إضافة العديد غيرها كإسرائيل والعراق على سبيل المثال، إن جوهر ما أريد قوله والقضية المحورية لهذا التصريح هو أن الدين أداة وسبب مساهم إما في وقوع العنف أو تحقيق السلام ولا أستطيع النظر إلى هذه المسائل من خلال سياق مقارن وواسع هنا،ولكن سأركز بشكل أساسي على المسيحية في تعاملها مع الموضوعات الثلاثة التالية:

1. الحافز الديني للصراع والعدوان والعنف.
2. الإنجيل ككتاب للحرب والسلام.
3. وجوب السلام وبعض الجهود العملية من أجل تحقيقه.

ونبدأ أولاً بـ :

1) الحافز الديني للصراع والعدوان والعنف :

يعتبر الصراع والعدوان والعنف شراً يطبق على حياة الإنسان من كل الجهات في كل الثقافات، ولكن ما هو سبب وجود شر كهذا ؟ ومن أين يأتي ؟ في الحقيقة لقد زودنا الفكر الديني والفلسفي والقصص الأسطورية والشعبية بأمثلة لا تعد ولا تحصى للرد على هذه الأسئلة.

وتنسب كلا الديانتين اليهودية والمسيحية مصادر الشر وأشكال المعاناة المتعددة الناشئة عن الصراع البشري والعدوان والعنف إلى العصيان البشري الذي يعبر عنه رمزياً في سفر التكوين في قصة آدم وحواء ومعصيتهما منذ قديم الأزل. أما في الهندوسية والبوذية فهناك رابطة قوية بين المعاناة والجهل بسبب حقيقة طبيعتنا التي نحهلها. فنحن مقيدون بسلسلة من الشر تكاد لا تنتهي عن طريق

---

[1] النص من إعلان الجائزة من أجل لاهوت وفلسفة في عالم الواقع من معهد التبشير في آخن في ألمانيا. أسست الجائزة عام 2001 من أجل ترويج حوار لاهوتي فلسفي بين الثقافات وتقدم الجائزة كل سنتين. قدمت الجائزة إلى اللاهوتي فرانسيس جونسالفس (Francis Gonsalves) لمقالته " آلهة الحرب وحروب الإله: الأديان والعنف في المجتمع المعاصر".

رغباتنا وشهواتنا التي تؤدي إلى الطمع والكراهية والوهم والتي هي ثلاث نيران مستوطنة في الطبيعة البشرية، وإن الهدف الواضح من ممارسة التأمل في البوذية هي إطفاء هذه النيران واستبدالها بنقيضها من الكرم والحب والبصيرة، وأخيراً فإن التنوير الداخلي هو الذي يحررنا من النظرة المزيفة للعالم ومن تعلقنا الكاذب بأنفسنا. ولا أعتقد أن أي دين يعلم أن البشر عدوانيين بالطبيعة، والتشخيص للمشكلة هو أن البشر ينخرطون في العدوان والعنف وبذلك يسببون المعاناة لبعضهم بعضاً بسبب عدم كمال نفوسهم وهشاشتهم وأنانيتهم وجهلهم، وكذلك بسبب الحسد والكبر والشهوة وهي مواقف عقلية وقلبية تصنف في اللاهوت المسيحي بالخطايا، وهي عصيان إرادي لمشيئة الله، وهذا يدل على مسؤولية البشر عن أعمالهم، فلا غرابة أن كثيراً من الأديان يعرف نوعاً منتظماً من الاعتراف بالخطيئة أو الإقرار الصريح بارتكاب الخطأ عن عمد والذنب المرتبط به. لكن غموض الشر يتجاوز عمل الإنسان الفردي وذنوبه، وقد قال بول ريكور (Paul Ricoeur) وهو يكتب عن رمزية الشر بأن " كل واحد منا يجد الشر قائماً في العالم فهو لا يبدؤه لكن لديه شعوراً بالانتماء لتاريخ الشر الأقدم من أي عمل شرير فردي، وتجعلنا هذه الحالة الغريبة من السلبية، والتي هي لبّ العمل بالشر، نشعر أننا بذاتنا ضحايا العمل الذي يجعلنا مذنبين. (عام 1987م ص 200).

وإن شعورنا بقوى الشر المهيمنة والتي تستطيع قهرنا وخنقنا له قوة خاصة في مواجهة العنف الذي هو شكل خاص من الخطأ الإنساني وبنية سرطانية تؤذينا أكثر من أعمال العنف الجماعية والفردية، وإن من أشد أشكال العنف وأخطرها التي يلحقها الإنسان بغيره هي القتل المتعمد للآخرين، وخاصة في الحرب، فماذا على الأديان أن تقول تجاه هذا الشكل البالغ من العدوان ؟ هل تسعى لقمعه أم تغذي وتضفي الشرعية بل وتسبب العنف والحرب؟.

وتخطر في البال مباشرة أمثلة معاصرة يستطيع المرء أن يجيب على هذا السؤال بالإيجاب إذ غالباً ما أسهمت المعتقدات والممارسات الدينية بإثارة الفرقة والعدوان والحرب. وإن التنوع القائم في الآراء الدينية الشائعة المتنافسة بل والمتعارضة بادعائها المطلق والحصري للحقيقة هي المصدر الفعلي للتوترات العميقة، إنها توجد الصراعات التي تؤدي للعنف والحرب، ويحتج بعض المدافعين بأن الدين مسؤول ظاهرياً عن هذا بينما السبب الحقيقي لأي عدوان عسكري هو الاختلاف في القوة العسكرية والاقتصادية والتنافس على المصادر القديمة النادرة. ويعتبر الكثير من المفكرين أن العدوان كامن في الإنسان وأن العنف موجود دائماً في كل المجتمعات البشرية بحيث أن الاستثناءات النادرة للمجتمعات اللاعدوانية المسالمة هي التي بحاجة للتعليل لا العنف، والمناقشات عديدة حول إن كان العدوان والعنف والحرب أموراً طبيعية ولا مناص منها أم هي مكتسبٌ ثقافيٌ يمكن تجنبها لو استطعنا فقط أن نصلح أنفسنا ونربيِّ الإنسان بشكل مختلف.

لا شك أن الأديان على مر التاريخ قد لعبت دوراً مهماً في الحرب وأن التبريرات الدينية لأعمال العنف كثيرة، هذا وإن الأديان، عوضاً عن إزالة الحروب، فقد دمجتها في عالمها الرمزي بأن جعلت لها الطقوس بل والسلطة المطلقة، ومع ذلك فإن المؤلفات العلمية قد اهتمت بسمات الدين التي تدعو للسلام وتبني المجتمع أكثر مما اهتمت بقواه التدميرية في ترويج الفرقة والشعور بالذنب والعنف والحرب، واليوم أكثر من أي وقت آخر نحن بحاجة عظمى لتحليل ظواهر المواقف الدينية والأفكار والعمليات المؤسسة المؤدية لأعمال العنف الناجمة عن العدوان البشري والصراع والحرب.

وفي الدراسة المختصرة ولكن البصيرة حول " الحرب والسلم في أديان العالم " (عام 1977م) توصل المسالم المسيحي جون فيرجسون (John Ferguson) إلى استنتاج مفاده أن المسيحية والبوذية بينما كانتا مسالمتين في أصولهما وجوهرها إلا أنهما انخرطتا في السياسة العسكرية في المراحل الأولى من تاريخهما. وبالمقابل فإن الزرداشتيه والإسلام والشنتوية كانت عسكرية في أصولها وجوهرها، ومع ذلك أنتجت شواهد من الوئام والسلام. ويكتب عن المسيحية: " إن الربط التاريخي للإيمان المسيحي بأمم ذات طموح تجاري وتوسع استعماري وتقدم تقني كان يعني أن الشعوب المسيحية، رغم أن عقيدتها هي الأكثر مسالمة ورفضاً للحرب في أصولها، لها سجل نشاط عسكري لا يعلو عليه أحد. (عام 1977م : صفحة 122).

وكان بين المسيحيين ثلاثة ردود تاريخية مختلفة تجاه الحرب، وكانت المسالمة ورفض الحرب المذهب السائد حتى حكم قسطنطين، عندها أصبحت المسيحية دين الدولة، وحتى ذلك الحين لم يرض أي كاتب أو مؤلف مشاركة المسيحية في الحرب، ولكن في عام 314 م حكم مجلس آرليس بأن أي مسيحي يتخلى عن سلاحه في وقت السلم يجب أن يحرم من الكنيسة. وأما الرد الثاني الأوسع تأثيراً فكان صياغة نظرية الحرب العادلة، المقتبسة من سيسيرو (Cicero) وتكلم بها القديس أمبروز (St Ambrose) والقديس أوجوستين (St Augustine) . وتنص النظرية أن بإمكان المسيحيين المشاركة بالحرب بشكل مشروع شريطة أن تعلن من قبل سلطة دستورية مناسبة وأن تحافظ على شروط أخلاقية محددة أثناء الحرب، وكان التطور الثالث فكرة الحملة الصليبية التي برزت أثناء العصور الوسطى وتأثرت كثيراً بالمفهوم العبراني للحرب المقدسة. وأما العهد الجديد، الذي يؤيد السلم أكثر من الحرب كما هو جلي، فقد استخدم كمبرر لهذه الردود المسيحية الثلاثة تجاه الحرب – المسالمة والحرب العادلة والحملة الصليبية. ولدى تمحيص هذه الردود كتب روبين جيل (Robin Gill) :" يبدو وضع الكنيسة قبل قسطنطين واضحاً جداً عندما يدرك المرء أنه لم تكن

أي كنيسة أو طائفة كبيرة مسالمة بشكل متسق منذ قسطنطين. والواقع فإن المسالمة المسيحية كانت مقصورة على جماعة صغيرة من الطوائف مثل الكويكرز (Quakers) واللامعمادنيين (Anabaptists) والمينونايتس (Mennonites) والأخوة (Brethren) وشهود يهوه (Jehovah's Witnesses) وعلاوة على ذلك فإن المسالمين ضمن الكنائس، غير الطوائف،كانوا يلاقون العنت في أوقات الحرب من زملائهم المسيحيين " (عام 1977م : صفحة 73). وكانت المعارضة الوجدانية للخدمة العسكرية أو رفضها تعامل من قبل الكنائس الكبرى المعاصرة على أنها مسألة ضمير شخصية لا قضية أساسية للجماعة المسيحية التي تتطلب التزاماً ثابتاً فيما يخص موقف الكنائس من العنف والحرب، وإذا درسنا الموقف المركزي للإنجيل في كل من اليهودية والمسيحية وأهمية تعاليمه في صياغة الثقافة الغربية من اللائق أن ندقق في التفكير الإنجيلي حول العنف والسلام معاً وحول إنهاء العنف وخصوصاً في شكله الحاقد كحرب منظمة بين بلدين مختلفين.

2) الإنجيل ككتاب حرب وسلام:

صان عالم حياة وفكر الإنجيل إيمان أجيال لا عد لها ولا حصر فالإنجيل العبراني هو شرع الله ــ التوراة ــ بالنسبة لليهود والعهدان القديم والجديد هما كلمة الله الحية التي استقى منها ملايين المسيحيين البقاء والهداية في الأمور العملية. ولقد صاغ الإنجيل كثيراً من مظاهر الحضارة الغربية سواء في العلوم أم الفلسفة أم اللاهوت أم القانون أم الفنون، ولا زال كثير من العلمانيين المعاصرين، اللادينيين أحياناً بالكلية، متأثرين ببعض الأفكار المكنونة أصلاً في النصوص الإنجيلية.

والإنجيل كذلك كتاب متناقضات كثيرة وكتاب حوار ونقاش تقدم كلماته سجلاً لصراع مستميت نحو الأمل والإنسانية العظمى، ولقرون عدة استخدمت النصوص الإنجيلية في استعمالات شتى، وتشهد كثير من القصص الإنجيلية على الميل البشري للعدوان والنزاع والعنف ولكنها تحكي أيضاً عن الإمكانية الهائلة والوعد والمعونة المقدمة من روح القدس للبشر ليصنعوا السلام، وإن ظروفنا الاجتماعية والسياسية الحالية في كل أنحاء المعمورة لتفرض قهر العنف والسعي وراء كل المصادر المتاحة لإيجاد سلام أكبر على الأرض، ولكن إلى أي مدى ساعدت النصوص الإنجيلية على دعم وتكريس العنف والحرب ؟.

يحتفي الإنجيل العبراني، والذي أصبح العهد القديم بالنسبة للمسيحيين، بأعمال إله محارب في كثير من نصوصه، وعديدة تلك النصوص التي تعلن قوة الرب في المعركة وطبيعته الانتقامية كذلك، وتتحدث النصوص عن الاعتماد على الأسلحة وتدمير العدو بالكامل وهي جلية في أسفار القضاة وصموئيل والملوك. وما كان يدعى أصلا بالإله القبلي في القسم الأول من الأسفار الخمسة من التوراة

تحول إلى إله قومي لما يسمى بالكتب التاريخية مع ازدياد في استخدام الإله للقوة في الدفاع عن الأراضي المتوسعة والمحددة جيداً، وهنا نقابل شعباً وإلهه منهمكين في سلسلة من الحروب التي يبدو أنها لا تنتهي.

وكثيرة تلك القصص في العهد القديم التي تصف أعمال الإله المحارب وحربه المقدسة ضد أعداء شعبه، تلك القصص التي تعلن ملكوت الله وسيادته على العالم أجمع، وبالنسبة للعبرانيين فإن التاريخ يروي حقيقة الحرب ويشهد عليها ثم تُدرس لاهوتيا، والإله المحارب يقود شعبه إلى أرض الميعاد ويشن الحرب على أعداء شعبه، وتظهر هذه الفكرة حول الحرب المقدسة في قصص العهد القديم وفي القوانين التي تنظم الحرب كما ينص عليه سفر التثنية في توراة موسى الآية 20. ويقال بأن هذه الفكرة المتعلقة بالحرب المقدسة الإسرائيلية لا مثيل لها في العالم القديم [(2)] وتوصف مثل هذه الحروب مثلاً في صموئيل 7 و 15 وفي سفر يوشع. ولكن الحروب بعد الملك داود لم تعد " حرباً مقدسة " من هذا النوع فقد خاض خلفاؤه حروباً علمانية من الغزو والدفاع بما فيها حرب المكابيين. وهكذا فإن الحرب المقدسة ليست الوحيدة الموجودة في العهد القديم، فهناك حروب أخرى دفاعية وخصوصاً ضد قوى الآشوريين والبابليين، ولكن نجد في أوائل السجلات التاريخية وما بعدها دليلاً على المواقف المضطربة تجاه العنف المتكرر وصفه، ويوجد إشارات عديدة مقابلة لنصوص العهد القديم تحفي بالعنف، ويقدم كثيرمن النصوص وخصوصاً سفر الأنبياء رؤية بديلة للسلام، وحكم الأنبياء أمثال آموس وهوسيا وأشعيا وميكا وإرميا بأن المقاومة العسكرية خطأ أخلاقي ومعادية ليهوه. وكان عالم العهد القديم عالم صراع تاريخي وقدوم السلام موعود في الأزمنة التي يأتي فيها المسيح ويتحقق ذلك في آخر الزمان.وقيل:

((تكشف قراءة العهد القديم بإمعان بأنه لا يتكرر نشاط أو ظرف أكثر من العنف، ويتعامل أكثر من ستمائة نص مباشرة مع الشعوب و الملوك والأفراد الذين يهاجمون الآخرين ويقتلونهم، ويتكلم حوالي ألف نص عن غضب الله الذي غالباً ما يعاقب الناس بالموت والإبادة، وهناك حوالي مائة حادثة تقول بأن الله يأمر بقتل البشر. " من كتاب هيندريكس" (Hendrickx (عام 1988م ص 390 والمقتبس من لوفينك (Lohfink) عام 1983م.))

وعندما يصب الله غضبه فهذا تأكيد لقوته وسيادته، ولكن هذا يدل أيضاً على إرادة الله المقصودة بدعوة الناس للتوبة، ويتضمن الكثير من الكلمات العبرانية معنى العنف وأهمها كلمة حماس والتي تدل على ثلاثة مظاهر : العنف المادي والاستغلال عن طريق السرقة أو التجارة والإساءة اللفظية، ولكن هذه الأشكال من

---

(2) من أجل وصف الفكرة الإسرائيلية للحرب المقدسة اقرأ دراسة جرهاردفون راد المنشورة في زوريخ عام 1951.

الظلم تدل دائماً على الأعمال التي يرتكبها الأقوى ضد الأضعف بينما لا تدعى أبداً أعمال الأضعف لنزع نير الأقوى الظالم بالعنف، وضحايا العنف هم إسرائيل والناس والغريب والأرملة واليتيم والفقير، بينما مرتكبو العنف هم الأمم المختلفة والملوك وحاشيتهم والجلادون وشهود الزور والأغنياء والكهنة والقضاة.

وعلى أي حال إن خبرتنا المعاصرة وأعمال العنف مختلفة تماماً في نوعيتها عن أعمال العنف التي قامت بها شعوب الشرق الأدنى والموصوفة في الإنجيل. فالنصوص الإنجيلية والنصوص الأخرى من الكتب المقدسة للأديان الأخرى يجب أن تفسر ضمن سياقها التاريخي والثقافي والتي تختلف تماماً عن زماننا، وغالباً ما كبحت المؤسسات الدينية الميل للعنف عن طريق المثل الأعلى للعدالة الاجتماعية والدعوة إلى القيم العالمية.

وفي حين أن مثل فكرة الأخوة الإنسانية العالمية أو الأسرة البشرية لا تستطيع أن تمحو العنف كما لا يستطيع السرور أن يمحو الألم، قد يكون بمقدورها أن تدعم الإجماع الذي يزيل فرص الصراع. (كلاوزنر 1987م ص 217) (Klausner).

ولم يساعد الاشتراك في طقوس دينية معينة الأفراد تقليدياً فقط على تنمية الشجاعة لديهم عموماً بل ساعدت الشجاعة اللازمة لارتكاب أعمال العنف. ومن هذا المنطلق إن التبريكات الدينية الممنوحة للمحاربين والجيوش عبر العصور كان لها الأهمية القصوى في تربية القبول النفسي لما يبدو أنه استعمال شرعي لقوى العنف في الحرب. ويعادله في الأهمية النظر إلى العدو على أنه " الشيطان الآخر" و" الغريب " الخارج عن الحدود الدينية والاجتماعية للجماعة، وأنه عدو الله والممثل للعقيدة الزائفة والمرتكب لأفظع الجرائم. ويتكلم ليتلتون (Littleton) عام 1987م عن " إعادة التعريف المميت " للضحية من قبل القاتل والجماعة التي تصدر حكمها على الآخر على أنه دون الإنسان، وأنه وحش وحيوان وبهيمة بل شيء متعفن كالزبالة والنفاية، ويصاحب الإساءة اللفظية باطراد مثل هذه الإعادة للتعريف والتي تقرر أن الحكم بالموت لمثل هذا الفرد أو هذه المجموعات الكاملة من الناس مسموح به بل هو عمل جليل، ولكن المؤلف نفسه يشير بكل تبصر إلى التناقض النهائي لهذا الطراز من العنف فبينما يتوجب على المرء أن ينزع الصفات الإنسانية عن أعدائه ليستخدم العنف ضدهم فعليه أن ينزع بنفس الوقت تلك الصفات عن نفسه ليصبح أداة للتقتيل ويمحو الشعور بالذنب والخوف والرحمة.

والناس منذ زمن طويل غير متفائلين من التخلص من الحرب، ولكن من الأهمية القصوى ومن أجل مستقبل الإنسانية وكوكب الأرض، إن كان بإمكاننا كجنس بشري، أن نتعلم أن نحل صراعاتنا القائمة دون الرجوع إلى العنف

والحرب. إن أحد أعظم المثل العليا الدينية في الإنجيل وكذلك في كتب الأديان الأخرى المقدسة هو الوعد بمنحة السلام في هذه الحياة، ويرتبط السلام في كل الأديان بفكرة الصحة الروحية والاكتمال الباطني والتحرر من القلق وفكرة الكمال والحبور، أما التعاريف السلبية للسلام مثل غياب الشهوات المقلقة والتحرر من الخصام والحرب رغم أنها معينة إلا أنها غير كافية، وحتى عندما يكون التعليم الديني حول السلام، روحانياً فقط ويتعلق بباطن الفرد كان هنالك دائماً بعدٌ اجتماعي للفهم الديني للسلام. ومن المدهش على أي حال، أن لدينا نظريات متكاملة حول الحرب العادلة بينما لا زال تعبير اللاهوت المسيحي حول السلام غير كامل وينتظر التطوير، وأول ما تطور هو حقل " دراسات السلام " بعد الحرب العالمية الثانية، وفهم بطرق مختلفة وقد دُعي بحق بـ "علم البقاء " ولكن نادراً ما يلتفت ممارسوه إلى أفكار " وبذور " السلام الموجودة في مختلف التعاليم الدينية، ومن المُجزي كثيراً أن ندرس تحدي السلام الموجود في قلب التقاليد الدينية المختلفة لأن تجربة للسلام جزء من الوعد بالخلاص في حالة مختلفة من الوجود.

ويحتوي الإنجيل العبراني قصصاً كثيرة عن الحرب، ولكن تحققت قصص النجاة الكبرى مثل خلاص الإسرائيليين من مصر بدون عنف، والحقيقة أن فكرة السلام منتشرة في كل الكتب المقدسة العبرانية حيث ترد كلمة السلام (salam) قرابة 249 مرة وهي تنحدر من جذر لغوي يعني " الاكتمال ". لذا فهي أغنى في معناها من كلمة " سلام ". ويقال بأن التوراة نزلت لتصنع السلام في العالم، وأحد أسماء الله هو " السلام " وتدل كلمة شالوم (shalom) على كل الظروف الروحية والمادية، ومشهور ذلك النص من سفر النبي إشعيا 4 – 2 : 2 الذي يصف كيف أن الرب سوف يجمع الأمم معاً في سلام.

((تعال، لنصعد جبل الرب إلى معبد رب يعقوب
ليعلمنا طرقه ولنسير في دروبه ولنمارس السلطة
بين الأمم ونحكم بين كثير من الشعوب
وسوف يقلبون سيوفهم إلى محاريث
وحرابهم إلى مناجل ولن ترفع أمة
السيف في وجه أخرى ولن يتدرب
الناس على الحرب.))

وقد فسرت التقاليد اللاحقة الصور التي استخدمها إشعيا في نصوص أخرى في وصف السلام على أنها ثلاثة أنواع : سلام النهر والطير والمِرجَل، وأروعها صورة النهر مشيرين إلى سفر إشعيا 66 آية 12 وهي حالة السلام والحركة النشيطة التي تحمل معها الرخاء والحب بين الشعوب ومع الله. وصورة السلام

كالطير (إشعيا 31 ــ 5) هي السلام الذي ينال بالاستعداد للحرب وبالحفاظ على قوة مسلحة لتقيِّد العدو وترهبه وتدمره ولكي تحمي الناس وتنقذهم، ويراقب الرب شعبه كالطير الذي ينشر أجنحته ليحمي صغاره، وعلى المرء أن يكون متيقظاً لأن الشر قوي ــ وهذا سلام أوشالوم مصغر، والسلام الأكثر صغراً ويأساً هو المرتبط بصورة المرجل (اشعيا 26 ، 11 ــ 12) وهو سلام هش مليء بالألم حيث تنصب القوة السماوية للإضرار بالعدو كالمرجل الذي يغلي وما على المرء إلا أن ينجو بجلده. ويقول أرماند أبيكاسيس (Armand Abecassis) وهو يبحث في أنواع السلام هذه:

((هناك سلام يأتي عندما يلحقُ عنفٌ وظلمٌ واضطرابٌ بشخص آخر، وهناك سلام يأتي من قوة ردع وصد الآخرين عن إيذائنا وأخيراً هناك سلام يُصَوَّر بالنهر يوحِّد ويُغني ويترع كامل الجنس البشري. وإن السلام الذي هو مجرد غياب الحرب أو السلام الموجود في المقبرة هو ليس نفس السلام الذي يسود عندما يجتهد الرجال والنساء بمحبة بعضهم وعندما يرون في كل شخص صورة الإله المحب بلا نهاية والواهب للحياة)) (1988م ص 14)

وكان السلام بالنسبة للعبرانيين القدماء مفهوماً اجتماعياً ينطبق على الصلات المنسجمة بين أفراد الأسرة والمجتمع وبين الأمم، وعبرت التحية بالسلام المعمول بها منذ عهد القضاة والملك داود عن الهدف الإيجابي بتشجيع التعاون، واستعملت هذه التحية فيما بعد من قبل كل من اليهود والمسيحيين، ومن الجدير بالذكر هنا بأن الكلمة العربية " سلام " مشتقة من كلمة شالوم " العبرية، وعبارة " السلام عليكم " استعملت كتحية وتبريك بين المسلمين منذ نزول القرآن، وكلمة السلام بالعربية تعني الرضى والعافية والرخاء والأمن والحياة المترعة، وبعكس النظرة الغربية التي ربطت الإسلام بالقوة العسكرية يفهم المسلمون الإسلام أنه دين السلام، لأن القرآن يرى السلام مشيئة الله فهو في القرآن " الملك القدوس السلام " (59 ، 23). فالسلام هبة سامية ولكنه موجود في العلاقات الشخصية وهو جزء من السياسة الحكيمة. وتُظهر الأمثلة التاريخية في عهد النبي وما بعده أن الإسلام كان أداة سلام معتبرة. وأكبر مثال في العصر الحديث عن التزام المسلم بالسلام هو الأفغاني عبد الغَفّار خان الذي مارس كغاندي المقاومة بلا عنف والتي طورها بتأثير من القرآن.

وكذلك المسيحيون رغم تاريخهم العنيف ونظرية الحرب العادلة لديهم تقاليد سلام قوية قائمة على موعظة الجبل " طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون " (إنجيل متا 5:9) وعلى رسالة وداع المسيح ليوحنا. " السلام أترك معك، وسلامي أعطيك وليس كما يعطيه العالم:". (يوحنا 14 : 27). وقد استلهم المسيحيون الجانحون للسلام مثال المسيح بالذات وما يدعوه الإنسان بالانحياز

للسلام في الإنجيل المسيحي. وقد أطلقت الكنيسة لقب " أمير السلام " على الملك الداودي عيسى لأول مرة في الإنجيل العبراني، وكثيراً ما يكرر القداس المسيحي عبارة "ليكن سلام الرب معكم دائماً" وتستخدم كثيراً كذلك عبارة : " سلام الله الذي يسمو على كل فهم. أبقوا قلوبكم وعقولكم في معرفة ومحبة الله وابنه، عيسى المسيح ربنا". وفي عصرنا الحديث هنالك إحياء " لإعطاء السلام " في نهاية الاحتفال بالقربان المقدس التي غالباً ما يصاحبها تصافح الأيدي وقبلات السلام. وتستخدم حركة السلام المسيحية المعاصرة الإنجيل كمعلمٍ للسلام آخذة خصوصاً قول المسيح " أحبوا أعدائكم " (متا : 44) و (لوقا 6 : 27) وطوبيات موعظة السيد المسيح على الجبل. وقد طُبِّقت أفكارها الثاقبة مباشرة على المسائل العملية في مناقشة السياسة العسكرية المعاصرة من قبل أصحاب حملات السلام الألمان الذين استدعت دعوتهم للسلام القائم على سياسة جديدة لموعظة الجبل جدلاً واسع الانتشار[(3)].

ولدينا هنا مثال لاستخدام الأفكار المسيحية كمصدر للتفكير المعاصر حول السلام كما فعل غاندي حينما اعتمد مصادر التقاليد الهندية في تطوير ممارسته للعمل بلا عنف في حالات الصراع، ويظهر التراث الديني للسلام بأن السلام يجب أن يُنشد ويُهدف، وأنه يمكن الوصول إليه عن طريق تحويل الفكر والقلب وكذلك الأفعال، وأنه يؤدي إلى الرضى والسكينة وحسن الحال علي الصعيد الشخصي والاجتماعي بينما هو في نهاية المطاف مرتبط بفكرة الكمال والاكتمال وبالوجود السماوي وقوة الروح، ويكون السلام بالمعنى النهائي هبة وثمرة للروح نفسها

3) وجوب السلام وبعض الجهود العملية لصناعة السلام :

إن التعطش للسلام اليوم هو أكبر مما مضى، ومع ذلك يبدو أننا نعيش في حالة دائمة من الحرب والعنف. وفي مقالة في صحيفة الجارديان (Guardian) في 23 فبراير عام 2002م حول " الحرب والسلام " بيَّن ايرك هوبسبون (Eric Hobsbawn) قبل سنتين بأن السنين المائة التي خلت قد غيرت طبيعة الحرب، وأن العالم ككل لم يكن في سلام منذ عام 1914م وهو ليس في سلام الآن. وأن الأمل بالسلام في قرننا الجديد بعيد، ودعي القرن العشرين بأشد القرون إجراماً في التاريخ. فقد قتل حول 187 مليون إنسان في الحروب المروعة العديدة منذ عام 1914م ، أي بمقدار عشرة بالمائة من مجموع سكان العام في عام 1913م . لقد سيطرت الحروب بين الأمم على الماضي، وتراجعت الحروب العالمية، ولكن عدد الصراعات ضمن حدود الدول قد ارتفع بحدة وانتقل عبء الحرب باطراد من

---

(3) راجع منشورات فرانز ألت طباعة آربايبر وشركاه عام 1983 في ميونخ والتي بيع منها أكثر من مائة ألف نسخة في ألمانيا.

القوات المسلحة إلى الأفراد، ويكتب هوبسبون بأن خمس بالمائة فقط من القتلى في الحرب العالمية الأولى كانوا من المدنيين، بينما ازداد هذا العدد إلى ست وستين بالمائة في الحرب العالمية الثانية، ويُقدَّر أن ثمانين إلى تسعين بالمائة من الذين يتضررون بالحرب هم مدنيون، وطبقاً لمصدر آخر[4] من بين المائة وواحد من الصراعات التي نشبت بين عام 1989ـ 1996 فقط ست منها كانت بين الدول والأخرى جميعها كانت إقليمية صمن الدولة الواحدة، ويدرب ثمانون بالمائة من الأقطار في حالة الحرب أطفالهم كجنود، فكيف لنا أن نحقق السلام يوماً ما ؟.

وإذا اقتبسنا من مقالة عن " الحرب " من " رفيق أوكسفورد إلى الفكر المسيحي ": "كلما ازداد تنظيم المجتمع كلما تعقدت حروبه وهذا يتبع بشكل طبيعي الظروف الثقافية والدينية والسياسية والتكنولوجية السائدة. وهذه الظروف اليوم تجعل الحرب انتحارية للإنسانية، كان المسيحيون في الماضي يفسرون الحروب فقط، أما اليوم فالمهم هو منعها"[5]

ولم يعد السلام مجرد خيار، إنه فرض، هذا ويعمل العديد من الأفراد والجماعات والمؤسسات على التغلب على الحرب بل إزالتها، ولكن كم مرة سمعنا صيحة " لا حرب مرة أخرى " دون جدوى، إننا بحاجة ماسة إلى وعي جديد وثقافة جديدة حول السلام في العالم المعاصر، إن الوصول إلى سلام أكبر وإلى حل للنزاعات بطرق لا عنف فيها سيكون عندما نتجه إليه بفكرنا وقلبنا إذا أردناه أن يتحقق، ولكن هذا يتطلب جهداً فائقاً وعملاً جادا، ولا بد من إعادة التفكير بل وتطوير أفكار وممارسات جديدة معًا، أليس من المزعج بل والمدهش أن اللاهوت المسيحي قد كرس جهداً كبيراً لنظرية الحرب العادلة ولكن لم يول نفس الاهتمام لتطوير لاهوت السلام، إذاً أين نجد بذور صناعة السلام ؟.

وفقط عندما نأخذ وجوب السلام بشكل جدي تماماً حيث نستطيع البقاء كجماعة عالمية وهو الأمر الذي أصبح واضحاً أكثر من أي يوم مضى منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر العنيفة المريرة، ولقد تغيرت طبيعة الحرب والعنف جذرياً لذلك لم يعد يكفي العمل فقط على إزالة الحرب والعنف، بل يجب التصدي للعنف والخصام والكراهية في كل تداعياتها لذا يجب أن نعثر على حلول للصراع

---

[4] كراسة مراقبة العالم (World Watch) حروب صغيرة بآثار كبيرة. التحدي الجديد لنزع السلاح مقتبسة من إزالة الحروب. حوار مع علماء السلام إليس بولدينغ (Elise Boulding) وراندال فورسبيرغ (Randall Forsberg) في مركز بوسطن للأبحاث للقرن الواحد والعشرين، أكتوبر 1998 ص 340.

[5] بريان ويكر (Brian Wicker) " الحرب " في رفيق أوكسفورد إلى الفكر المسيحي. حررها أدريان هيستيفس (Adrian Hastings) وأليسار ميسون (Alistair Mason) وهيوبايبر (Hugh Pyper) في أوكفسورد طبع مطبعة أوكسفورد الجامعية عام 2000 صفحة 746 ــ 748 راجع صفحة 746 من أجل المقتبس وراجع أيضاً المدخل المعين لوريكر حول " الجنوح للسلم " صفحة 509 ــ 508.

بطرقٍ سلمية وبعيداً عن العنف لعلاج الخلافات الدينية والعرقية والاقتصادية والسياسية. ولكي نوجد ثقافة سلام جديدة في العالم يلزمنا تطوير وعي جديد للسلام بين سكان العالم، وهذه مهمة عملية ولكنها ترتبط في النهاية بالواجبات الروحية والأخلاقية، ولهذا كانت مصادر أديان العالم والنظرة الروحية للحياة عناصر لا مناص منها لتطوير أشكال جديدة من تربية السلام والعمل للسلام[6] وذلك لنغذي تطوّر وعي وثقافة سلمية، ونحتاج أيضاً إلى مفاوضات سياسية وأدوات سلام جديدة لحل الصراعات بلا عنف وإلى سلطة عالمية أقوى، متصلة بالأمم المتحدة للسيطرة على النزاعات المسلحة وتسويتها وفي النهاية يتطلب هذا تغيرات عميقة في المواقف وتغيرات اقتصادية وسياسية، والحقيقة نحن بحاجة إلى تغيير حضاري جذري في عالم اليوم.

وقد تغذي مستويات العنف والحروب التدميرية تشاؤماً عميقاً بكل سهولة ولكن هناك بوادر كثيرة للأمل وهي تشجيع تغيرات في الاتجاه وجرأة جديدة تلهمنا معالجة أكثر تفاؤلاً واعتقاداً بأننا لازلنا قادرين على أن نجعل العالم مكاناً أكثر سلاماً، ولا بد أن ترتبط نظرة جديدة للسلام بالبيانات والوثائق المعاصرة، تستقى مباشرة أو ضمناً من الأفكار الروحية والدينية في المصادر المسيحية.

ويتكلم المفكر الكاثوليكي البيئي توماس بيري (Thomas Berry) والذي طور فكره كثيراً بفضل معرفته العميقة بالتقاليد الأصلية الأمريكية والديانات الشرقية وبفضل المفكر الفرنسي وبفضل بيير تيلهارد دي شاردين عن " إعادة تصنيع الإنسان " كجزء من عمل عظيم لإيجاد مستقبل حيوي على كوكب الأرض، وهو مشروع يخص كل النساء والرجال في العالم، ويبين في كتابه " العمل العظيم "[7] أنه لكي نطور نظرة عالمية جديدة وحركة لازمة لبناء مستقبل إنساني مسالم وحيوي ومتوازن بيئياً فنحن بحاجة إلى بناءٍ جذري للسياسة والتربية والإجراءات المالية حول العالم و لحسن الحكم وللجامعات والشركات الكبرى، وهذه المهمة مستحيل تحقيقها إن لم يستق الناس مما يدعوه بيري بالحكم الأربع. وهي: أولاً: حكمة التقاليد الكلاسيكية أي حكمة الأديان والفلسفات التقليدية، ثانياً: حكمة السكان الأصليين، ثالثاً: حكمة النساء، رابعاً: آخر حكمة العلم الجديدة. وهذه المصادر لازمة جميعاً بالتساوي لتطوير ثقافة سلام حيوية.

---

[6] يقدم هاريسون جوردون (Harrison Gordon) وليدنارد جروب (Leonard Grob) مصدراً نافعاً تحت عنوان " تربية السلام، شهادات من أديان العالم" ماري نول، نبيوبورك الناشر كتب اوربيس عام 1988. وهنال مجموعة مفيدة من تقليد ديني واحد كتبها ديفيد و. شابيل (David W. Chappell) بعنوان " عمل السلام البوذي، إيجاد كنائس السلام " بوسطن، منشورات ويزدام 1999.

[7] توماس بيري، العمل العظيم. طريقنا إلى المستقبل. نيويورك طباعة بيل تاور عام 1999.

وإن أردنا أن نذكر مبادرات سلام أخرى فقد اقترح الفيسلوف الألماني كارل فريدريك فون فايزكر (Carl Friedrich von Weizsäcker) مجلس سلام عالمي يضم كل الأديان، ولكن ثبت أن هذا سابق لأوانه، ومع ذلك نشأ عنها مباحثات في مجلس الكنائس العالمي حول " السلام والعدالة وتكامل الخلق " والتي كان لها تأثيرها الواسع على الكنائس المسيحية الأعضاء في المجلس في كل أنحاء العالم، وفي عام 1991م نشر اللاهوتي هانس كونج (Hans Küng) كتابه " المسؤولية العالمية في البحث عن أخلاقية عالمية جديدة"[8] والذي ختمه بنداء قوي للسلام: " لا حياة إنسانية معاً بدون أخلاقية عالمية لكل الأمم، ولا سلام بين الأديان من دون حوار بينهم "[9]. وقد أدى هذا الجهد إلى الكثير من النقاش وفي النهاية أنتج " إعلاناً نحو أخلاقية عالمية "[10]من قبل برلمان الأديان العالمية في شيكاغو عام 1993م وهو إعلان يلتزم بقوة بثقافة اللاعنف واحترام الحياة والتي تلخصت بالبيان القاطع، " لا بقاء للإنسانية بدون سلام عالمي ".[11]

ويتكرر هذا الالتزام بثقافة اللاعنف والسلام في مبادئ " ميثاق الأرض " والتي تطورت عن طريق عملية استشارات دولية لاقت استحسان رئاسة اليونسكو في باريس في مارس 2000م. إنه إعلان مبادئ أساسية لبناء مجتمع عالمي سلمي دائم وعادل في القرن العشرين. ويستقي إلهامه من " حكمة أديان العالم العظيمة والتقاليد الفلسفية " ومن سواها. ومرة أخرى تضمن نداؤه العمل على ترويج " ثقافة التسامح واللاعنف والسلام ". وشدد على الحاجة إلى "التربية المستدامة " وعلى " أهمية التربية الأخلاقية والروحية من أجل عيش مستدام ". ويدعو ميثاق الأرض كل الناس " للاعتراف بأن السلام هو العافية التي أوجدتها صلات الحقوق مع النفس ومع الآخرين ومع ثقافات أخرى وحياة أخرى ومع الأرض وأن الأكبر فيها هو جزء مما هو أكبر منه ".وهذه عبارة روحية عميقة جداً تقدم شعاراً ملهماً لتربية سلام ضرورية جداً.[12].

وأحدث استجابة لمجلس الكنائس العالمي في دعوة السلام لأجيال المستقبل هي إعلان العقد 2001م ــ 2010 " عقداً لقهر العنف ". هذا ويستطيع الأفراد

---

[8] لندن: طباعة SCM عام 1991.

[9] نفس المصدر صفحة 138.

[10] هانس كونج وكارل جوزيل كوشل " أخلاقية عالمية ". إعلان برلمان الأديان العالمية، لندن : طباعة SCM عام 1993.

[11] نفس المصدر صفحة 25.

[12] لمزيد من المعلومات حول ميثاق الأرض اتصل بأمانة السر الدولية لميثاق الأرض ع/ ط مجلس الأرض ص.ب 6100 ــ 319 سان جوزية كوستاريكا عنوان الإيميل:
E-mail < info@earthcharter.org> website: WWW.earthcharter.org

والجماعات في الكنائس في كل العالم أن يستعملوا " دليل دراسته " كأساس لمناقشة مرتكزة على أربعة مواضيع :

1. روح ومنطق العنف.
2. استعمال القوة وإساءة استخدامها.
3. قضايا العدل.
4. الهوية والتعددية الدينية.

ولو عرفنا كيف تتشابك هذه المواضيع لتعلمنا كيف نبني سلاماً دائماً قائماً على العدل.

إن الشاهد المسيحي على السلام يحمل وصاية تبشيرية إنجيلية وهي وجوب محبة أعدائنا كما عبر عنها القديس بولص في رسالته إلى القورينثيين في اليونان:

((محبة المسيح لا تترك لنا أي خيار لهذا تتوقف مقاييس الدنيا عندنا في تقديرنا لأي شخص. إذا اتحد أي إنسان بالمسيح دخل عالماً جديداً ويذهب العالم القديم ويبدأ نظام جديد. وكأن الله يناديكم عن طريقنا باسم المسيح، نتوسل إليكم أن تصطلحوا.)) (2Cor.5:14,17,20).

ولكن المسيحية عموماً في أغلب تاريخها الماضي قد رفضت شاهد السلام القاطع على أنه غير عملي أبداً ومثالي ويتعلق بعالم آخر، وغالباً ما نمَّى المسيحيون الروحانية الشخصية الباطنية في حين أنهم يغفلون ويغضون الطرف عن الحقائق اللاإنسانية والأكثر عنفاً سياسياً، ويرون أن الجماعات المسالمة والتي تدعو للسلام هامشية في التقليد المسيحي، وفي الأزمة العالمية للإرهاب والعنف والحروب الإقليمية العديدة التي تهدد الإنسانية جميعاً وبيئتنا الطبيعية، ليس السلام قضية وحيدة منعزلة ولكن جزءاً من مشاكل مُهدِّدة معقدة تتضمن الظلم السياسي والتدمير البيئي والمجاعة المنتشرة والتمييز العرقي والجنسي وعديداً من انتهاكات حقوق الإنسان، إن إنجيل المسيح الداعي للحب يوحي بأخلاقية حياتية كاملة تؤكد على قدسية الحياة جميعاً وقدسية كل حي بل وكل الكون.

وربما استمعنا إلى النداء الملح للدعوة الإنجيلية للحب والسلام وهو أوضح اليوم مما كنا ندرك، إننا نعيش في عالم واحد ومصير مشترك واحد، وكما كتب مرةً المفكر المسيحي بيير تيلهارد دي شاردين (Pierre Teilhard de Chardin) الذي تأثر كثيراً بالرؤية الإنجيلية لوحدة الخلق: " على الحياة أن ترتفع إلى مرحلة جديدة لأن عصر الأمم قد ولى، والآن ما لم نتمنى الهلاك، علينا أن نطرح تحاملنا القديم ونبني الأرض... وكلما نظرت إلى العالم من الناحية العلمية

لا أرى له مستقبلاً حياتياً ممكنا إلا بإدراكنا الحي لوحدته"[13]. ولا تتحقق هذه الوحدة إلا بالحب وليس بالقهر، لقد رأى تيلهارد دي شاردين الجماعة الإنسانية في العالم على عتبة جديدة حاسمة في التطور والتي يصفها أحياناً " بالكوكبة " أو ما نسميه اليوم " بالعولمة " فالبشر في سعي إلى توحيد متكامل تعددي متوائم (وليس توحيداً نمطياً). ولا يتحقق هذا عن طريق القهر بل بالقبول والتعاون والقوى التحويلية للحب والإيثار. ومن الملفت للنظر أن أفكاره التنبؤية عن الحب كأعلى شكل للطاقة البشرية لتغيير الأفراد والحضارة قد تطورت لأول مرة قبل ستين سنة، والتي ازدادت توافقاً وتطوراً في العمل الأخير لعالم الاجتماع الروسي الأمريكي بيتريم أ سوروكين (Pitirim A. Sorokin) الذي بدأ عمله الهام حول " طرق وقوة الحب "[14] الذي نشر أصلاً في عام 1954م وأعيد طبعه عام 2002م ويلقى اهتماماً جديداً.

لم يعد السلام خياراً في عالمنا العالمي، بل ضرورة، ولكي نخلق تعايشاً عادلاً ومسالماً يتعدى التمييز والعنف في عالمنا التعددي اليوم لا بد أن نتقيد بقوى الحب والتعاون، ويتطلب أيضاً التربية والحوار ونمو إدراك جديد وإرادة سياسية كبيرة للتحول الاجتماعي والفردي، ويدعونا وجوب السلام أن نوجد طريقة جديدةً متآلفة وعادلة للعيش لكل البشر، إنه عمل عظيم ولكنه شاق يتطلب كل الإلهام والدعم الروحي والمادي أينما وجدناه لكي نواجه التحدي العظيم الذي تتعرض له العقول البشرية لإيجاد سلام على الأرض.[15]

---

(13) ب. تيلها رد شاردين في كتابه " الطاقة الإنسانية " لندن طبع تولنيز 1969 : 37. القسم الأول من هذا المقتبس مكتوب فوق مدخل مدرسة العلاقات الدولية في جامعة جورج تاون، في الولايات المتحدة.

(14) لقد قارنتُ النظرة التنبؤية لكل من هذين المفكرين في كتاب " تيلهارد دي شاردين وبيتريم سوروكين ونظريتهما في الحب " طبع زايجون (Zygon) 39/1 آذار 2004 صفحة 77 ـ 102.

15 هذا البحث اعتمد أساسًا على عملي السابق بعنوان ((الكتاب المقدس والسلام والحرب وعلى غيرها.

الصراعات بين المسالمة ونظرية الحرب العادلة
من وجهتي النظر اليابانية والمسيحية.

كاتسوهيرو كوهارا (Katsuhiro Kohara)
جامعة دوشيشا

1. **فهمان مختلفان للحرب**: تسليط الضوء على هيروشيما.

هيروشيما لها معان مختلفة عند أناس مختلفين، فعند البعض هي رمز للمسالمة وعند آخرين هي مثال لعمل ضروري في حرب عادلة، وقد توضحت لي هذه الحقيقة عام 1995م عندما أثير الجدل حول عرض الطائرة (اينولا جي Enola Gay) في المتحف الفضائي والجوي القومي للولايات المتحدة وهو أحد أقسام مؤسسة سميثسونيان(Smithsonian) حيث عرضت تلك الطائرة التي أسقطت القنبلة الذرية على هيروشيما، وقد عارض المحاربون القدماء بشدة حقيقة العرض الذي لم يسعَ فقط إلى تقديم المنظور الأخلاقي للجانب الذي أسقط القنبلة بل الجانب الذي أسقطت عليه القنبلة أيضاً، وأصبح هذا العرض الذي يصور إلقاء القنبلة الذرية عملاً من القتل الجماعي موضع نقد شديد، فكانت نتيجة هذا الجدل التحجيم المفاجئ للعرض والضغط على مدير المتحف لتقديم استقالته.

وفي فهم الكثير من الأمريكيين للتاريخ وليس فقط المحاربين القدماء كان إسقاط القنبلة الذرية على هيروشيما " شراً لا بد منه " وضرورة سببها العدوان العسكري الياباني، مما يضع بشكل غير مباشر إلقاء القنبلة الذرية ضمن تعليل نظرية الحرب العادلة.

وفي اليابان من ناحية أخرى أثار هذا اللوم للعرض الأصلي نوعاً مغايراً من النقد: وهو شعور بأن التواني عن إظهار جسامة كارثة هيروشيما قد أدى إلى نقص متواصل بالاهتمام والفهم، ودفع هذا إلى الوعي بالحاجة لإعلام الناس بشكل مستفيض عن المصير الفعلي الذي عاناه ضحايا القنابل الذرية، ورغم الفارق الكبير بين المنظورين الأمريكي والياباني حول هيروشيما لم يكن لهذا تأثير عملي كبير.

وهذه الآراء المتعارضة حول هيروشيما حيث يراها البعض رمزاً للحرب العادلة والآخر رمزاً للمسالمة. يبدو أنها تضع فعلاً نظرية الحرب العادلة والجنوح للسلم وجهاً لوجه. وهدفي في هذه الورقة على أي حال هو توضيح قيم الجنوح للسلم بحد ذاتها وفي نفس الوقت تبيان أن نظرية الحرب العادلة والجنوح للسلم ليسا قطبين متعارضين كما قد يبدو،فقد كان لنظرية الحرب العادلة الأثر

الكبير ليس فقط في التاريخ المسيحي بل في المجتمع الدولي المعاصر أيضاً، ولكي أبحث في الصلة بين المسالمة ونظرية الحرب العادلة سأسلط الضوء على المسالمة المسيحية والمسالمة التي ظهرت في اليابان منذ الحرب مرموزاً لها بهيروشيما.

2. الحرب والسلام في اليابان الحديثة.

أ- تغيير فهم الحرب

في وقت بدأ فيه العديد من الناس باستهجان قصف هيروشيما وناغازاكي يُبيِّن المقتبس التالي من كتاب روبرت جـ ليفتون (Robert J. Lifton) أن استحسان بل نسيان القنابل الذرية منتشر جداً ليس فقط عند عامة الناس بل عند رجال اللاهوت والدين كذلك:

"بيَّن الاستطلاع الذي أجري بعد أربعة عقود عن اعتقاد الناس فيما بعد هيروشيما أن القنابل الذرية قد تم تجاهلها بشكل يدعو للدهشة من قبل علماء اللاهوت، وبالطبع كان هناك إدانات بين آونة وأخرى لهيروشيما والتكديس النووي من مصادر دينية متعددة ولكنها في الغالب إدانات أخلاقية وليست لاهوتية، وغالباً ما قبل معظم الزعماء الدينيين الأمريكيين قنبلة هيروشيما أكثر مما أدانوها".

وأنتقل الآن إلى المجتمع الياباني والذي لم يتأثر عموماً بالمسيحية سواء قبل الحرب أو بعدها، فيظهر جلياً أن المواقف تجاه الحرب تعطي لمحة عن الأبعاد العميقة لليابان قبل هيروشيما وبعدها.

1) <u>قبل هيروشيما:</u>

كان التبرير الأمريكي لإسقاط القنبلة هومنع التوسع العسكري الياباني، وبالطبع كان لمناصري الآلة العسكرية اليابانية نظراتهم ومبرراتهم لأفعالهم وبالنسبة لليابان كان توسيع الزعامة اليابانية في شرق آسيا يُرى على أنه هدف مقدس، وهو إنشاء منطقة مزدهرة آسيوية شرقية كبرى، وكانت العقيدة التي يروِّج لها العسكريون اليابانيون لإزالة التلوث العالمي القديم للحضارة الغربية ولإحداث نظام عالمي جديد قائم على الروح اليابانية هي في وضع " البلد الإلهي " للتاريخ الياباني على قدم المساواة مع "مملكة الله " لأوربا الغربية، واستعمل تقديس الإمبراطور كإله في شكل إنسان لمواجهة المفهوم التوحيدي للإله في الغرب، وباعتبار أنه قد صِيغَ بموجب ذلك المفهوم الغربي كان الاعتقاد بأمة إلهية ترعى الديانة الشنتوية القومية خطوة إلى الأمام نحو شيء يماثل " مملكة الله " المسيحية.

1) <u>بعد هيروشيما:</u>

كان لتجربة قنبلة هيروشيما المرَّة وخطر الحرب العالمية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الفضل في الإنهاء المفاجيء لطريقة اليابان في التفكير العسكري والجنوح إلى المسالمة بعد الحرب والتركيز على التهديد النووي، وأن صورة الحرب كحرب نهائية في آخر الزمان (مثل الحرب النووية) قد تحكمت بشكل شديد بحيث أن القضايا التي تتعلق بالحروب الإقليمية غير النووية قد أهملت من قبل حركة السلام اللانووية نتيجة لذلك.

وعملياً فقد كان هذا يعني أن نظرية الحرب العادلة بالكاد تكون موضع بحث وعلاوة على ذلك باعتبار أن حركة السلام قد جعلت حرب نهاية العالم النووية محط تركيزها بعد زوال الحرب الباردة والإقصاء المتزايد للتهديد النووي فقَدَ البحث في السلام كثيراً من حرارته.

ب- سمات المسالمة اليابانية:

تعتبر المسالمة قاعدة أساسية في الدستور الياباني الذي وضع بعد الحرب. وجاء في مقدمة الدستور ما يلي:

" نحن الشعب الياباني نرغب في السلام دائماً وندرك بعمق المثل العليا التي تحكم العلاقة الإنسانية ونصمم على الحفاظ على أمننا ووجودنا واثقين من عدالة وإيمان شعوب العالم المحبة للسلام، ونرغب أن نحتل مكاناً شريفاً في مجتمع دولي يسعى لحفظ السلام وإزالة الطغيان والعبودية والظلم والتعصب من على وجه الأرض دائماً، ونعترف أن كل شعوب العالم لها الحق في العيش بسلام بعيداً عن الخوف والحاجة ".

وتتضمن المسالمة كما يتصورها الدستور الياباني حسب تعريف العنف والسلام لجوهان غالتنغ (Johan Galtung) ليس فقط السلام السلبي (غياب العنف الشخصي) بل السلام الإيجابي أيضاً (غياب العنف الهيكلي). وإذا أخذنا في الاعتبار أن السلام لا يمكن تحقيقه فقط بالتخلص من العنف الشخصي يوسع جالتنغ مفهوم العنف بالشكل التالي :" يتواجد العنف عندما يتأثر الناس بحيث أن مدركاتهم الجسدية والعقلية والفعلية تكون تحت مدركاتهم المحتملة ". ويَصِفُ هذا العنف بأنه هيكلي.

وفي ضوء هذا التعريف، إذاً، فإن المسالمة التي تعتبر مثلاً أعلى في الدستور الياباني هي السلام الإيجابي الذي يهدف التغلب على العنف الهيكلي، لأن " الطغيان والعبودية والظلم والتعصب " و " الخوف والحاجة " هي ما نقصده تماماً " بالعنف الهيكلي ".

وهناك سمة أخرى لحركة المسالمة اليابانية لما بعد الحرب وهي " مسالمة تجريبية " متأصلة في التجربة القومية للمأساة والتي تمثلها هيروشيما بدقة، وبمعنى آخر إنها ليست "مسألة تجريدية " مشتقة من عقلانية فلسفية بل مسالمة تجريبية تغوص في تاريخ معاناة حقيقية وترى كل أنواع الحرب غير شرعية وإجرامية.

3. العنف الهيكلي والسلام الإيجابي:

✸ سمات المسالمة المسيحية:

لهذه المسالمة التجريبية والتي تسعى للتغلب على العنف الهيكلي تشابهات مهمة مع المسالمة المسيحية التي تقدم على معاناة الاضطهاد الشديد في تاريخها وعلاوة على ذلك، فإن البحث العلمي الأخير حول المسيح تبدلت صورته التي كانت شائعة على أنه نبي آخر الزمان وأنه فوق الطبيعة إلى صورة معلم الحكمة الذي بيّن الطريق إلى تحويل نظام العالم.

وفوق ذلك ومن بداية الستينات فصاعداً وكما يتمثل في فكر لاهوت التحرر واللاهوتيين أمثال جورغن مولتمان (Jurgen Moltmann) ولفهارت بيننبرخ (Wolfhart Pennenberg) وآخرين كُثُر تحول التركيز نحو العمل على التحويل الاجتماعي وأصبح لهذا التطوير والتركيز بعداً هاماً في الإيمان واللاهوت المسيحي و في المسالمة المسيحية أيضاً. كما يرى مثلاً، في فكر اللاهوتيين المسالمين أمثال ج . هـ . يودر (J.H.Yoder) وس . هورواس (S. Hauerwas) ومن وجهة نظرهم ترتبط المسالمة بشكل وثيق بأخلاق اجتماعية عملية، ولنربط كل هذا بمناقشتنا حتى الآن، فعلى المسالمة المسيحية أن لا تتوقف عند سلام سلبي يسعى فقط إلى إزالة العنف الشخصي بل عليها أن تنقل تركيزها إلى سلام إيجابي يسعى إلى التغلب على العنف الهيكلي.

وهذا يعود بنا إلى السؤال المهم حول علاقة المسالمة بنظرية الحرب العادلة. فالمسالمة التي تهتم فقط بإزالة العنف الشخصي (الجسدي والعنف المسلح) قد تعارض نظرية الحرب العادلة فقط، فالمسالمة و التي تسعى أيضاً للتغلب على العنف الهيكلي الخفي، من ناحية أخرى، تستطيع أن تهتم تماماً بتعقيد الأحكام السياسية الكامنة في نظرية الحرب العادلة، وتستطيع في نفس الوقت أن تحافظ على المسافات الجيدة التي اجتازتها في فكرة الحرب العادلة وبهذا تكون لها القدرة على تشجيع الاعتبارات الإنسانية.

✸ الوثنية والعنف الهيكلي:

وثانياً، سأشير إلى تحريم الوثنية والتي هي قيد تقليدي في الديانات التوحيدية وتتصل بشدة بالعنف الهيكلي. إن تحريم الوثنية أصيل في صلب هوية الأديان التوحيدية، وما نقصده "بالوثنية " هنا هو معاملة شيء من هذا العالم سواء كان موضوعاً أو فكرة ابتدعها البشر وكأنها إله، وبهذا المعنى ليست الوثنية سوى قوة رمزية تبرر وتتحدى العنف الهيكلي، وقد أدركنا وجود هذه القوة الرمزية في أقصى مأساويتها في أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وتماشياً مع هذا المفهوم " للوثنية " من منظور المسلم فإن " صورة " مركز التجارة العالمي التي صُعِّدت بشكل هائل ربما كانت " صنماً " جسد أشد

أشكال المادية، وكما هدم طالبان تماثيل بوذا العظيمة في باميان (Bamiyan) هدم الإرهابيون مركز التجارة العالمي، وإن كان البنتاغون (Pentagon) رمز العنف الشخصي المباشر للقوة العسكرية فمركز التجارة العالمي هو رمز للعنف الهيكلي للرأسمالية.

ولكي نضمن ألا تؤدي هذه الرغبة لتحريم الوثنية في العصر الحديث إلى سلوك مدمر علينا أن نحدد بدقة ما هي " أوثان " المجتمع الحديث، ويستطيع مفهوم " العنف الهيكلي" أن يلعب دوراً مسانداً في تمحيص هذه الذات الاجتماعية.

❋ الذاكرة التحويلية: العلم الأخروي والتطور:

وأخيراً، أحب أن أبحث في العلم الأخروي والتطور كمفاهيم رئيسة في التبرير الديني والعقائدي للعنف الهيكلي، فغالباً ما يتحدث العلم الأخروي عن العالم أنه في حالة حرب بين الخير والشر، وفي هذا النوع من النظرة للعالم كقاعدة تُبرر أعمال العنف استناداً إلى الاعتقاد بأن العالم هو أصلاً في حالة حرب. وبكل بساطة يخشى أن يعمل العلم الأخروي كعنف هيكلي بتقديم التبرير الديني للعنف الشخصي: ومع ذلك أكد لاهوتيو المسالمة المطلقة أمثال س . هورواس (S. Hauerwas) وغيره فعلياً على العلم الأخروي كحجة للسلام. واعتقد كانزو أوتسيمورا (Kanzo Uchimura) (1861م ـ 1930م) مسالم مطلق ياباني شهير أن السلام العالمي سيتحقق مع مجيء المسيح، لهذا من الخطأ أن تقول إن العلم الأخروي بذاته خطير، بل هو ضروري للحفاظ على الوعي بأن مفهوم " نهاية العالم " يمكن أن يُحَوَّل إلى طاقة هجومية أو إلى طاقة تجاهد للسلام، وعلينا أن نسعى إلى الحكمة لنسيطر على هذا الغموض المريع بشكل مناسب.

والعلم الأخروي هو نوع ديني شديد في نظرته إلى العالم وهو شائع في الديانات التوحيدية ولكن تأثيره يغير شكله ليظهر حتى في العالم العلماني. فالتطور يمثل هذه الظاهرة وما نشير إليه هنا بالتطور ليس " الداروينية الحياتية " بل " الداروينية الاجتماعية " التي تحاول أن تطبق أساليب التطور مثل " الصراع على البقاء " و" البقاء للأصلح " على المجتمع الإنساني كذلك. وقد نشأ عن الدراوينية الاجتماعية التي تصورها الناس في القرن التاسع عشر " علم تحسين النسل " في بداية القرن العشرين، ويطبق علم تحسين النسل مبادئ النمو وعلم الوراثة على الإنسان، محاولاً تحسين المصير الطبيعي للكائنات البشرية. وحاول العلم الأخروي أن يصور المصير الإنساني قائماً على الوعد الإلهي، ولكن الداروينية الاجتماعية تحاول أن تصور مصير الكائنات البشرية

والمجتمعات والبلدان في غياب الله، وبهذا المعنى فإن التطور كما يُمثل في الداروينية الاجتماعية يمكن أن يرى على أنه علمنة للعلم الأخروي للمسيحية.

وأحد العناصر الأخرى التي نشأت عن الداروينية الاجتماعية هو الفهم التطوري للحضارات، وبمعنى أبسط، سلكت المجتمعات الغربية منذ بداية القرن العشرين طريق تصنيف الحضارات بالمقارنة مع الحضارة الانجلو ساكسونية، التي اعتبروها قمة الحضارة، ولهذا السبب يعمل العلم الأخروي أحياناً كعنف هيكلي يبرر العنف الشخصي، فإن التطور باعتباره قائم على تصنيف الحضارات يمكن أن يُحَّول إلى عنف هيكلي تسيطر فيه الحضارات الأرقى على الحضارات الأدنى بشكل تلقائي.

4. **الخاتمة:**

كما رأينا حتى هذه النقطة، يوجد العنف الهيكلي في الأبعاد الدينية للوثنية والعلم الأخروي وفي الأبعاد الاجتماعية مثل الداروينية الاجتماعية، ومن المهم للغاية أن ندرك هذه الأبعاد المتعددة. ولهذا إذا أرادنا للمسالمة المطلقة أن تظهر كقوة فعالة في القرن الواحد والعشرين فإن المسألة الحاسمة هي في تحليل وفهم هذه المظاهر للأبعاد المتعددة للعنف الهيكلي.

وعلى أي حال، لا نستطيع أن نتعامل مع الحقائق التي سبقت أو تلت هيروشيما بمجرد الجدل باستمرار للاختيار بين إما هذا أو ذاك بين نظرية الحرب العادلة والمسالمة. وعلينا أن لا نقع في اختيارات " إما " " أو " بل ننظر لكل من المسالمة ونظرية الحرب العادلة بعلاقتهما في سياق الأبعاد المتعددة التي تعمل فيها.

والواضح هو أن مسألة الذهاب للحرب أو عدمه هي ليست القضية الوحيدة. لأن العالم مشحون جداً بالتعصب والمعاناة لدرجة أن القرار البسيط بعدم الخوض في الحرب لن يحل أي شيء. فالقضية هي كيف نعمل متضامنين مع المظلومين والمضطهدين وكيف نشاركهم أخطارهم وكيف ننشد طريق المصالحة والوئام. ويجب أن يؤخذ هذا الجهد كمسألة عدالة وعناية.

الجلسة الثالثة : تعليقات ومناقشة

السيدة نوريت نوفيس دويتش (Nurit Novis Deutsch)

صباح الخير . أشكركم على إتاحة الفرصة لي لأستمتع بالمحاضرات الثلاث وأن أعلق عليها، ولقد كان أحد الأسئلة المهمة التي طرحت اليوم: هل المسالمة ونظرية الحرب العادلة نظريتان متعارضتان مع بعضهما ؟ أود أن أعلق على هذا السؤال مستعينة بما يكافئ المسالمة والحرب العادلة في اليهودية التي أنا ضليعة فيها.

إن الأساس في اليهودية للتصدي لمسائل الحرب والسلام في اليهودية ثلاثي الأبعاد، فالبعد الأول هوعن طريق تفسير وإعادة سرد النصوص الإنجيلية، والثاني التطبيق عن طريق القانون اليهودي، والثالث مناقشة أكثر مبدئية عن طريق الفلسفة اليهودية.

وكما لاحظت الدكتورة كينغ (King) يبدو أن الإنجيل العبراني يعتبر العنف والحرب أموراً مسلماً بها، وأظن أنه يصف من ناحية النظرة الظواهرية للطبيعة الإنسانية قائلا: " انظر حولك وستدرك أن نبضات العنف هي جزء من الخبرة الإنسانية"، وكانت البداية الأولى هي في قتل قابيل أخاه هابيل. هذا وإن الإنجيل يرفض أن يعطي صورة جمالية للطبيعة الإنسانية.

وفي هذا أخالف تعليق الدكتور بابي بالأمس، وأعتقد أن أعمال العنف لم تبتدع مع ولادة القومية، وأن الإنجيل لا يقف موقف المتفرج من العنف، وباعتبار أن اليهودية هي أول دين توحيدي مكتمل فله سمة غريبة في إظهار الحماس الديني للعالم، والاعتقاد بأنه يوجد حقيقة واحدة مع الإله الواحد وأن عباد الوثن يستحقون العنف الذي يجلبونه لأنفسهم.

ومن المحزن أن نرى أن جميع الديانات التوحيدية الثلاث قد اعتمدت هذا الدرس بالذات في أوقات مختلفة من تاريخها وخصوصاً عند استخدام القوة. والكيفية التي يتماشى فيها هذا الموقف مع الإشارات المتعددة للسلام في الإنجيل العبراني مسألة هامة، ويحتوي الإنجيل أحكاماً أخلاقية متعددة تنظم الحرب وأعتقد أن البرفسورة كينغ قد ذكرتها لذلك سأتجاوزها إلى الجزء الثاني في تعليقي.

وأقول إن اليهودية الإنجيلية قد أقامت أحكاماً صارمة للحرب العادلة وأكدت أن سفك الدماء ممنوع تماماً وأن الحياة مقدسة إلا أنها أبعدت المثل الأعلى أو رفض الحرب إلى آخرالزمان، ومع ذلك فقد تغير هذا باعتبار أن اليهودية قد أصبحت دين الناس المضطهدين الذين لا أرض لهم ولا حول ولا قوة لهم لأكثر من ألفي سنة.

وعندها بدأ الحكماء فيهم يؤكدون على أهمية العيش بسلام ويدينون الحرب وربما كان ذلك بسبب عدم قدرتهم على اللجوء للحرب، وفي نفس الوقت بسبب سوء حظهم فقد كانوا ضحاياها الدائمين لذلك كانوا يتحسبون من هذه القضية.

وهنا نقتبس اصطلاح البروفيسور كوهارا بأنه مثل آخر للمسالمة ورفض الحرب بالخبرة وليس بالمفهوم، وبدأت المبادئ التي تنشد السلام فعلاً تلقي بثقلها وإلزامها وصار لها الأسبقية حتى على قيمة الصدق، فمثلاً أصدر الحاخامات مرسوماً بأن يثنى على جمال العروس أمام الملأ ولو كان ذلك كذباً لمجرد إقامة السلام بينها وبين زوجها.

وهكذا تغير النظام وأصبح السلام قيمة اختيار في القانون والفلسفة اليهودية وأرجئت الأحكام التي تنظم الحروب إلى آخر الزمان أو عل الأقل حتى عودة اليهود إلى أرضهم، وعلاوة على ذلك جرت محاولة جادة لتفسير الأوامر الإنجيلية الخاصة بالحرب ضد الوثنيين لتجريدهم من كل قيمة عملية، وأدين العنف في الفلسفة اليهودية في تلك الفترة على أساس مبدئي مما أدى إلى نشوء مسالمين يرفضون الحرب من بين فئات صوفية يهودية متعددة في العصور الوسطى وصولاً إلى الفيلسوف المشهور ايمانويل ليفيناز (Emmanuel Levinas). وتعتبر حركته المسالمة فريدة في أنها لا تسعى للوحدة والسلام فقط كأن نقول: " انظر كم نحن متشابهون "، رأي كهذا هو تبسيط زائد عن اللزوم، ولكن بالاعتراف بالآخر وتنمية الشعور بالمسؤولية تجاهه.

وبمعنى آخر تبدو القيم المناهضة للمسالمة والحرب العادلة في اليهودية في التعايش بطرق مختلفة عبر التاريخ باتخاذ إحداها دليلاً عملياً للحياة والآخر مثلاً أعلى من النوع الذي لا حاجة لممارسته، والسؤال هنا، طبعاً أيهما له الصدارة أولاً، والجواب أن هذا يبدو خاضعاً للظروف التي يجد فيها اليهود أنفسهم في فترات متعددة من تاريخهم وحتى وقتنا الحاضر.

ويتراوح العمل بهاتين القيمتين بين المسالمة والحرب العادلة بنسبة الثلث ويعتقد البعض أن هذا حدث بعودة اليهود إلى أرضهم، وأحب أن أقول هنا أن علينا أن نتحاشى التبسيط الزائد للأمور عندما نتعامل مع شيء معقد مثل الناس وصراعاتهم، فالعالم معقد وكذلك التاريخ، وإن تاريخ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، والذي أشير إليه البارحة، أكثر تعقيداً من أن نوفيه حقه في دقائق معدودات من البحث، ويميل المتكلمون على الدوام إلى كيل التهم الجزاف من هذا الجانب أو ذاك عندما يتعاملون مع الصراع بشكل ساذج، وهذا الاتهام مدمر عندما يقوم به أحد الطرفين ضد الآخر أو لدى النقد الذاتي كما سمعنا البارحة. فدعونا نقبل بهذا التعقيد ونتفهمه.

وختام القول دعت البروفيسورة كينغ لإيجاد لاهوت للسلام بروح الشريعة اليهودية. وأحب أن أضيف نداءً لإيجاد منظومة قانونية دينية للسلام، وأطلب من

كل دين أن يَسُنَّ مجموعة عملية من القوانين الأخلاقية الملزمة هدفها مجتمع يحتفي بالآخر، ولا ضرورة للحرب فيه باعتبار أنها غير عادلة، وشكراً لكم.

مقرر الجلسة: ملخص الكلام تدعو البرفيسورة كينغ لإيجاد لاهوت للسلام وبروح الشريعة اليهودية، وأحب أن أضيف نداءً لسن منظومة قوانين دينية من أجل السلام، ونرجو أن يعمل كل دين على إيجاد مجموعة عملية من القوانين الأخلاقية الملزمة هدفها مجتمع يحتفى فيه بالآخر والحرب فيه غير ضرورية وتعتبر غير عادلة. وشكراً

تعليقات

البروفسور الدكتور إبراهيم زين: الجامعة الإسلامية الدولية، ماليزيا.

أولاً:إنني حقاً مسرور بأن أكون هنا ودعوني أقول فقط بأن رأي لا قيمة له في الحديث عن الحرب والعنف والأديان من قريب أوبعيد. لأن الآخر يكاد يكون ضحية ذلك العنف المقدس. ومن الواضح أن صوته يجب أن يُسْمَع وإلا فإن الحديث برمته حول الحرب العادلة أو الحرب المقدسة جهد عبثي، والأنكى من ذلك هو حديث مكرر منفرد.

ولكي نتناول القضايا التي أثيرت هذا الصباح أحب أن أقول بأن حديث البارحة كان حول الجهاد وليس الحرب المقدسة، وهذا الصباح حدثنا ثانية البروفيسور جونسون بأن المفهوم الأوسع للحرب المقدسة يمكن أن يشمل الجهاد بالسيف.

ومشكلتي مع هذا النوع من الطرح هو أننا نرى مرة أخرى شخصاً يمثل ثقافة ما، وقد يكون هذا التمثيل مختزلاً لكنه يفرض نفسه عليك وعلى ثقافتك وعلى ثقافة الآخرين، فلم لا ندعوها بجهاد السيف ؟ وفي الواقع لا توجد حرب مقدسة في الإسلام، فالحرب همجية ومدمرة ولاشيء مقدس فيها، وبالنسبة لنا نحن المسلمين قد نقع في التناقض عندما نتكلم عن الحرب المقدسة، وأنا لا أجمِّل تاريخنا ولكن أقول دعونا عندما نستعمل مفهوماً بأن نستعمله كما يستعمله أصحابه بدلاً من أن نسيء إليهم.

قامت المناقشة العملية اليوم على افتراض أن الأخذ بالأخلاق والمبادئ السامية كان دائماً في التاريخ الإنساني وأن الناس ينشدون السلام، وتراوحت بعض المناقشات بين التاريخ والنص في الكتاب المقدس، وأحب أن أذكركم بأن هذا الافتراض والذي هو الأخذ بالأخلاق والمبادئ السامية قد اختطف من قبل أناس يرفضون الآخر في كافة الثقافات والأديان، وأحب أن أقول إنني ما زلت بعيداً عن المسيحية وهذا يمكنني من طرح أسئلة نقدية يتحدى فيها الناس من ديانات أخرى أصحاب هذه الديانة ليصلوا إلى إجابات ذكية عقلانية.

ففي المسيحية كانت المسالمة ورفض الحرب سمة الكنيسة الأولى ومنها انتقلت المسيحية إلى مدينة العدالة ثم انحدرت إلى مفهوم الحرب المقدسة الصليبية.

وما لم يذكره المتكلم العلاّمة حول فكرة مدينة العدالة هو أنها ابتدعت ضد الهراطقة، وعندما تبلورت فكرة الحرب المقدسة كان غير المسيحيين أي المسلمون وغيرهم هم المستهدفون منها فشنت الحملات عليهم.

والنقطة الثالثة علينا أن نرجع للتاريخ لمعالجة هذه القضية التي توحي بالتناقض لأن الحملة الصليبية كانت في الأصل من أجل السلام ضمن العالم المسيحي، وبالتالي صُدِّر العنف للآخرين على حساب عالمية الأخلاق. وأقصد أن الحفاظ على السلام ضمن العالم المسيحي وإظهار العنف صورةً لإنقاذ الأرواح شيء جميل، ولكن هذا العنف انصب عملياً على الطرف الآخر.

وأرى أنه يَجْمُل بالمسيحية أن تطور لاهوتاً للسلام كما عرض هنا، كما طورت لاهوت الحب وبذلك تعطي درساً للدينين الإبراهيميين الآخرين بدل الاتجاه نحو إمكانية الحرب العادلة.

والمشكلة فيما يتعلق بحديث البروفيسور جونسون أننا كلما تكلمنا عن إمكانية الحرب العادلة لا يكون أمامنا تقليد الكنيسة الأولى فيما يتعلق بالمسالمة وأتفق مع البروفيسورة كينغ في دعوتها إلى ثقافة السلام وهي دعوة جديرة بالاهتمام وإن استطاعت المسيحية أن تسير في هذا المعيار لجعلت الأديان الأخرى تمحص أمرها وتحذو حذوها، وأخيراً أشعر أن البروفيسور كوهارا يؤيدني بصوته في تفسيره للمسيحية وفي الأخذ بلاهوت التحرير مما يستحق الدراسة، وشكراً جزيلاً لكم.

__تعليقات__

ماكي تاهارا (صحفي يعمل في صحيفة طوكيو شيمبون).

صباح الخير: أنا لست عالماً بل صحفي، أغطي الشرق الأوسط خلال العشرين سنة التي خلت، وإن طريقتي في تغطية المنطقة هي أن أعمل في الحقل شخصياً، ففي يوم أكون في جنوب لبنان مع دليل من حزب الله أغطي عملياته العسكرية ضد إسرائيل، ثم بعد شهر أستمع للسياسيين الإسرائيليين في الكنيست، وفي يوم آخر تراني واقفاً إما بجانب شط العرب الإيراني أو العراقي، وهكذا كنت أتحرك عبر السنين لذلك أود أن أتقدم بتعليقاتي على الكلمات التي قدمت اليوم من وجهة نظر شخص عنده هذه الخلفية، شخص ليس بعالم ديني ولكن يؤمن بالعمل في هذا المجال.

أولاً أحب أن أقول شيئاً يتوافق مع ما قاله البروفيسور كوهارا إن الإيمان بيوم البعث والحساب له جانبان: الصراع والسلام، وذكر البروفيسور جونسون بخصوص الحرب العادلة عدة تطورات مع مرور الزمن فأنا لست مختصاً بالمسيحية وبفضل خبرتي الشخصية لدي ميل إلى أن أنظر للأشياء ضمن إطار إسلامي، ففي الإسلام يمكنك أن تنطلق من القرآن وتبرر إما السلام أو الصراع

من أجل العدالة. بناء عليه أظن بأنه لا بد من وجود حدود لمحاولتنا التقرير فيها إذا كانت طبيعة الدين الأساسية وراء السلام أم الصراع.

وبعد هذا القول لابد أن أضيف أنه لا يمكننا غض الطرف عن الجانب الديني للموضوع عندما نُواجه بتحدٍ سياسي حقيقي، وفي منتصف الثمانينات من القرن الماضي وقبل ذروة الحرب الباردة كنت أزور معسكر الجبهة الشعبية اليسارية لتحرير فلسطين إبان اندلاع الحرب الأهلية، وتحدثت مع مقاتلٍ هناك وكان مسيحياً. سألته عمن كان يحظى بوافر احترامه فقال ماركس ولينين والمسيح. وكان مقاتل آخر مسلماً فأجاب عن نفس السؤال ماركس ولينين والنبي محمد. والهيئة السياسية التي ينتميان إليها هي حزب اشتراكي علماني. ولكنهما على الصعيد الشخصي يحملان شيئاً دينياً في نفسيهما ربما لأنهما في أرض المعركة حيث يمكن أن يلقيا حتفهما في أي لحظة وهذا ما أثرَّ فيَّ بعمق حينذاك.

إن ما يهم المقاتلين الذين عليهم أن يبرروا أعمالهم هو التناقضات الحاصلة عملياً حولهم في العالم وليس دينهم أو التفسيرات الدينية لأفعالهم، ومن الصعب أن نتخيل أن فكرة العدالة يمكن أن تتغير في جوهرها من جماعة لأخرى حسب دينها أو ميلها الديني، رغم أن دين أتباعها، كالمقاتلين مثلاً قد يكون له تأثير ما، ولا بد أن يكون العامل الحاسم هنا شيئاً عالمياً وشائعاً بالنسبة للإنسانية، لذلك أرى لدى تحري المسائل السياسية الفعلية أنه من المهم أن يُركّز على العالمية القائمة خلف الأديان والطوائف الدينية وكذلك على التسامح والمحاكمة الذاتية الفردية التي تمكّن من الاعتراف بتلك العالمية بدلاً من التأكيد على الإنشقاقات التي تسببها الخلافات الدينية.

وموضوع الحكم الذاتي الفردي مهم جداً لليابان أيضاً، فإن فُقِد أدى إلى كارثة، فاليوم نحن أمام واقع الوجود الياباني العسكري خارج اليابان لأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ولقد قامت المسالمة اليابانية ورفض الحرب حتى الآن على فكرة التعاون الدولي، وهذه العبارة مقدسة في اليابان كالعبادة العمياء ولكن مع تغير الوضع الدولي تغير معنى " التعاون الدولي " أيضاً، وفي سنين الحرب الباردة كان " التعاون الدولي " الياباني هو مقدار التوازن في القوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، أما اليوم وبقيادة الولايات المتحدة للقطب الواحد يبحث " التعاون الدولي " الياباني كلية في حدود التحالف والتوافق مع الولايات المتحدة، ومن المؤلم أن نلاحظ أن اليابانيين عموماً لم ينظروا إلى هذا التغيير بعمق كاف، وهنا تبرز مسألة الحكم الذاتي في الصورة.

ولدى البحث في المسائل السياسية الفعلية بما فيها العسكرية فإن الدين الذي يصنع أفكار الأفراد حول الحياة والموت له مكان مهم للغاية في ذلك، وأعتقد أن السبيل الوحيد لتحقيق السلام الفعلي هو أن نعمل من أرضية مشتركة من التسامح نحو تفاهم وتسويات متبادلة بدلاً من الاختلافات.

تعليقات:

تومآكي فوكاي (Tomoaki Fukai) بروفيسور مساعد في معهد الأبحاث المركزي في جامعة سيغاكوين (Seigakuin).

باعتبار أن لدي خمس دقائق أحب أن أركز بإمعان على بضع نقاط محددة، وأطرح أسئلة خصوصاً حول محاضرة البروفيسور كوهارا والتي وجدتها مهمة للغاية. وأعتقد أن المناقشات حول الحرب من وجهة النظر اللاهوتية المسيحية والإيمان الديني غالباً ما تؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما يطالب بالسلام المطلق والثاني يبحث في قيود السماح بالحرب، واعتقد أن هذه الثنائية ليست ناجعة بما فيه الكفاية. وأعتقد أيضاً أننا إن أردنا الاستفادة من اللاهوت بشكل ما فعلينا البحث في مسألة " ما قبل الحرب " أو الوقاية منها والوساطة على أنهما مسائل سياسية لا مسائل تحديات لاهوتية، لكنني أعتقد أن في هذه النقطة بالذات ــ الوقاية والوساطة ــ يعمل اللاهوت لأنه يهتم بمسائل البعث والحساب.

والآن هذه أسلتي: قال البروفيسور كوهارا إن التفكير في المسائل الأخروية من بعث وحساب يؤدي إلى نوعين من التطرف، إما حرب شاملة بين الخير والشر من نوع (Armageddon) أو السلام، وأعتقد أن وظيفة اللاهوت فيما يتعلق بالمسائل الأخروية إذا اعتبرت أخروية فيكون هي التعامل معها بشكل نسبي. وبمعنى آخر إن فكرة " اليوم الآخر " مثلاً تجعل الفرد والدولة يقفان عند حدودهما بمنعهما من لعب دور الإله ودور الحاكم المطلق.

بروفيسور كاهارا ما رأيكم بدور اللاهوت في هذه المسألة ؟.

وإن كان الدور كذلك فالمباحثات اللاهوتية حول السلام والحرب ستكون محط اهتمام تخطيط السياسة أكثر من العقائد الدينية ومسائل الإيمان، فاللاهوت يتناول صناعة السياسة بتمكينها من التمييز بين الخير والشر ويقدم حلولاً قائمة على الخبرات السابقة، وأعتقد أنه بهذه الطريقة يستطيع اللاهوت أن يساهم في السلام بفعالية كبيرة، بروفيسور كوهارا، ما هو رأيك؟ وأعتقد أيضاً أنه في هذا المضمار يجب أن يدلي اللاهوت بدلوه في السياسة بشكل أوسع.

المناقشة:

المقرر: شكراً جزيلاً لكم أنتم الأربعة، والآن نبدأ المناقشة.

أولاً أحب أن أقول بضع كلمات حول ما أجده إشكالياً نوعاً ما أثناء استماعي لمناقشة الأمس بأن الدين واللاهوت يمكن أن يعرقلا بسبب الاختلافات بين الأفكار والواقع، وأنه يجب إيجاد توازن بينهما وقد شعرت بالأمس أن معظم الأسئلة كانت مهتمة بالواقع ولكن الإجابات في معظمها كانت على مستوى الفكر.

فمثلاً عندما يضع شخص ما مسيحية بوش على المحك يكون الجواب بأنها ليست مسيحية، فماذا إذاً عن إسلام أسامة بن لادن والجواب بأنه ليس إسلاماً وهنا

ينتهي النقاش، فهذه مناقشات فكرية ولكن الواقع أن كلاً منهما يدعي بأنه مسيحي أو مسلم، فالمناقشات يجب أن تنطلق من أرض الواقع، فآمل أن يوضع هذا في الاعتبار.

طرحت أسئلة أثناء التعليقات، فعندما نتعامل مع المسالمة ونظرية الحرب العادلة يصبح فهم المسالمة سهلاً نسبياً بينما نجد أن نظرية الحرب العادلة صعبة، وقد طرح البروفيسور زين سؤالاً على البروفيسور جونسون، فلنبدأ به.

جونسون : كان روبرت ماكافي براون (Robert McAfee Brawn) يقترح إمكانية وجود مفهوم للثورة العادلة، وأعتقد أن نفس الفكرة ظهرت قبل عدة سنوات في كتاب مشترك كتبه بيتر بيرجر (Peter Berger) وريتشارد جون نيو هاوس (Richard John Neuhaus)يسمى " الحركة والثورة " حيث وضعت فيه مبادئ الحرب العادلة بعناية فيما يخص إمكانيات النشاط الثوري.

وإن النقطة البارزة الكبيرة ليست فكرة القضية العادلة أو النية الصالحة ولكن فكرة السلطة الحاكمة، وقلة نادرة تلك الجماعات التي لديها الانسجام الداخلي الذي يسمح بأن تستلم السلطة من أجل الصالح العام للشعب الذي يريدون تمثيله.

وإن وجدتم طريقة تلبي هذه الحاجة فنحن معاً في نفس القارب عندما نتحدث عن إمكانية الثورة العادلة في مفهوم الحرب العادلة، وأعتقد أن هذه مسألة كبرى وتاريخياً لا بد أن الخط الرئيسي لنظرية الحرب العادلة كان صامتاً ومتحفظاً للغاية بشأن إعطاء الحق باستخدام السيف من قبل الجماعات الثورية، وأظن، على سبيل المثال، أن لوثر عندما أدان ثورة الفلاحين الألمان عام 1525م كان مؤيداً جداً للأهداف التي حاولوا تحقيقها ولكنه كان ضد لجوئهم للعنف لتحقيق أهدافهم بكل ما في الكلمة من معنى.

وأما بالنسبة لقفزتكم السريعة بين إمكانية الثورة العادلة و بين الإرهاب فلا بد أن أقول إنني لست معكم في ذلك، ويبدو لي أن الإرهاب شيء مختلف تماماً. فالإرهاب نوع من التصرف ومن العنف يستهدف غير المحاربين كأهداف رئيسية وحيدة من أجل مكاسب سياسية أو عسكرية،ولا تتضمن الثورة ذلك النوع من النشاط بالضرورة.

أما بالنسبة للجماعات الإسلامية فيما إذا كانت تخوض حرباً عادلة فإن موقفي تجاه الراديكالية الإسلامية وقضايا العنف هو أنني أريدهم أن يتمسكوا بأحكام التقاليد الإسلامية أولاً وأخيراً، فإن فعلوا ذلك يمكننا أن نجلس ونبحث إن كان ذلك يلبي أحكام الحرب العادلة العائدة للثقافة الغربية.

المقرر : يقول البروفيسور جونسون بأن الإرهاب والحرب مختلفتان. بروفيسور جوير غنيشمئير، هل تحب أن ترد على البروفيسور جونسون ؟.

جويرغنسمئير: كلا. يبدو لي أن " فرج " على سبيل المثال قد أنشأ خط تفكير يتناول نوعاً من الحرب الضمنية التي تعتمد على أساس أخلاقي شرعي للقيام بالعمل الذي وصفه، والآن أمامنا سؤالان: هل هي حقيقة قائمة على فكر إسلامي متين ؟ وهذا سؤال ليس موجهاً لك فقط بل لكل علماء الشريعة والأخلاق حول هذه المائدة، وهل يمكن تطبيقه في هذه الحالة الخاصة ؟ إنها نظرية متماسكة، أليست بشكل ما معادلة لنظرية الحرب العادلة وإن طبقت على الصعيد الفردي ؟.

المقرر: أدعو الآخرين للكلام، أولاً الدكتور بابي ثم البروفيسور كوري باياشي ونحب أن نركز على فكرة الحرب العادلة من فضلكم.

بابي: شكراً لكم. أحب أن أشكر المتكلمين على المنصة لمساهماتهم القيمة الثلاث، ومافاتنا في رأيي مما يوضح فكرة الحرب العادلة هو مناقشة مسبقة حول القوة والعلم وأرى أنها مهمة لفهم المسائل قيد البحث.

وما أقصده أنه في بداية القرن الواحد والعشرين لقيت الأفكار حول التعاريف العالمية للإرهاب والحرب العادلة والسلام والتي انبعثت كلها من الفكر السياسي للقرن التاسع عشر تحدياً في عصر ما بعد الاستعمار.

وهنالك العديد من علماء الغرب الذين ينزعجون من ذلك لأن ما كان تعريفاً عالمياً في القرن العشرين أصبح تعريفاً مشروطاً ثقافياً، وأعتقد أن هدف مثل هذه الندوة هو أن لا تقول لنا إن هناك تعريفاً واحداً للإرهابي. وفي هذا الخصوص نجد أن تعريف الإرهاب يجب أن يفتح للمناقشة، فالإرهاب بالنسبة لشخص ما هو حرب تحريرية بالنسبة لآخر، فمن يقرر من هو الإرهابي، الدولة أم الفرد ؟.

هل ستقرر وتحدد المؤسسة العلمية الغربية من هو الإرهابي أم هل سنفتح المناقشات ونضم ثلثي العالم الذي استبعد من مثل هذه المناقشات في القرن العشرين؟ ومن المدهش حقاً أن نسمع أصداء " لصدام الحضارات " لصموئيل هنتينجتون (Samuel Huntington) في ندوة تريد أن تقرب الحضارات إلى بعضها لا أن تدفعها إلى مزيد من الصراع.

ونقطة أخيرة حول هذا، أعتقد أن هناك الكثير لنقوله حول استقصاء لاهوت التحرير، وأورد مثالاً واحداً: توجد حركة قوية بين الجماعات الفلسطينية المسيحية تسمى " سبيل " وهي تعني الطريق التي تدعو إلى اللاعنف في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي الغاشم في الضفة الغربية وقطاع غزة ، و مقارنة التمييز العنصري ضد المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، وهي تستقي مصادرها من اللاهوت ومن المسيحية، وهذه مساهمة مهمة وإيجابية للعلاقات المستقبلية بين اليهود والعرب في فلسطين قد تكون نموذجاً لمناطق مضطربة أخرى في العالم. وشكراً لكم.

المقرر: بروفيسور كوريباياشي، تفضل.

اسمي كوريباياشي (Kuribayashi) وأعلم اللاهوت المسيحي في جامعة كانسي غاكوين (Kansei Gakuin) وأحب أن أقيد نفسي بسؤال واحد أتوجه به لكل من المتكلمين، وسيكون في نفس السياق، والرجاء أن تأخذوها كأسئلة وليس تعليقات لأنني أود أن أحظى بالأجوبة عليها، أولاً: لدي سؤال للبروفيسور جونسون بخصوص فكرة الحرب العادلة واعذروني أن أثير نفس هذا الموضوع في مناقشات البارحة، ذكر البروفيسور جونسون مقاييس واضحة جداً للحرب العادلة، وأشك أن الحرب التي ابتدأتها إدارة بوش في العراق تلبي مثل هذه المقاييس، لذلك أحب أن أسمع رأي البروفيسور جونسون في هذه. وأنا من الذين يؤمنون من الوجهة الواقعية أن الجنوح للسلام المطلقة لا يفي بالغرض، وأعتقد أن محاولتنا لتقرير ما إذا كانت هذه الحرب عادلة أم لا قضية خطيرة من وجهة النظر المسيحية كذلك، وهذا هو الانطباع الذي نأخذه لدى الاستماع للمناقشات المتعددة التي تجري بين المسيحيين في الولايات المتحدة حول الحرب.

وفي نفس المنحى أحب أن أسأل البروفيسور كوهارا سؤالاً حول ممارسة العنف. فقد قال في نهاية محاضرته حول لاهوت التحرير إن المهم هو التضامن مع المظلومين والمضطهدين، وهذا صحيح حقاً، وفي نفس الوقت لدى وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد (Ramsfield) ونائب الرئيس تشيني (Cheney) والمحافظين الجدد سببهم الرسمي و المغاير في السعي للتضامن مع المظلومين والمضطهدين، ويبرر المحافظون الجدد الحرب بقولهم نريد أن نتحد مع المظلومين والمضطهدين في العراق، كالأكراد والشيعة لإزاحة صدام ودكتاتوريته التي تنتهك حقوق الإنسان ولإقامة الديمقراطية في البلد، وأعتقد أن الفرق بين هذا ولاهوت التحرير يستحق التوضيح.

المقرر: حسناً. سأسأل البروفيسور جونسون أن يجيب على السؤال الأول. وبالنسبة للسؤال الثاني أظن من الأفضل أن يجيب عليه البروفيسور ناكانيشي (Nakanishi) بدلاً من البروفيسور كوهارا (Kohara) تتبعه البروفيسور شيوجيري (Shiojiri).

جونسون: بروفيسور كوريباياشي، جوابي على سؤالك الذي أثرته يختلف حسب أي نظرية حول الحرب العادلة، كما ذكرت، تسير الحرب.

ولم يعبر الأساقفة الكاثوليك الأمريكيون عن رأيهم منذ بداية عملية تحرير العراق أي عن العمل العسكري، كما تسميه الولايات المتحدة، ولكنهم عبَّروا فعلاً عن تحفظاتهم الجدية قبله طالبين استقصاء بدائل أخرى غير عسكرية لتأمين ما دعوه بالغايات العادلة.

وأعتقد للجواب عن هذا السؤال، أننا بحاجة إلى الأخذ بالحسبان كل التبريرات التي عرضها الرئيس بوش على الدوام في خطاباته العامة الثلاثة قبل

بداية العمل العسكري، وليس مجرد استباق الأمر حول أسلحة الدمار الشامل بل الانتهاك المطرد لقرارات مجلس الأمن أيضاً منذ نهاية حرب الخليج الأولى، وثالثاً الانتهاك الشنيع لحقوق الإنسان في العراق وجيرانه في إيران والكويت، ورأيي الخاص في هذا هو أنه كان هنالك تبرير لاستخدام القوة العسكرية للمعيارين الثاني والثالث وللتبريرين الثاني والثالث وهذا مستقل عن السؤال فيم إن كان هنالك فعلاً أسلحة دمار شامل في العراق.

وفي التسعينات من القرن الماضي جرت مناقشة معتبرة حول الحرب العادلة في الولايات المتحدة ولحد ما في أوربا الغربية حول تبرير استخدام القوة المسلحة لتصحيح الإساءات الكبيرة لحقوق الإنسان، وتم التوصل إلى إجماع جديد حول ذلك بين المتحاربين في البوسنة والقتل الجماعي في رواندا وعددٍ من الصراعات العنيفة الأخرى التي حدثت في تلك الفترة.

وكان الخيار عادلاً في استخدام القوة في تلك الحالات، وإن سرنا في ذلك النهج من التفكير قد يقول قائل إن استخدام القوة لاقتلاع حاكم دكتاتور مثل صدام حسين والمحاولة لاستبدال حكومته بحكومة أكثر عدلاً لها ما يبررها.

وأحب أن أقول في هذه الهنيهة شيئين للدكتور بابي، لم أكن أنا الذي قدم فكرة أن أمريكا والغرب هما سبب الشرور في العالم الإسلامي، ولم أكن أنا الذي قدم فكرة صدام الحضارات باسم الصليبية. ولا أعتقد أن هذه صنوف مفيدة ولكني لن أجلس بلا حراك وأستمع إليها دون جواب مني.

المقرر: كما قلت آنفاً، أدعو البروفيسور ناكانيشي ثم البروفيسور شيوجيري للكلام. وربما لدى البروفسيور ناكانيشي أسئلة وتعليقات وأحب أن أسأله بالبدء بالإجابة عن سؤال البروفيسور كوريباياشي حول تشيني ورامسفيلد والمحافظين الجديد إن أمكن.

ناكانيشي: أنا آسف. كنت أعد تعليقاتي فلم أنتبه تماماً لسؤال البروفيسور كوريباياشي. واسمحوا لي أن أقتبس كلمات البروفيسور موري كنقطة بدء.

أعتقد أن هناك تعريفات عديدة مختلفة للمحافظين الجديد، يعتقد البعض أنفسهم محافظين جدداً وبعضهم أطلق عليه هذا اللقب ولا جدوى من بحث ما يجعل المرء محافظاً جديداً أم لا.

والسيد تشيني والسيد رامسفيلد سياسيان ذرائعيان لا مفكران وحتى إن كان عندهما رؤية كبيرة ضمنية أعتقد أنهما يتخذان قراراتهما أساساً كزعماء سياسيين أمريكيين، وفي هذا المعنى ربما يدعمان ما نعتبره تلقائياً محافظاً جديداً أي جعل العالم ديمقراطياً بالقوة الأمريكية التي تؤدي إلى عالم حر متحرر، ولكن في صناعة السياسة الفعلية من غير المحتمل أن يعطوا الأولوية لهذا وحده، وأنا مطلع على المواقف الأمريكية المختلفة تجاه العراق وإيران وليبيا وشمال كوريا لذلك أشعر من غير المجدي كثيراً أن نركز على المحافظية الجديدة.

وربما لم أجب على السؤال جيداً فاعذروني.

ولدي بضع أسئلة وتعليقات خاصة بي, هل أتقدم بها الآن ؟ إنني عالم بالسياسة ونادراً ما يتسنى لي أن أدقق بموضوع الدين بشكل مباشر. ولقد تعلمت الكثير من مناقشات اليوم وأنا ممتن جداً لذلك.

وفي رأيي إن مسألة كيفية رؤية الوضع الحالي للعالم حيوية. وربما بُحِثت هذه النقطة بالأمس. وإن الجو الذي نحن فيه اليوم، والوضع الحالي للإنسانية هو في الأساس مجتمع معوْلم، كما يُدْعى كثيراً، ترى الناس فيه والمواد والثقافات المختلفة والتي لم تكن على صلة مباشرة ببعضها من قبل في اتصال ببعضهم بشكل متكرر جداً.

وفي خلال الكثير من القرن العشرين المتصف بالحربين العالميتين وبسنوات الحرب الباردة كان التحدي الأكبر للإنسانية كيفية تجنب الحرب بين الأمم وكيفية التقليل من الضرر الذي يلحق بالشعب إن لم يمكن تفادي مثل هذه الحرب. وقد ظهرت منذ نهاية القرن العشرين إلى الآن أشكال غير مسبوقة من التفاعل مما سمح للناس الذين لم يكن لهم اتصال مباشر فيما عداه أن يتفاعلوا مع بعضهم. وقد أوجد هذا أشكالاً مختلفة من التوتر بما فيها الإرهاب والصراعات. وأعتقد أنه يجب الاعتراف بهذه الظاهرة كمشكلة تواجه الإنسانية اليوم.

وبناءً عليه، علينا أن نسأل أنفسنا إن كنا نستطيع أن نطبق تقليد الحرب العادلة الذي تكلم عنه البروفيسور جونسون والذي هو أساساً إنتاج من أوربا الحديثة منذ كان لنظام دولة الأمة ذات السيادة دور مركزي في القضايا التي تتعلق بالعنف و إلى عالمنا الحالي الذي يمر يما يمكن تسميته بالحروب الأهلية العالمية. وكما ذكر البروفيسور جونسون باختصار بأن العصور الوسطى، التي أتم فيها توماس أكويناس نظريته بأن العصور الوسطى، ربما لديها ما تعلمنا اليوم بخصوص مسألة العنف أكثر مما تعلمنا إياه العصور الحديثة ذات نظام دولة الأمة ذات السيادة المتطور.

وأخيراً أحب أن أسأل سؤالاً حول مشكلة أخرى تتعلق بمفهوم جالتونج (Galtung) حول السلام الإيجابي بطرقه العديدة مهم جداً وخصوصاً كمقابلٍ لمفهوم القرن العشرين حول السلام السلبي الذي هو سلام قائم على تجنب الحرب. ولا زال من غير اللائق اليوم أن نقول بكل سذاجة إن الحرب الإيجابية هي سلام يتوصل إليه عن طريقة تلبية كل الآمال والرغبات، وأرى أنه بدلاً من تبني تعريف شامل كلي نحن بحاجة إلى مفهوم جديد حول السلام الإيجابي بحدود جديدة مرسومة بأقل شروطٍ للسلام .

لذلك أحب أن أعرف كيف يستطيع الدين أن يكون له مكان في نظرية السلام الإيجابي كنظرية جالتونج ؟.

المقرر: إنني أدعو البروفيسور جونسون والبروفيسور كوهارا للإجابة باختصار.

جونسون: يوجد بين حروب العصور الوسطى وحروب العصر الحاضر تشابه أكثر مما بين الحربين العالمتين الأولى والثانية وحروب العصر الحاضر. فظاهر الحرب في العصور الوسطى كان يتعلق بجماعات صغيرة نسبياً من الأفراد الخارجين على القانون، كانت حروباً يتورط فيها أمراء جشعون يحكمون من أجل مصلحتهم الخاصة وليس لمصلحة شعوبهم فقد كانت حرباً ينخرط فيها ملوك كانوا يسعون لتحقيق مصلحة شعوبهم ولتأمين النظام الدولي.

وتركزت أنواع الادعاءات التي حركت استعادة التفكير بالحرب العادلة في الولايات المتحدة وفي الغرب بشكل كبير على ذكريات الحرب العالمية الثانية وبشكل أقل على ذكريات الحرب العالمية الأولى وعلى حقيقة التحفظ النووي بين الولايات المتحدة وأوربا الغربية من جهة والاتحاد السوفيتي وحلفائه من جهة أخرى.

إننا لم نعد نعيش في ذلك العالم، إن العالم الذي نعيش فيه منذ أكثر من عشر سنوات هو عالم تتميز فيه الحروب بأنها حروب صغيرة، ليست تلك الحروب التي تستخدم فيها أسلحة كبرى للقوى العظمى ولا حتى القوى الكبرى ولكنها حروب تستخدم الأسلحة التي فات أوانها كما في يوغسلافيا السابقة، حروب تستخدم المدى الضخمة والخناجر كما في حالة القتل الجماعي في رواندا، حرب تستخدم وسائل قليلة التقنية كطريقة للقتل، لقد كانت حرباً غير منظمة بوسائل التنظيم التي حاولت الدول تنظيم صراعاتها ومشاكلها بها.. وكما ألمحت سابقاً فإن قانون النزاع المسلح في القانون الدولي هو فكرة ترتبط تاريخياً وموضوعياً بحروب تقليدية عادلة أكثر قدماً.

المشكلة الحقيقية في الوجه المعاصر للحرب هي أن كثيراً من المشاركين فيها، ليسوا مهتمين بمحاولة الحد من الضرر لغير المقاتلين لأنهم لا يهمهم إلا الوصول لما يريدون ولو بضرب غير المسلحين، وهكذا يبدو لي أننا فعلاً لدينا قدر كبير نتعلمه من النظر إلى الوراء إلى ما كان يقوله المفكرون البدائيون عن موضوع الحرب لأن حربهم كانت أكثر شبهاً بالحرب الموجودة حالياً، ولا تشبه الحربين العالميتين الأولى والثانية.

كوهارا: كما ألمح البروفيسور ناكانيشي صحيح أن كل المشاكل يمكن حلها بالسلام الإيجابي وحده وبالطبع تفترض نظرية غالتونغ استقراراً سياسياً واقتصادياً. وهو يأتي إلى اليابان كل عام تقريباً وقد أكد مؤخراً تأكيداً زائداً على أهمية ضمان هوية ثقافية ودينية متوزانة. لذلك فمن الممكن أن نشير إلى المكانة الكبيرة التي بدأ الدين يشغلها كعامل في فكرته عن السلام الإيجابي وخصوصاً من بعد الحادي عشر من سبتمبر.

وفي هذا الخصوص كلنا نعلم أن إدارة الرئيس بوش لا تستطيع إحداث الاستقرار من خلال القوة العسكرية لوحدها وهذا يعني أن التمييز بين " القوة القاسية " و " القوة اللينة " الذي يستخدم غالباً قد بدأ ينتشر، ومن التحديات التي تهمني كيف نربط مفهوم السلام الإيجابي الذي يقترحه علماء الدين بالنظريات (الذرائعية) الصانعة للسياسة.

المقرر: والآن البروفيسور شيوجيري.

شيوجيري: اسمي شيوجيري.

منذ البارحة ونحن مستمرون في المناقشة حول الحرب العادلة والحرب المقدسة، وقد أشارت البروفيسورة كنغ أن تبرير الحرب والمناقشات حول نظرية الحرب العادلة لها تاريخ طويل وقد علمنا أنه قد وجدت أسباب متعددة للجدال. بينما لم تُتابع كثيراً الدراسات والمناقشات حول السلام، ولقد تلقيت هذه الكلمات بشيء من تأنيب الضمير أحسسته في قلبي.

وأعتقد أنه من الممكن النظر إلى نظرية الحرب العادلة كنتيجة لتطور سلوكيات متعددة لتبرير الحرب التي يكون غرضها معلوماً في حالة معينة. وإن المناقشات حول الحرب العادلة قد أخذ بعداً لاهوتياً لأن إضافة أهمية دينية إلى الحرب كان الأكثر فاعلية في تبريره، وبالتالي فإن الحرب المعترف بها دينياً على أنها " عادلة " تتخذ تدريجياً بعداً جديداً كحرب مقدسة، وأولئك المشاركون في الحرب يمكن إقناعهم بالتضحية بأنفسهم وإيقاع الأذى بالآخرين لأنها حرب مقدسة.

والآن إذا تطورت المناقشات حول الحرب العادلة والحرب المقدسة من خلفية ترتبط بالدين فكيف سنتمكن من بدء مناقشاتنا حول " سلام مقدس " أو " سلام عادل " رغم أن ذلك قد يثبت أنه صعب جداً ويفرض عوائق كثيرة لا بد من التغلب عليها. وإذا قلنا " سلام عادل " فهو ليس مجرد سلام بل سلام بمعنى ديني علينا أن نحميه بأرواحنا.

ويبدو هذا القول عدوانياً نوعاً ما لكني أعتقد أنه من الضروري أن نستمر في السعي إلى سلام كامل مقدس... ويتم هذا بتحويل مرن للأفكار المتعلقة بالآخرة، التي عززت حتى الآن الحرب العادلة والحرب المقدسة، إلى شيء بنّاء من أجل تحقيق السلام.

وأود أن نسمع رأي البروفيسورة كنغ بخصوص هذه النقطة لأنها قالت بأن السلام لم يناقش بعد بشكل كاف كما نوقشت نظرية الحرب العادلة.

البروفيسورة كنغ:

أقدر كثيراً مداخلتك لأني أعتقد أن لدينا الكثير من النقاش حول نظرية الحرب العادلة وحول فكرة الحرب المقدسة. وأعتقد أن من المفيد جداً لنا كمجموعة، ولي شخصياً، أن نحصل على هذه التوضيحات التاريخية وأن نكون

واضحين حول النوع المحدد للاصطلاح المستخدم مثل معنى اصطلاح حرب مقدسة، ومتى أدخل هذا الاصطلاح لأول مرة، وما معنى كلمة "جهاد".

وأقدر أيضاً ما قاله البروفيسور بابي سابقاً حول العلاقة بين القوة والمعرفة وكيف أن المعرفة يجب أن تكون مرتبطة بقرينتها، ومن يتكلم لأجل من ومن يمثل من، وكيف نستطيع أن نتواصل مع بعضنا في تنوعنا الجماعي دينياً وعرقياً، سياسياً واقتصادياً.

لكني أعتقد أن علينا أن نفكر بالحاجة إلى معالجة جديدة تكون مبدعة وخلاقة للمشاكل التي هي في الوقت نفسه قديمة جداً وحديثة جداً، لقد ذكر البروفيسور جونسون الآن نوعية الحرب اللا تقنية بينما لدينا في الوقت نفسه إمكانية واحتمال حرب ذات تقنية متطورة جداً، كل شيء يحدث دائماً متزامناً وعلى مستويات مختلفة، هذه هي تعقيدات عالمنا الحديث.

ولكننا إذا نظرنا إلى الرسالة الروحية للتقاليد الدينية فإننا نرى أن هنالك دائماً هذا الانشغال بفكرة الخلاص و بالشرف وبمجد الله ولكن أيضاً بخلاص المجتمع الإنساني والاهتمام بالكائن البشري بمعنى الازدهار البشري وأعتقد أن أحد همومنا المعقدة في العصر الحاضر في عالم ما بعد الحداثة، هو تعريف البشري ومن الذي يعد بشراً، عندما ندقق تاريخياً بالمناقشات حول الآخر، حول الأجنبي، حول المتوحش (البربري) فإنه يقال دائماً أن الناس المنتصرين والذين لديهم القوة الغالبة غالباً ما يعلنون عن غيرهم بأنهم ليسوا بشراً أو أنهم ينتمون لأشكال أدنى من البشرية.

وفي الحقيقة هذا هو السؤال المهم: هل بإمكاننا الاعتراف بكل شخص على أنه كائن بشري؟. ما معنى أن يكون الشخص بشراً بشكل كامل وماذا تعني البشرية الكاملة للنساء في عالم اليوم ؟. هذه كلها أسئلة جديدة نسبياً، ورغم أنها أيضاً أسئلة قديمة جداً إلا أنها قد رتبت في سياق جديد وأشعر أن الشيء نفسه يصح على السلام.

إن السلام ليس مجرد حالة فردية، إنه حالة اجتماعية، بل حالة عالمية، إنه يعني شيئاً في مراحل مختلفة وفي بيئات مختلفة، ولا يمكن التفكير به بدون عدالة ولا يمكن التفكير به بدون عناية كما قيل هذا الصباح، لا يمكن التفكير به دون حب واهتمام برفاهية وازدهار البشرية. ماذا نفعل عندما نحب إنساناً ؟، إن الطفل لا يقوم بالعنف، والطفل غير قادر على إعطاء السلام: لكن هذا الطفل الصغير يكبر ويصبح إنساناً كاملاً سواء كان ذكراً أو أنثى وبإمكانه صنع السلام كما يمكنه أن يعمل العنف. وقليلون جداً من المفكرين في القرن العشرين والآن أيضاً في القرن الحادي والعشرين الذين يحاولون الإشارة إلى الحاجة إلى تغيير حضاري عميق وإلى وعي جديد للسلام لكي نوجد ثقافة سلام بدلاً من ثقافة الحرب.

وإذا دققتم في كلامنا باللغة الإنكليزية (فأنا لا أستطيع التحدث عن اليابانية ولا العربية) فمن المدهش أن نرى هذا الكم من الكلمات الكثيرة، والاستعارات اللغوية الكثيرة التي نستخدمها وهي حقاً عنيفة وعدوانية وهي منافسة جداً بمعنى أنها تحاول دفع الآخر ولا توجد الاحترام بل توجد التوتر، إننا دائماً نفعل ذلك، إننا نستخدم لغة هي لغة القتال والصراع والعنف، ولذلك فأنت تحصل ليس فقط على عنف في تركيب اللغة بل أيضاً على نقاش عنيف وعلى عنف لغوي.

أشعر أننا فعلاً لم نعط تفكيراً إبداعياً كافياً سواء من الناحية اللاهوتية أو الفلسفية أو الثقافية لما يعنيه السلام ولكن يمكن تعزيز العلاقات الحسنة بالشكل الأمثل، أو نعزز فهماً للتقارب بخصوص الصداقة أو المحبة أو التسامح وممارسة الاحترام والكرامة المناسبة.

أعتقد أننا بحاجة لعمل الكثير في مجال التربية ابتداء من العائلة ومروراً بالمدرسة الابتدائية فالثانوية فالدراسة الجامعية لكي نعزز ثقافة السلام على مستوى عالمي في كوكب نعتبره الآن حقاً كوكباً للأسرة الإنسانية. ومع ذلك فكم نشن حروباً ضد بعضنا البعض!. وشكراً.

المقرر: أود أن نسمع الذين لم يتحدثوا منكم حتى الآن : الرشد ورودز و ايستفولد بالترتيب الذي ذكرته لوسمحتم.

الرشد: أظن أن هناك نقطة مهمة لم يُشر إليها حتى الآن وأظن أن هذا هو الأساس فيما نتطرق إليه من موضوعات وهو استخدام السياسيين للدين كسلاح لهم لخدمة مصالحهم الخاصة، ويعني هناك على الأرض أمثلة لبعض الصراعات التي نشاهدها في زمننا الحاضر على سبيل المثال الصراع العربي الإسرائيلي والصراع الروسي الشيشاني وغيرها من الصراعات، يعني على سبيل المثال لو أتينا بمثال ابن لادن ، أليست أميركا التي أوجدت ابن لادن ؟ أليست هي التي دعمته بالسلاح أيام الحرب الروسية الأفغانية ؟ أليست روسيا هي التي أوجدت القادة الميدانيين في الشيشان ؟ أليست روسيا هي التي دعمتهم بالسلاح ؟ أليست إسرائيل هي التي أخرجت الشيخ أحمد ياسين من السجون ؟ هل هناك من شك أن الموساد الإسرائيلي يعرف أين أحمد ياسين وتعرف ماذا يأكل على الإفطار والعشاء ؟ هناك استراتيجيات للدول العظمى التي تستخدم بعض الأفراد، أفراد وليست جيوش إسلامية أو جيوش مسيحية، أفراد، يستخدمونهم لخدمة مصالحهم الإستراتيجية في العالم. طبعا من السذاجة أن نعتقد بأن الحرب الأمريكية في أفغانستان أو الحرب الأمريكية في العراق هي حرب ضد الإرهاب، هذه حروب استراتيجية للسيطرة على الثروات الباطنية وطبعا نعرف غنى العراق في النفط وغنى أفغانستان في الثروات الباطنية، أليس يجب علينا أن نفكر قليلا أن هؤلاء الأفراد الذين يظنون أنهم يقاتلون باسم الإسلام يُستخدمون من قبل القوى العظمى لخدمة مصالحهم، هذا هوالأساس في اعتقادي، أنه يجب علينا أن نفرق بين

السياسة واستخدام الدين في السياسة وبين المعتقدات الدينية الأساسية التي هي موجودة في الكتب السماوية وألا نمزج بين هذه الأشياء، شكرا جزيلا لكم.

روذز: شكراً.. اسمي هوارد روذز من جامعة برنستون في الولايات المتحدة. أيتها البروفيسورة كنغ يبدو أن هناك قدراً ضئيلاً من الإجماع بين المشاركين على أن تكون نظرية الحرب العادلة من ضمن تلك المواقف الدينية والأفكار والإجراءات المؤسسية التي ستعرض لتؤدي إلى العنف والصراع والحرب، حسب نوع التحليل الظواهري الذي تفضلينه.

ومن إحدى الصيغ التي قدم بها هذا الإدعاء هو أن نظرية الحرب العادلة تتعامى عن السلام لكونها تستثمر في نوع من العنف الهيكلي (أي بالتركيز على الحرب). وطريقة أخرى قدم بها هذا الإدعاء هي أن نظرية الحرب العادلة حرب تمثل صيغة من المعرفة تستثمر ضمنياً في نوع محدد من المشروع السياسي (وبشكل خاص مشروع يضطهد مجتمعات أقلية معينة).

وليس مفاجئاً أن بعضاً منا، وأنا منهم يجد هذه الادعاءات إما أنها غير مقنعة أو مربكة وأود أن أعرض بضع نقاط لمزيد من التعليق، وإحدى الطرق التي تكون فيها هذه الادعاءات غير مقنعة على المستوى التاريخي هي أنها تبدو غافلة عن الدور التاريخي لنظرية الحرب العادلة في إيجاد القانون الدولي وهو مجموعة من القوانين الموجهة بشكل مثالي نحو ضمان الصالح العام للشعوب. ونقطة أخرى أكثر معيارية هي أن المكانة الهامة لمبدأ النية الحسنة في نظرية الحرب العادلة التقليدية تبرر الحرب فقط طالما أن المجتمع السياسي يفكر بالسلام والعدل بطريقة يمكن تحقيقها. ويبدو أن هذه هي الأمثلة التي تحسب لها نظرية الحرب العادل حساب السلام والصالح العام.

وتتجه أهمية النية الحسنة أيضاً نحو الإجابة على تساؤلات حول نظرية الحرب العادلة عندما تمثل صيغة خاصة من المعرفة بأنواع معينة من اهتمامات القوة، ويتمثل هذا المستوى الأعمق بالدور الذي تلعبه فكرة عدم قصد الشر مباشرة لكي يأتي منه الخير في تطوير نظرية الحرب العادلة.

ويدهشني أن أي نقاش ضد الحرب العادلة في اهتمامات بعض الجماعات السياسية التي يوجه إليها هو ما إذا كان عليه أن يعالج المشكلة بنظرية الحرب العادلة في أن تمنع هذه الجماعات من تبرير الأفعال الشريرة (كالتفجيرات الانتحارية ضد المدنيين) حتى يخرج منها بعض الخير.

المقرر: هل سؤالك موجه إلى الدكتورة كنغ أم البروفيسور جونسون ؟.

روذز: إنه للدكتورة كنغ.

كنغ: أعتقد أن السؤال يجب أن يوجه إلى الدكتور جونسون وليس لي، لدي مشاكل حول نظرية الحرب العادلة، فأنا أجدها نظرية عويصة جداً ولكنها نظرية

أكثر من كونها ممارسة وأشعر أن لها مشاكل عديدة على المستوى العملي وخاصة كما أشرت فيما يتعلق بدور النية الحسنة.

وبالنسبة لي: هي أيضاً المسألة التي يوجه إليها معظم العنف في الحروب، أو أنها تصيب المدنيين بدل المقاتلين وتلك واحدة من المشاكل الكبيرة.. و أعتقد أني أفهم جيداً نظرية الحرب العادلة التقليدية وقد يشير والبروفيسور جونسون إلى أنني لم أفهمها بشكل صحيح، لكنني أفهمها تماماً إلا أنني أراها تطبق على مجموعات المقاتلين بدلاً من المدنيين.

ولهذا فإنها ملغزة وإشكالية جداً بالنسبة لي، وقد كان هناك أيضاً الحوار عما إذا كانت أي حرب يمكن أن تكون عادلة وأن تكون لها دائماً عوامل مؤثرة تذهب إلى أبعد مما تسمح به النظرية، فأنا أعتقد أنك حاولت الإشارة إلى ذلك.

إن ما آسف له حقاً هو الجهد الفكري والطاقات التي استنفذت والتعاطف الفكري الذي صرف في تطوير مبادئ نقية جداً لجدل نظري جداً حول حرب عادلة بينما كنت أفضل أن أرى أن ينقى خيار السلم في شروط أقوى بكثير من خيارات الحرب.. وشكراً.

جونسون: دعوني أقول شيئاً عن كلا القضيتين اللتين طرحتا.. أما بالنسبة لفهم تقليد الحرب العادلة بما يتعلق بالصراع بين المتقاتلين من كلا الطرفين فأنت محقة تماماً في ذلك.

أما ما تخطئين فيه، يا بروفيسورة كنغ، مع كل الاحترام هو أنك لا تميزين بين أنماط استخدام القوة والأسباب وراء ذلك، وفي الرد على ذلك أود أن أقول إن هناك على الأقل فروقاً حقيقية بين استخدام القوة حتى ولو كان بتقنية قليلة مثل القتل الجماعي في رواندا من جهة، واستخدام قوات ذات تقنية قليلة أو تقنية عالية في حالات أخرى.

وأود أن أبين أيضاً بأنه قد حدث تطور مهم بحيث أن الكثيرين من الذين لا ينتبهون جيداً إلى آثار الحرب ذات التقنية العالية فربما يفوتهم حقيقة أنه ولأول مرة في فترة زمنية قليلة أصبح بالإمكان أن تقوم قوة مسلحة مجهزة بأسلحة دقيقة بتوجيهها ضد أهداف معينة بحيث أنها تتجنب عن قصد إيقاع ضرر غير مباشر بغير المقاتلين، وهذا في الحقيقة ليس المكان المناسب للخوض في هذا الموضوع ولكني سأكون سعيداً للتحدث بشأنه مع أي شخص على انفراد عندما ننتهي من هنا. أما بالنسبة لموضوع نظرية التآمر فطالما بدا لي أن نظريات التآمر مفيدة جداً لأولئك الذين يريدون تجنب قضايا المسؤولية الفردية.

وبمتابعة نظرية المؤامرة أظن أن الولايات المتحدة نظمت قضية حرب يوغسلافيا السابقة بكاملها لكي تفرض مستوطنات ديتون (Dayton) وبذلك تجد طريقاً لحماية المسلمين البوسنيين وأعتقد أن الولايات المتحدة نظمت اضطهاد الكوسوفيين الألبان لكي تستطيع قصف الصرب وبذلك تجد طريقاً لتأمين حماية

للكوسوفيين الألبان. ويبدو لي هذا الأمر سخيفاً للغاية. فالولايات المتحدة ليست بتلك القوة. وهي بكل بساطة لا تفعل ذلك النوع من الأعمال، وأن يقال إن أسامة بن لادن أنه الحقيقة دمية في يد أمريكا فهذا أمر خطير لأنني متأكد أنه لا يعتبر نفسه دمية للولايات المتحدة ولا ضباطه المقربون ولا المنظمات في عديد من دول جنوب شرق آسيا ولا جنوب آسيا والشرق الأوسط والتي كلها منظمات مترابطة.

المقرر: والآن بروفيسور إيستفولد وبروفيسور حنفي والدكتورة بوروجيردي وبروفيسور جويرجينزماير بهذا الترتيب لو سمحتم.

ايستفولد: لدي ملاحظتان. الأولى، وأنا أقول هذا بتردد شديد، أنا أعلم أني غير قادر على فهم الموضوع تماماً. يبدو لي أننا في استعجالنا أمس واليوم لمواجهة التعميمات التي تقال غالباً ضد الإسلام فربما نكون قد وقعنا في فخ التعميم حول المسيحية كذلك وخاصة ذلك النوع من المسيحية التي يمثلنا فيها بوش في السراء والضراء.

دعوني أقدم لملاحظتي بقولي إني أنتمي للكنيسة الإنجيلية الأمريكية وأدرس عدة أشياء منها الإنجيليين الأمريكيين, لقد صَوّتُّ لبوش عام 2000م وهناك احتمال بأن أصوت له في نوفمبر أيضاً عام 2004م ولكنني وعدداً كبيراً من إخواني في المذهب نفعل ذلك لأسباب أؤكد أن أي مسلم خيّر سيعتبرها صالحة لو وضع في اعتباره دوافعنا الأصيلة، وإذا بدا هذا الإدعاء غير معقول فإنني سأفترض أنكم لم تصغوا بما يكفي ولم تفهمونا.

ثانياً: هذا تعليق موجه خصوصاً لمن قال إن الحروب في أفغانستان والعراق كانت استراتيجية أكثر منها أخلاقية أو في الصالح الدولي، فإذا كانت مسألة استراتيجية بسيطة ومصلحة دولية مجردة فلماذا ننفر حلفاءنا من الجهتين على أطراف المحيطين ؟.

وبالنسبة لنا فليس لتلك الحروب معنى استراتيجي طويل الأمد إلا إذا اعتقدنا بأن الكثير كان معرضاً للخطر، وأن طبيعة النظام الدولي تبرر إجراءات معينة هي على المدى البعيد ضارة بمصالحنا التي تفسر بشكل ضيق بأنها مصالح لحلفائنا.

حنفي: نعم. أنا لدي سؤال منهجي بسيط جداً للمشاركين الثلاثة في المناقشة بخصوص العلاقة بين النظرية والواقع.

هل باستطاعتنا التعامل مع الواقع الذي له منطقه الخاص المبني على التناقضات وصراعات القوة وصراعات المصالح، هل نتعامل معه بشكل نظري وبحوار نظري بخصوص الحرب العادلة ؟. لقد جعلت النظريات عموماً لتبرر لا لتعارض قضايا السلام والحرب، كتمويه للحقيقة. ولكن ما يهم هو فعلاً القوانين المتناقضة المبنية على صراع المصالح. كل النظريات عن الجوع لن تمنع الموت عن ولد جائع، أما قطعة خبز فتستطيع أن تفعل ذلك. ومرة ثانية هل نحن سنقوم

فعلاً بنوع من الإنقاذ الفكري للعلماء دون الدخول في تحليل عميق للمصالح المتناقضة المتعلقة بالواقع ؟.

وإن ملاحظتي الأخيرة موجهة للبروفيسور كوهارا. ما هو شعوره بخصوص جزيرة سخالين والجزر الشمالية ؟ كيف يستطيع أن يتعامل مع هذه المشاكل بالنظريات اليابانية والمسيحية عن السلام ؟.

سؤال: ما هو القصد من السؤال عن سخالين ؟ أي مشكلة متعلقة بسخالين ؟.

حنفي: القصد هو أنني أريد أن أعرف مدى فعالية التحليل النظري للحرب العادلة بخصوص الواقع السياسي والاجتماعي والنفساني للمواطنين وللشعوب.

كوهارا: دعني أقدم لك خلفية تاريخية مختصرة. لقد وجدت في اليابان حركة لاستعادة جزيرة سخالين أو بالأحرى المناطق الشمالية منذ فترة طويلة نسبياً. هذه الحركة تبناها بشكل رئيسي أناس ذوو ميول قومية ووطنية كما هي ممثلة في الأحزاب السياسية المحافظة التي يقودها الحزب الديمقراطي الليبرالي.. أما الجماعات الدينية اليابانية والقادة المسيحيون والبوذيون لم ينخرطوا أبداً بشكل فعال في هذه الحركة كجزء من برامجهم، إن قضية المناطق الشمالية في اليابان هي قضية سياسية جداً وخصوصاً للأحزاب السياسية المحافظة وهي لم تكن أبداً قضية دينية.

البروجردي: بسم الله الرحمن الرحيم، أولا الشكر لإتاحة الفرصة لي، هذه الفرصة القليلة، قرّرنا أن نتحدث حول الواقع في عالمنا اليوم، أؤكد على أن الشعوب ليست لها دور في إنشاء الحروب وإقامة الحروب ولكن في إدانة الحروب طبعا الشعوب لها دور كبير، أنا زرت العراق قبل حوالي شهرين وكنت أتحدث مع الأهالي فإنهم يقولون كل اعتقادهم بأننا سنقتل الأمريكيين والمهاجمين علينا، فمع العلم أنهم كانوا تحت سيطرة الدكتاتورية في العراق، ولكن يحسون أن الدكتوتارية أفضل من السلطة الخارجية، هذه من خصائص الشعوب المسلمة أنها لن تقبل السيطرة وللنجاة من هذه الأزمة تضحي نفسها وتعتقد أن الله تبارك وتعالى سوف يجازيهم في الآخرة بالجنة، وهذه هي الفكرة التي تسوق الشعوب المسلمة اتجاه عمليات استشهادية وإنها تضحي نفسها لتصل إلى حياة أفضل ولتنجى الآخرين، فأعتقد في هذه الجلسة أننا يجب أن نصل إلى مفهوم مشترك حول الحرب العادلة أو الجهاد المقدس أو الإرهاب أوما ناقشناه في اليومين، فأطلب من رئيس الجلسة وجميع الأخوة والأخوات أن نصل إلى مفاهيم مشتركة حول هذه التعابير لكي نطرح هذه المسائل للآخرين وسوف يستفاد منها في المستقبل إنشاء الله.

جويرجينزماير: لقد استمتعت كثيراً بهذه المناقشة وقد تعلمت منها الكثير، وإن عواطف البيانات تساعد فعلاً في فهم تعددية وجهات النظر والقضايا.

إن الحرب العادلة شيء شيق لأننا نتحدث عن التبرير الأخلاقي لاستعمال القوة. ورغم أنني أتفق معك، بروفيسورة كينغ، في الكثير مما تقولينه فإن غاندي في محاولته فهم الحالات الاستثنائية للاعنف والحالات التي يمكن استخدام القوة فيها من أجل تحقيق إمكانية اللاعنف وظروف عمل اللاعنف في بعض الحالات أعتقد أنه كان يعالج نظرية الحرب العادلة، لقد كان يتعامل مع بعض الخصائص الأساسية التي كنا نتحدث عنها.

بالأمس عندما تحدثت عن الحرب الكونية، هذه الرؤية الكبيرة للحرب، التي ليست حرباً عادلة أي أنه ليس لها مبررات أخلاقية بل هي من الولع بالحرب.. وفي أساسها ليست حرباً معقولة ومن الملفت للنظر كما أظن أن شهوة الحرب تأتي غالباً في البداية وبعد ذلك نلف وندور محاولين تبرير أسبابنا للذهاب إلى الحرب.. ويبدو لي أن هذا فعلاً مثال تفشل فيه مبادئ الحرب العادلة، بدءاً من أهم مبدأين للحرب العادلة وأولهما السلطة الشرعية أي السلطة التي تضفي الشرعية على العمل.

والآن في حالة تهديد شديد لشعب من الشعوب، وهذا ما جعل مناقشة أسلحة الدمار الشامل أمراً مهماً جداً للشعب الأمريكي، فإن المرء يستطيع أن يرى لماذا يجد شعب من الشعوب سلطته الخاصة عاملاً مشروعاً كافياً في حرب عادلة.

ولكن في حالات حقوق الإنسان والقضايا الكبرى للحريات المدنية الدولية يبدو لي أنه ليس أبداً حقاً لأمة واحدة أن يقوم بتلك المحاكمة بسبب غموض المصلحة الذاتية في أن كل شعب له رؤيته للنظام االقومي. على المرء أن يبحث إذاً عن الشرعية الدولية إما في محكمة دولية رغم أن الولايات المتحدة مع الأسف لم تؤيد فكرة محكمة دولية، أو في الأمم المتحدة التي ستكون عامل شرعنة مناسب نقصده عند أي تصرف في صالح حقوق الإنسان أو أي معاملة متوحشة لأحد الديكتاتوريين.

وربما كان أكثر الديكتاتوريين وحشية على الأرض اليوم هو تركمانباشي (Turkmenbashi) في دولة تركمانستان وهو الذي غير أسماء أيام الأسبوع لتناسب عائلته الخاصة، هذا الشخص يحكم بنوع من القسوة التي كان صدام حسين ليرغب في التمتع بها. ولكن لم يكن هناك أي ضغط دولي، ولا من الولايات المتحدة بالطبع، من أجل غزو تركمانستان.

لذلك فهناك أولاً قضية ما هي سلطة الشرعية الدولية ثم هناك قضية التناسب.. فهل كان الأمر يستحق ذلك في حالة العراق ؟ هذا بالطبع أمر للنقاش لكن آلاف الأرواح التي فقدت، الـ 3700 مدني بريء في العراق و الضرر الذي أصاب مكانة وسمعة أمريكا في أنحاء العالم، أعتقد، وعلى الأقل حسب تقديراتي، أن ذلك لم يصل إلى ما يبرر تسميتها بحرب عادلة.

جونسون: يكاد الوقت ينتهي لذلك دعوني أتكلم باختصار شديد. أولاً إلى البروفيسور حنفي: من الناحية التاريخية جاء تقليد الحرب العادلة كمزج للنظرية بالممارسة وهو مزيج قوي جداً للنظرية والتطبيق، لقد تكونت من مواد من القانوني الشرعي ومن اللاهوت، ومن استعادة القانون الروماني في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولكنها أيضاً من تجربة الحياة العسكرية وخبرة إدارة شؤون الدولة.. ونظرية الحرب العادلة التي نشأت عن ذلك والإجماع الناتج حولها لم يكن بالتالي نظرية جردت من الواقع بل مركباً عكس كثيراً واقعية الحياة والحاجة إلى قوة عسكرية في سياق زمني معين، وفي العصر الحديث تحطم كل هذا نتيجة للتمييز حتى أن الحداثة جلبت عزلاً للعنصر الديني الخاص، وعنصر القانون الدولي، والعنصر العسكري، وهلم جرا، وكان هناك جهد كبير في السنوات الأربعين الأخيرة لاستعادة كل ذلك وتجميعه ومن بين شركائي في الحوار خصوصاً يوجد أشخاص في الجيوش الأمريكية والأوربية، وأشخاص مهنتهم عمل القانون الدولي، وأناس مرتبطون بالعملية الكاملة لصياغة السياسة وفن إدارة الدولة، لذلك أعتقد أنكم مخطئون عندما تذكرون بطريقة أو بأخرى أن هذه نظرية بعيدة عن الواقع، وهي في حقيقة الأمر مرتبطة جداً جداً بالواقع.

ورداً على تعليقات أدلى بها السيد مارك جويرجينزماير أقول: إنني آسف لسماع ذلك منك، هذه هي المناقشة القديمة" لماذا ليس التيبت ؟"، إن المرء ليس مجبراً على فعل كل ما ينبغي فعله. ويهتم تقليد الحرب العادلة ضمناً بالسعي للنجاح ويحرص أن تكون متناسبة، كما تقول ناهيك عن التحفظات الأخرى، لذلك فالقول بأن استخداماً واحداً لقوة عسكرية هو موضوع مساءلة لأن استخدامات أخرى للقوة العسكرية لم تتخذ والتي قد تكون مبررة بشكل مساو فهذه ببساطة طريقة خاطئة في النظر إلى الموضوع.

المقرر: أقترح بأن يؤجل هذا الموضوع للجلسة التالية لأنه يبدو أنه من الممكن مناقشته هناك.. والآن ختاماً يتفضل البروفيسور توسكيموتو.

توسكيموتو: اسمي أكيو توسكيموتو . وأنا أدرس دورة في الكتاب المقدس العبري في جامعة خاصة في طوكيو. ولقد تعلمت الكثير من محاضرات المتحدثين ومن التعليقات الأخرى والمناقشات في هذا اليوم.

النقطة المشتركة لكل الآراء التي طرحت اليوم هي أن العنف أو الحرب ليس خيراً. وحتى المناقشة حول نظرية الحرب العادلة، ومسألة ما إذا كانت توجد حرب عادلة أم لا فكل ذلك يبدو أنه يعطي فكرة بسيطة وهي أن الحرب شر. وإن أهمية ثقافة السلام التي ذكرها د. كنغ تفترض أيضاً الفكرة نفسها. وإن العنف الهيكلي الذي ذكره البروفيسور كوهارا مبني على فرضية أن العنف سيء.. إذاً لماذا العنف سيئ ولماذا الحرب سيئة ؟ كيف نوضح ذلك ؟ هذا هو الشيء الذي لم يناقش كثيراً هذا اليوم.

وأعتقد بكل بساطة أن السبب الأساسي يجب أن يكون القيمة الغالية لأرواح الأفراد وكرامتهم، من هنا كان علينا أن نسأل أنفسنا عن المكان الذي تحتله كرامة الأفراد وقيمة الحياة ضمن كل دين من الأديان، وكيف تتصرف الأديان في هذا الخصوص، ليس فقط بالمصطلحات اللاهوتية ولكن في الاصطلاح اليومي لكي تلامس قلوب البشر.. أعتقد أن هذه قضايا أساسية على الأديان أن تجيب عنها في القرن الواحد والعشرين.

المقرر: لقد انتهى وقتنا وعلينا أن ننهي الجلسة الثالثة الآن.

ختاماً أدعوكم لنعبر عن شكرنا لمحدثينا الثلاثة مرة ثانية بالتصفيق.

الجلسة الرابعة(2004/2/21)

نحوسلام مابعد الحادي عشر من سبتمبر

الإسلام خطر أم وعد؟!

حسن حنفي
جامعة القاهرة

1- لمن يشكل خطراً ووعداً؟

1- سؤال سئل لتوه: "هل الإسلام تهديد أم تحدٍ؟" وسئل نفس السؤال مرة ثانية بشكل آخر وربما بنية أو هدف مختلف، الإسلام خطر أم وعد؟ ولمن؟ الخطر وحده ذو جانب واحد، وهو حكم وافتراض مسبقان، وخطر أم وعد هو بديل وهو تفكير حر بدون انحياز إلى أي منهما.

2- إن مفهوم الخطر ضروري في الفلسفة الوجودية عند كيركيغارد (Kierkegaard) وجاسبرس(Jaspers) وهيدجر(Heidegger) وغابرئيل مارسيل (Gabriel Marcel).. الخ. ولكن استخدامه هنا في "الخطر والأزمة المعقدة والمستقبل الاجتماعي" هو من النوع الذي يتبع الظروف، ويرتبط بالحادي عشر من سبتمبر 2001م وبالإسلام بشكل أساسي حيث كان خاطفو عرباً مسلمين، بينما لم يقوموا بتفجير أوكلاهوما للبناء الفيدرالي، وسفك الدماء في ايرلندا الشمالية، وفي حركة الباسك، وسري لانكا، وكلوكس كلين، والجرائم المنظمة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقتل المسلمين الأتراك في ألمانيا، والقتل الجماعي للمسلمين من البوسنة والهرسك وكوسوفو، وألبانيا والشيشان، والقتل في كشمير، وأفغانستان وأخيراً في العراق... إلخ كل هذا لم يكن صادراً عن المسلمين ولكن ضدهم وكأنهم كانوا دائماً الجزارين وليسوا الضحايا.

3- من الأفضل فهم الجذور لا إدانة النتائج واستئصال تلك الجذور، لا ذوق مرارة الثمار، إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر تشكل النتائج لتلك الجذور، فالمرئي هو تعبير عن اللامرئي، والعنف الثانوي هو عبارة عن رد فعل للعنف الأساسي، وباستخدام لغة أمريكا اللاتينية ((العنف التحريري)) هو مواجهة متوازنة للعنف الاضطهادي، في المصطلحات المعاصرة، والعنف الرمزي عبارة عن اندفاع بركاني خارجي يعبر عن الغليان الداخلي الحقيقي في أعماق القلب المحبط.

4- ويتذكر الكل في أطراف العالم الأربع تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م. ولا أحد يذكر 28 سبتمبر عام 2000م وبداية الانتفاضة في فلسطين التي أهملت مدة ثلاث سنوات، فلقد قتل خلالها الأطفال الأبرياء والنساء وكبار السن،

وهدمت المنازل، ودمرت الأراضي الخضراء، وصفيت المقاومة جسدياً، وأغلقت المدن، وانتهكت حقوق الأفراد والشعوب، وتعجز الحكومات العربية والإسلامية عن الدعم وتقف في وضع حرج بين الضغط الأميركي- الصهيوني الخارجي والضغط الشعبي الداخلي، والأحزاب السياسية ضعيفة لكونها قوى مستقبلية بديلة يسيطر عليها منطق القوة، وحكم على الجماهير الرازحة تحت سيطرة الدولة باللامبالاة، ولذلك وجب على شخص ما أن يصيح ويصرخ بأعلى صوته حتى ولو كان بالتفجير كإشارة ليكسر جدار الصمت القاتل.

5- أن نستوعب ليس مثل أن نبرر، وأن نكون شجعاناً ليس بأن نتغاضى، وأن نحلل ليس أن نذعن، لقد هوجمت رموز القوة والزعامة الحديثة ومنظمة التجارة العالمية رمز العولمة، ووزارة الدفاع الأميركية (Pentagon) رمز القوة العسكرية، والبيت الأبيض رمز المحافظين الجدد، رمز المسيحية الصهيونية ورمز الغطرسة ألا وهي القوة بلا عدالة، وينتقد كل المفكرين التقدميين والعلماء رموز القوة هذه بأقلامهم في الصحف العلمية ومن قبل ناشرين محترمين، ولكن لا يبرع الجميع في فن الكتابة وليسوا مثقفين بشكل كافٍ ليقبلوا الاختلافات وينخرطوا في حوار حضاري ومثمر.

6- إن ربط الخطر بالأزمات المعقدة والمستقبل الاجتماعي هو وضع الخطورة في السياق، ولا بد أن تكون متعددة، فلا وجود لخطر واحد بل أخطار متعددة فالأزمات المعقدة هي أساساً جماعية بسبب وجود العديد من الأزمات في المجتمعات والثقافات المختلفة التي تسأل السؤال التالي: **خطر على من؟** فهي ليست بأزمات بسيطة يسهل حلها بل معقدة، ولابد من مسؤوليات مشتركة لا تجعل الواحد بريئاً والآخر مجرماً.

ويعطي ربط الخطر بالمستقبل الاجتماعي ملاحظة متفائلة للمستقبل بعد وضع الخطر ضمن الظروف الحالية، ويمكن للخطر أن يكون وعداً عندما يخضع السياق السياسي الاجتماعي للتغيير في المستقبل، ولا شيء في السياق الإنساني دائم إلى الأبد. فكل شيء يخضع للتغيير. فعندما تتغير، الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تصغر المخاطر من كل الجهات وتنحدر إلى الوجود الإنساني الهش.

2- المخاطر والوعود للذات:

1- الخطر ليس دوماً سلبياً، فبالنسبة للوجودي يشكل، الخطر في الحياة الإنسانية بعداً ليس أقل من الحاجة للأمن، فالحياة بلا خطر موت، والخطر دافع للإبداع ولاكتشاف وسائل الأمن، وهو إشارة وجرس إنذار في الحاضر لمستقبل أفضل مليء بالأمل.

والخطر أيضاً ليس فقط للذات ولحماية الذات وللحفاظ على الأمن ولكن أيضاً للآخر في عالم معتمد على بعضه فالذات والآخر متبادلان، فكل واحد يعتبر ذاتاً للآخر، وإذا أخذنا بعين الاعتبار المقاومة الشائعة بين الإسلام والغرب ويمكننا القول إن الغرب هو

الذات والإسلام هو الآخر، وكذلك بأن الإسلام ذات والغرب هو الآخر. ولذلك السبب يعتبر الخطر خطراً مزدوجاً بالنسبة للذات كما بالنسبة للآخر.

2- إذا كانت الذات تمثل العالم الإسلامي والعربي، فالإسلام يمثل خطراً حقيقياً للأنظمة السياسية الحالية الظالمة في الداخل، والمعتمدة على الولايات المتحدة الأمريكية والحليفة لها، والمؤيدة لنظام تحرري وبديل ديمقراطي سياسي، وشعار "الإسلام هو البديل" هو شعار حقيقي يعبر عن معارضة اجتماعية قوية لدى التباين الضخم الفعلي بين الأغنياء والفقراء، و"الإسلام هو الحل" هو عبارة عن صرخة أخرى ترمز إلى خيبة أمل عميقة لعدم حل المشاكل الاجتماعية مثل: البطالة وازدحام النقل والبيروقرطية والتعليم والإسكان.. إلخ. إن "تطبيق القانون الإسلامي" هو صرخة ثالثة ضد الفساد وانتهاك قوانين الدولة وتغيير القوانين تبعاً لمصالح فئة ما والقوانين الجائرة.. إلخ. في هذه الحالة يشكل الإسلام خطراً للنظام السياسي ولكنه وعد للناس.

3- ربما يمثل الإسلام خطراً للحياة اليومية لعامة الناس وللمفكرين كذلك باعتبار أن الاتجاهات الرئيسة الغالبة الصادرة عن الوعاء التاريخي هي محافظة وتظهر في التمسك بالحرفية والتشدد والشكلية والطقوسية والانفرادية والتعصب الأعمى، ويعتبر الدين غاية بمفرده وليس وسيلة لغيره، فهو يهدف إلى كمال الإنسان وتكامل المجتمع. وتوجد الحقيقة بمفردها وليس كقدرة في العالم بل كعمل أخلاقي وأداء ممتاز، وربما يحرّم العديد من المكتسبات الحديثة مثل الفن التشكيلي والرقص والموسيقا والأغاني والتلفاز والتعليم المختلط وطرق اللباس وكل ما ظهر آنفاً في الممارسات الداخلية عند طالبان.

4- وربما يمثل الإسلام خطراً ليس على السياسات الداخلية للدول المعتمدة على غيرها فحسب بل على سياستها الأجنبية أيضاً: مثل الاعتراف بإسرائيل قبل الحصول على الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني حول تقرير المصير وتأسيس الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس والاعتماد على الولايات المتحدة الأميركية وسياسة الباب المفتوح والتوقيع على اتفاقية التجارة العالمية GATT والالتزام بقوانين السوق المفروضة على الدول ذات الصناعة الأقل باسم العولمة وإسقاط الحماية الجمركية عن البضائع الأجنبية وإطاعة البنك العالمي ومبادئ صندوق النقد الدولي (IMF) للإصلاحات الاقتصادية المتضمنة تذبذب العملة القومية ورفع الإعانات المالية عن المواد الغذائية.

5- وربما يمثل الإسلام خطراً على تضييق القومية التي تعتبر المصالح القومية فوق المصالح العربية والإسلامية، فبعد اتفاقيات كامب ديفيد عام 1978م ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام 1979م كان الشعار "مصر أولاً". وكان استرداد سيناء غير مرتبط بالانسحاب من باقي الأراضي المحتلة، كان استرداد سيناء منفصلاً عن

الانسحاب من باقي الأراضي المحتلة، وبعد معاهدة وادي عربة للسلام بين الأردن وإسرائيل تكرر نفس الشعار الضيق "الأردن تأتي أولاً"، وبعد أن هُمِّشَ الغزو العراقي للكويت عام 1990م باسم القومية قصيرة النظر، وبعد الغزو الأميركي للعراق وعجز العالم العربي والمؤسسات والمعاهد والدول عن حماية دولة من شقيقاتهم تلطخت العروبة بشكل كبير، وأعطت المقاومة العربية والإسلامية في فلسطين والعراق وأفغانستان وكشمير الأمل بأن الإسلام يمكن أن يكون العقيدة الوحيدة الحقيقية الأكثر فعالية في المقاومة.

6- ربما يمثل الإسلام خطراً على عقائد الحداثة العلمانية بعد أن جُرِّبَ في مناطق مختلفة بنجاح جزئي في البداية وفشل كامل تقريباً في النهاية، حكمت الليبرالية مصر قبل ثورة 1952م وأحرز نجاحًا جزئيًا على مستوى حرية الصحافة ونظام تعدد الأحزاب ومحاسبة الحكومة والتعليم العالي والصراع القومي الذي تبلور في ثورة 1919م.. إلخ وكان الفشل في احتلال قناة السويس وتواجد القوات البريطانية في الدلتا الشرقية وفي المملكة وتدخل القصر في السياسات القومية والإقطاع ودرجة عالية من الأخذ بالمظاهر الغربية لدى الطبقة العالية والنخبة الحاكمة والتهرب الضريبي... إلخ. وقاد الضباط الأحرار القومية العربية في سورية منذ 1949م، وفي مصر بعد 1952م وفي العراق بعد 1958م، وفي اليمن بعد 1964م، وفي ليبيا بعد 1969م. وكان النجاح الجزئي على صعيد إجلاء القوات الأجنبية والتصنيع والإصلاح الزراعي والتعليم المجاني والقطاع العام والمعونات الغذائية والسكن الرخيص..إلخ.

وكان الفشل في: نكسة يونيه 1967م. والتحول 180 درجة إلى الرأسمالية، وإلى القطاع الخاص والتعليم المأجور والاستيراد والاعتماد على الولايات المتحدة الأميركية والاعتراف بإسرائيل والفساد وإبعاد الجماهير عن السياسة، والانعزالية... إلخ. حكمت الماركسية وحدها في اليمن الجنوبي وبالتحالف في سورية والعراق. وكانت النجاحات ضئيلة تكاد لاترى. وكان الفشل واضحاً في: الصراع العسكري في اليمن الجنوبي بين الصدعين الماركسيين وعدم الكفاءة في سورية والعراق مع دعم كامل لأنظمة البعث في كلا البلدين، ولم يبق سوى الإسلام المحافظ في شبه الجزيرة العربية والسودان مجرد قارب وحيد للنجاة.

3- المخاطر والوعود للآخر:

إذا كان الآخر هو الغرب فقد يمثل الإسلام عندها خطراً إذا كان مرتبطاً بالإرهاب والعنف، وهذا ما هو مهتم به منذ الحادي عشر من سبتمبر 2001م وبخاصة في وسائل الإعلام العالمية والرأي العام الغربي، حتى إنه يرتبط ببنية الإسلام كدين وكتاب مقدس، وليس بالظروف، وفي الحقيقة إن رابطة كهذه ترجع الكل إلى الجزء.

وإن كان الإسلام فرضاً وراء الحادي عشر من سبتمبر فهو نفسه وراء الثقافة

الرائعة في إسبانيا حيث شارك المسلمون واليهود والمسيحيون المثل والقيم نفسها. لقد كان العصر الذهبي لليهودية، وكان الإسلام ذاته وراء الرياضيات الإسلامية والعلوم الفيزيائية والإنسانية، والتي ترجمت في الغرب وأصبحت واحدة من مصادر النهضة الغربية الحديثة، إن العنف عرضي على نحو صرف، وفق الظروف والأوضاع، وهو خاضع للشعور بالإحباط والظلم الذي يرزح العالم الإسلامي تحته، فعندما تتغير الظروف يختفي العنف، وفي الإسلام لا إكراه في الدين، ومن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن يعين أحداً على الحياة فكأنما أعان الناس جميعاً.

2 – ولا تمثل هجرة المسلمين إلى الغرب أي خطر للتجانس الغربي، في اللحظة التي يصبح المسلمون مندمجين في الغرب وغير معزولين في أحياء إسلامية خاصة وفي اللحظة التي لا يتخلى الغرب فيها عن تعدديته بل يكون فخوراً بها، والهجرة لأوربا من الشاطئ الجنوبي إلى الشمالي أمر طبيعي تبعاً للتقسيم الدولي للعمل. والهجرة إلى أوربا شائعة جداً من إفريقيا ومن آسيا بسبب الاستعمار الأوربي، وكانت الهجرة الأوربية المصدر الرئيسي للسكان في جنوب وشمال أميركا، وفي استراليا. وأما السكان الأصليون فإما أبيدوا بشكل كامل أو وضعوا في المحميات، وكان المثل الأعلى للمجتمع الأميركي الوعاء المنصهر الذي لم يتوصل إليه أبداً بسبب التوتر الفعلي الذي مازال موجوداً بين السود والبيض.

3– إن توسع الإسلام في الغرب لا يمثل أي خطر فيما يتعلق بالهوية الثقافية. فالغرب عبارة عن ثقافة تعددية، فهو يشمل اليهودية والمسيحية، والإسلام على أي حال جزء من التقاليد اليهودية المسيحية، فالأديان التوحيدية الثلاثة تتفرع من دين إبراهيم، وازدهرت الثقافات الثلاث حول نفس حوض البحر الأبيض المتوسط، وتوسعت المسيحية من الشرق إلى الغرب، وتوسعت الثقافة الرومانية – اليونانية من الشمال إلى الجنوب، وبعد ذلك ازدهر الإسلام من الجنوب إلى الشمال، وفي العصور الحديثة تحولت الثقافة الأوربية من الغرب إلى الشرق، وثقافة البحر الأبيض المتوسط عبارة عن قالب واحد حيث يشكل الإسلام والمسيحية واليهودية فيه عناصره الرئيسية.

4– ربما يكون الإسلام وعداً للغرب طالما أنه يمثل تحدياً فعلياً لا تهديداً وخياراً لا بديلاً، وأن العالم الإسلامي مؤهل لأن يشكل قطباً آخر في هذا العالم ذي القطب الواحد ليكون لدينا عالماً متعدد الأقطاب وأكثر توازناً، فلقد أصيبت أميركا اللاتينية بالفقر والمخدرات والجرائم المنظمة، ولم تعد روح جيفارا موجودة فيه. وأصيبت إفريقيا بالقحط والتصحر والفقر والديون الغربية والحروب الأهلية ومرض نقص المناعة المكتسبة، والمنطقة الوحيدة التي ما زالت تتحرك وتتساءل وتقاوم وتعصي نظام السيطرة الدولية هو العالم الإسلامي، وما زالت الثقافة الإسلامية على قيد الحياة. حتى أنها استعادت نشاطها. وإذا أضيفت العقلانية على الصحوة الإسلامية كان الإسلام وعداً أكثر مما هو خطر. وتعطي التجارب الديمقراطية في المغرب وتركيا وإيران

رابطة أمل في الممارسة بين الإسلام والديمقراطية، ويقطن بلاد النمور الآسيوية مسلمون قطنوا بخبرات جديدة في الإسلام وبناء الأمة، والإسلام مصدر حركات التحرر القومي في منتصف القرن العشرين، وجوهر المقاومة القومية في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وأفريقيا الجنوبية وشرق أوربا مما يدعو للفخر.

5- إن التفاهم المتبادل للحظتين التاريخيتين الذات والآخر يقلل من الخطورة ويزيد الوعد، ولا يعيش كلاهما للحظتين نفس اللحظة التاريخية، فالغرب يعيش في نهاية عصره الحديث بعد خمسمائة عام، ويمكنه دفع ثمن ما بعد الحداثة ونزع البناء والكتابة في نقطة الصفر بينما لا تزال الذات تكافح للوصول إلى عصورها الحديثة في لحظة بين مارتن لوثر وجيوردانو برون (Martin Luther and Giordano Bruno) تتحول من الإصلاح إلى النهضة، ولا تزال تكافح لإنهاء عصر التفتيش والفترة المدرسية، إنها تدافع عن العقل والعلم والتقدم والإنسان والحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ومثل عصر التنوير التي خلفها الآخر وراءه بل أسقطها، ويجب أن يدرك أي حكم وأي حوار وأي تقويم للخطر والوعد هذه الفوضوية في المسالك التاريخية للذات والآخر.

6- ويشكل كل من الذات والآخر أخطاراً ووعوداً لبعضهما، أما في حالة المشاركة المتساوية فسوف تقل الأخطار وتزداد بالوعود، فقد لعب كل واحد منهما دور المعلم والتلميذ مرتين، فلقد لعب الغرب دور المعلم خلال المرحلة اليونانية الرومانية عندما ترجم المسلمون الإرث اليوناني ونقلوه من الشمال إلى الجنوب معتبرين أنفسهم تلاميذ أرسطو المعلم الأول والفارابي الثاني وبطليموس الأول والخازن الثاني، وأما المرة الثانية فكانت خلال العصور الحديثة عندما بدأت الترجمة مرة ثانية من الغرب وخاصة من فرنسا واليونان الحديثة إلى العربية لجعل التنوير إرثاً مشتركاً، ولعب الإسلام أيضاً دور المعلم مرتين، الأولى كانت عندما بدأت الترجمة مباشرة من العربية إلى اللاتينية أو بشكل غير مباشر عن طريق العبرية في طليطلة لمدة مائتي سنة في آخر عصر الفلسفة المسيحية، وكانت لاتينية ابن رشد واحدة من مصادر العلوم الحديثة والفلسفة في الغرب، وربما تكون الثانية الآن عندما يعطي الإسلام نموذجاً جديداً من الإنسانية المبنية على العدالة وليس القوة، وعلى معيار كوني وليس على المعايير المزدوجة، وعلى الرفق بالإنسان لا على العنصرية، وبدلاً من العويل على: انحدار الغرب لـــ (Spengler)، وأزمات الصمود الأوربي ل (P. Hazard)،والحضارة الغربية قيدالمحاكمة لـــ (B. Russel)، وجعل كل شيء مقلوباً رأساً على عقب لـــ (M. Scheler)، والآلة التي تخلق الآلهة لـــ (Bergson). يمكن للغرب أن يحصل على أمل جديد ليحل أزماته الأخلاقية وليملأ فراغه الروحي، عندها يكون بمقدور الإسلام أن يكون دماً جديداً ينقل إلى الغرب في محنته وحزنه.

وفي الختام لا يوجد هناك خطر من دون وعد، ولا أزمات معقدة من غير حلول بسيطة، ولا مستقل اجتماعي من دون تغييرات حاضرة، والعالم المستوي خير من عالم غير متوازن، وفي الحقيقة فإن كفتي الميزان غير متوازنتين، وتحتاج واحدة منهما إلى العدالة والاعتراف.

– النهاية –

المرئي و اللامرئي في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني

إلان بابي (Ilan Pappe)
جامعة حيفا

هذه المقالة هي في الجوهر رؤية استرجاعية لتاريخ صنع السلام في فلسطين وإسرائيل بهدف الوصول إلى فهم أفضل لما سيأتي لاحقاً،الحجة الأساسية هي أنه لأسباب مختلفة خلال السنوات الماضية كان الإدراك الإسرائيلي للحل يوجِّه عملية صنع السلام، بينما كانت قراءة الفلسطينيين للوضع مهملة ومرفوضة، النتيجة حتى الآن عملية سلام قائمة على ما يجب أن يقدم هنا على أنه مرئي وظاهر للصراع: احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة في عام 1967م والرغبة في الوصول إلى تفاهم على مصير تلك المساحات، بينما يتم تجاهل ما كان بالنسبة للفلسطينيين وهو قلب المشكلة ألا وهي حرب 1948م وقضية اللاجئين، هذه الرؤية الأخيرة تعاملت مع ماض أبعد وطبقات أقل رؤية في الصراع: المسؤولية والشعور بالذنب و العدالة.

الطريق إلى الأمام من وجهة نظري وأمام الفشل الذريع لكل جهود السلام حتى الآن هي أن يتم الدفع باتجاه عملية مصالحة تركز على مفاهيم مجردة مثل: العدالة والإنصاف والشعور بالذنب والتي لن تكون محصورة بالتفاهم حول الحدود وماهية النظام أو أي مظاهر مادية للتسوية السياسية، وفي الحقيقة إني أرى أن ما يمكن تحقيقه في المواضيع المادية مثل الأرض والحدود هو بلا جدوى إن لم يتحقق تقدم ملحوظ على الصعيد الأخلاقي والقانوني.

إن نقطة الانطلاق والتي تبدأ من: "الإنصاف والعدالة" ليست إلا لبنات في الحل المستقبلي لا تقل أهمية عن الجيوش والأراضي، هذه ليست محاولة لعرض تفكير أخلاقي فقط إنما هي نتيجة معالجة عملية لوضع مفاهيم الحل المستقبلي. يكسب هذا المفهوم المزيد من الدعم على الأرض نظراً لأن الحل المبني على وجود الدولتين في فلسطين يفقد واقعيته، وأيضاً مصداقيته، إن الشاغل الأساسي في البدائل المختلفة المقترحة هو التركيز على المواضيع الأخلاقية بقدر المسألة المادية المتعلقة بنسب للأراضي والسلطة عليها والأمن. وأظن بأنها ستتفوق على تلك المفاهيم العملية للحل.

الخلفية التاريخية:

إن القوة والمعرفة متلازمتان ومن ثم غالباً ما نسمع في الغرب وبصوت عالٍ مفهوم العدالة التي يفرضها المحتل و الرابح و المنتصر، وهنا في حالتنا هو الجانب الإسرائيلي بينما نسمع القليل عن الجانب الآخر، عن وجهة نظر الفلسطينيين. ولهذا السبب سيطر في الماضي مفهوم الأمم المتحدة البريطاني والأمريكي والإسرائيلي للعدالة على البحث عن السلام وكان مبنياً بشكل رئيسي على البعد المتعلق بالصراع على الأرض، بينما أهمل بالكلية مسألة الذنب والتعويض والعدالة.هذا الإدراك للإنصاف مرتبط بشكل وثيق بمسألة الوطن في مجال الحيازة والتسوية والسيطرة المستقبلية، وفي الجزء الثاني من هذه المقالة سأبرهن على أنه بمجرد إدخال المفهوم الفلسطيني للإنسان بموقع مهيمن يمكن بناء مفهوم الوطن والذي سيؤدي إلى تهدئة الصراع.

وكانت بداية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي موضوع المصالحة والتهدئة ومحاولات السلام منذ بداياته في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت المحاولات الأولى المهمة قد قدمت من قبل الإمبراطورية البريطانية خلال فترة الانتداب.في تلك الفترة المبكرة كان هناك مرحلتان واضحتان: الأولى حتى الثلاثينيات من القرن الماضي حيث تمنى عدد من البريطانيين المفاوضين أن يبنوا وطناً مشتركاً تحت الجناح البريطاني يمثل بالتساوي الجالية اليهودية الصغيرة والجالية العظمى الفلسطينية على أرض فلسطين. المرحلة الثانية والتي بدأت في منتصف الثلاثينات في القرن العشرين وكانت تعتمد على مبدأ التقسيم: تقسيم الأراضي بين المجتمعين وبناء بنيتين سياسيتين منفصلتين.في المرحلة الأولى يمكن التحدث عن فرصة ضائعة في عام 1928م حيث وافقت القيادة الفلسطينية على مناقشة مبنية على فيدرالية مشتركة بعد سنوات من رفض أي اتفاق، ولكن القيادة الصهيونية التي أيدت حتى تلك اللحظة هذا النموذج عارضته بعد أن علمت بموافقة الفلسطينيين عليه. وهكذا كان أسلوبها في التصرف والذي تكرر في عام 1947م. كانت الحلول التي تتحدى جوهر الصهيونية بالذات، تقبل من المجتمع اليهودي فقط عندما كان يبدو واضحاً بأنها سترفض قطعياً من قبل الجانب الفلسطيني.

وقد تضمن البناء السياسي عام 1928م والقائم على القسمة المشتركة بالتساوي قيوداً على هجرة اليهود وكان أساساً لدولة ثنائية القومية. وقد نسي هذا تماماً عندما عرضت الأمم المتحدة – بدافع من المخططات الصهيونية و البريطانية – عوضاً عنها خطة تقسيم فلسطين في عام 1947م. وترك هذا التقسيم عدداً متساوياً من اليهود والفلسطينيين ضمن الدولة اليهودية المستقبلية.لذلك يمكن القول بطريقة ما بأن قرار تقسيم عام 1947م قدم رؤية مجزئة للوطن المقسم لدولة ذات جنسيتين إلى جانب دولة بجنسية واحدة.

وكما في عام 1928م عرض أيضاً في عام 1947م على القادة الصهاينة

نموذج ثنائي القومية،و قد رفضوه و تركهم البريطانيين وشأنهم، وفي عام 1947م نجحوا في خلق الانطباع بأنهم وعلى عكس الجانب العربي يفضلون مثل هذه الدولة ثنائية القومية بجانب دولة عربية بحتة، كما نص عليه قرار التقسيم. وبما أن رفض العرب والفلسطينيين استمر فإن خدعتهم لم تكشف أبداً.

وكان أحد العلماء الإسرائيليين مصراً على قناعته بأن دعم الصهاينة للتقسيم في عام 1947م كان نابعاً من المعرفة الأكيدة بالموقف العام للعرب الرافض وخاصة موقف الفلسطينيين، إنه استنتاج حاذق للأحداث التاريخية ولكن المرء لا يستطيع إثباته بالوثائق، ولكن من الواضح جداً بأن دولة ثنائية الجنسية فلسطينية يهودية – كما عرض قرار التقسيم في الأمم المتحدة رقم 181- كانت ستهزم معظم الطموحات الصهيونية الأساسية وأن القيادة اليهودية في ذلك اليوم كانت ستلجأ إلى أي وسيلة ممكنة – من هدم وتهجير- لجعل الدولة يهودية صافية بقدر الإمكان.

ومن الجدير بالذكر بأنه قبل عدة أيام من تبني الأمم المتحدة لقرار التقسيم فإن القيادة الصهيونية ناقشت المسألة وقررت بالإجماع بأن الفلسطينيين إذا بقوا في الدولة اليهودية المستقبلية فسيمنحون المواطنة الكاملة، وبعد ثلاثة أشهر قامت القيادة العسكرية في الجالية اليهودية بوضع خطة ما يسمى اليوم بالتطهير العرقي في المناطق التي ستقام فيها الدولة اليهودية المستقبلية.

لذلك فإن الحل العادل حتى عام 1948م كان بقيام دولة ثنائية القومية إما فوق فلسطين كلها أو فوق جزء منها بينما الجزء الآخر والمتبقي فهو للسكان الأصليين.

ورفض هذا الحل العادل في ذلك الوقت من الفلسطينيين الذين نظروا إلى الصهاينة كما نظر الجزائريون إلى الفرنسيين الذين ولدوا في الجزائر، والذين لم يرغبوا بمقاسمتهم الأرض، كذلك رفض كلياً من الحركة الصهيونية التي كان قادتها يرغبون في إزالة التعريب عن أي جزء من فلسطين يخصص لهم، أو يمكن أن يحتلوه، وهكذا حسب الذاكرة الجماعية للعالم فإن الحل العادل كان مقبولاً لإسرائيل ومرفوضاً من قبل العرب، تلك الذاكرة التي شكلت الانطباع في الغرب، أن الفلسطينيين أشرار والإسرائيليين أبطال.

وفي الحقيقة فإن مفاهيم المستقبل للوطن من المنظار الإسرائيلي والفلسطيني كانت مرتبطة بما يقدمه المجتمع الدولي من أفكار إلى مفاوضات السلام.وهذه بدورها تتأثر بشكل كبير بإدراك الخطأ والصواب وبتقويم سلوك الماضي.

وما جعل الأمم المتحدة عمياء في ذلك الوقت كان قرارها الغريب في

اعتماد الحل الذي تبناه غالبية أعضـــائها دون أن يبحثـــوا عـــن موافقـــة الفئـــات المتحاربة على الأرض، إن الوطن المستقبلي لكلا القـــادمين والمقيمـــين ســـتحدده القوى الخارجية وتساوم عليه ولم يكن هذا أبداً وصفة ناجحة عبر التاريخ.

وسن التقسيم في أكتوبر 1947م من قبل (UNSCOP) ولم يعرف أعضـــاء تلك اللجنة فلسطين بتاتاً، وخلال فترة وجيزة تبنوا خطة مقدمة من قبل منظمـــة (Royal Peel)في عام 1937م والتي تم قبولها في القيادة الصهيونية، ومن حيث الجوهر كان التقسيم يعني تجزئة الأرض إلى دولتين مع المحافظة علـــى وحـــدة اقتصادية بينهما ومراقبتهما من الخارج، وبقي هذا الأساس لجهود السلام منذ ذلك الحين، ولكن أدرك الداعون لقرار التقسيم في الحال بأن المواضيع فـــي فلســـطين ليست كلها قابلة للقسمة أو التفاوض على أسس منطقية. لقد عرض التقســـيم،ربما بعكس ما كان يهدف إليه، تدويل القدس. إن مواقف كلا الجانبين نحو المدينـــة لـــم تتولد نتيجة لسلسلة من القرارات المتحدة ولكن على طبقات من الضمير والـــوعي والتي رغم أنها لم تكن مفهومة بشكل كامل من قبل الوسطاء تبين لهم بأن الحـــل لهذه القضية لا يمكن أن يبنى على تقسيم ما هو مرئي ولكن على احترام إمكانيـــة التقسيم للطبقات غير المرئية من الصراع.

كان أول وسيط في تاريخ الصراع في فترة ما بعد الانتداب الكونـــت فـــوك برنادوت (Folk Bernadotte) الذي حاول الغوص في تلك الطبقات العميقة وفي الصراع الفلسطيني بعد الانتداب.وبعد اشتعال حرب 1948م بعدة أيام، وفـــي 20 يونيه 1948م تم تسميته كوسيط للأمم المتحدة، فقدم اقتراحين لإنهـــاء الصـــراع بتقسيم الأرض إلى دولتين.والفرق بينهما كان بأن العرض الثاني الذي اقترحه هو إلحاق فلسطين العربية بالأردن، ولكن في كلا الاقتراحين وضع شرط العودة غير المشروطة للاجئين الفلسطينيين كشرط مسبق للسلام، وكان متناقضاً حول القـــدس حيث تمنى أن تكون عاصمة عربية في اقتراحه الأول بينما فضل أن تكون دوليـــة في اقتراحه الثاني، وعلى أية حال بدا أنه وضع اللاجئين والقـــدس فـــي مركـــز الصراع وأدرك بأن هاتين المعضلتين مشكلتان لا تنفصلان وأنه فقط بحل عـــادل وشامل يمكن تسوية الأمر.

وحتى بعد اغتيال برنادوت من قبل متطرفين يهود في عـــام 1948م ،فـــإن لجنة المصالحة الفلسطينية التي عينت بديلاً عنه تابعت نفـــس السياســـة، وتمنـــى الأعضاء الثلاثة لهذه اللجنة أن يبنى الحل المستقبلي على ثلاثـــة محـــاور: أولاً: تقسيم الأرض إلى دولتين ولكن ليس وفق خارطة قرار التقسيم بل حسب التـــوزع السكاني لليهود والفلسطينيين،ثانياً: تدويل القدس،ثالثاً: العـــودة غيـــر المشـــروطة للاجئين إلى ديارهم. عرض الوسطاء الجدد المحاور الثلاثة كأســـاس للتفـــاوض وبينما قبلت بلدان المواجهة العربية والقيادة الفلسطينية هذا العرض خلال مـــؤتمر

السلام للأمم المتحدة في لوزان في سويسرا في مايو 1948م كما فعلت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قبل ذلك بالقرار 194 في ديسمبر 1948م لكنه دفن من قبل المتشدد بن غوروين وحكومته في صيف تلك السنة. وفي البداية لامت الولايات المتحدة إسرائيل على سياستها ومارست ضغطاً اقتصادياً عليها ولكن نجح اللوبي الصهيوني بعد ذلك في توجيه سياسة الولايات المتحدة في المسارات الموالية لإسرائيل والتي بقيت كذلك حتى هذا اليوم.

وحصل هدوء في جهود السلام في الستينيات والخمسينيات بالرغم من أنه تم إلقاء بعض المخططات مثل برنامج انكلوا أمريكا ألفا وخطة جونستون وغيرها من المبادرات الخفية الأمريكية التي رغبت أن تتبنى حلاً للصراع له طابع الأعمال، وهذا يعني الاعتقاد الكبير في التقسيم وفقاً لمصالح إسرائيل الأمنية ومصالح جيرانها العرب كذلك بينما يضع جانباً الفلسطينيين كشركاء للسلام، وتم إلغاؤهم كشركاء سياسيين في هذا المفهوم الخاص بالأعمال، فهم موجودون فقط كلاجئين ويتم التعامل مع قدرهم ضمن المفهوم الاقتصادي للحرب الأمريكية الباردة ضد الاتحاد السوفييتي، وكان على مشكلتهم أن تحل ضمن خطة مارشال للشرق الأوسط التي وعدت بتقديم مساعدات أمريكية للمنطقة بهدف تحسين مستواها المعيشي كطريقة وحيدة لاحتواء التدخل السوفييتي، لذلك كان على اللاجئين أن يستوطنوا الأراضي العربية و يقدموا العمالة الرخيصة من أجل التنمية (وبذلك يبعدون عن الحدود الإسرائيلية وعن الشعور بالوعي).

ولحسن حظ الفلسطينيين نشأت منظمة التحرير الفلسطينية تلك الحركة التي مكنت اللاجئين عن طريق الأعمال الفدائية وخدمة الصالح العام من إظهار مقاومة كافية شجعت الأنظمة العربية على إبقاء اللاجئين في معسكراتهم المؤقتة رغم قناعتهم بأن ذلك يؤدي لعدم الاستقرار، إن ارتباط المنظمة مع الاتحاد السوفييتي كان عاملاً آخر لدفع الفلسطينيين ضد أي تقارب مستقبلي مع الأمريكان.

أظهرت حرب يونيه 1967م ونتائجها بكل بوضوح الفجوة بين النظرة الأمريكية الإسرائيلية للمشكلة من جهة والمفهوم الفلسطيني للحل العادل من جهة أخرى.وقد أعاقت هذه الفجوة منذ 1967م أي تقدم ملحوظ في جهود السلام، وأحب أن أشير إلى أن الحل الكمي والتجزيئي للصراع يمكن في أحسن الأحوال أن ينتج عنه إعادة الترتيبات العسكرية والاقتصادية التي تعكس توازن القوى وفي أسوأ الأحوال تديم الشرور و المظالم القديمة، وهكذا فإن المحتل الإسرائيلي يستمر في دوره السابق والفلسطيني المحتل يستمر في الحياة تحت نفس الظلم، ولن يستطيع أي خطاب بليغ عن السلام ولا احتفالات الكبار على مروج البيت الأبيض أن تخفي هذه الحقيقة.

احتلت إسرائيل جزءاً كبيراً من فلسطين في عام 1948م بلغ 77% منها

وأكملت احتلالها لفلسطين في 1967م. ومكنت هذه السيطرة الكاملة على الأرض المفاوضين الأمريكيين مثل وليم روجرز وهنري كسينجر والسويديين مثل جونار يارنغ من أن ينتجوا ويسوقوا معادلة قدمت على أنها الحل العادل والنهائي للأرض مقابل السلام، تلك المعادلة التي تبناها حزب العمل الإسرائيلي الذرائعي من كل قلبه، إنها صيغة غريبة إذا وقفت لتتأملها: ففي أحد أطراف المعادلة هناك متحول كمي يمكن قياسه وفي الطرف الآخر حد مطلق لا يمكن تحديده بسهولة أو توضيحه، وكان أقل غرابة كأساس عملي للسلام الثنائي بين إسرائيل وجيرانها العرب حيث أعطى نتائج جيدة لفترة من الزمن في حالة مصر والأردن، ولكن علينا أن نتذكر بأنها أنتجت "سلاما باردا" في حالة هذين البلدين ولم تقدم حلا شاملا للقضية الفلسطينية، وفي الحقيقة ماذا قدمت هذه المعادلة لضحايا حرب عام 1948م في طلبهم للعدالة التي تعتبر الوقود الأساسي الذي يغذي نار الصراع؟

إن العدالة ليست مطلوبة فقط من قبل الفلسطينيين، إنها مطلوبة من قبل العالم العربي بكامله، والعدالة بمفهومها المحلي الإقليمي ليست عبارة مجردة بل بالنسبة للفلسطينيين هي جزء من إعادة تشكيل الشرق الأوسط ما بعد الاستعمار، وحتى لو حاولت الأنظمة العربية نسيانها فإن مجتمعاتها المدنية تذكرها بهذا المفهوم للقضية الفلسطينية، إن السلام مع إسرائيل حتى في حالة المصريين والأردنيين هو مصالحة مع آخر حركة استعمارية باقية على أرض الشرق الأوسط ولو كان قومياً أيضاً، و بالنسبة لأولئك الذين لم يكونوا ضحايا مباشرين للاستعمار يمكن أن تكون المصالحة أسهل بسبب المصلحة الاقتصادية أو بسبب الاعتراف بتوازن القوى مع الدولة اليهودية بينما بالنسبة لضحاياها لعام 1948م وضحايا الحملات المستمرة لتدمير الشعب الفلسطيني فإن المصلحة الاقتصادية وتوازن القوى كان يعزى القلة القليلة غير الملتزمة وليس الكثرة المخلصة للقضية التي لا تبحث فقط عن تصحيح الشرور السابقة ولكن تبحث عن الوقاية من التدمير الحالي والمستقبلي.

وهكذا فإن السلام العادل في أعين الفلسطينيين يمكن أن يبنى فقط على شفاء الجروح الماضية والأهم من ذلك بكثير على الأمن من البؤس في المستقبل، هل يمكن للأرض أن تؤمن هذا؟ أو بتعبير آخر، هل يمكن أن يبنى الحل المستقبلي على مفهوم الأراضي فقط؟

حديث أوسلو عن الإنصاف:

إن مهندسي اتفاق أوسلو ظنوا أنه يمكن أن يكون أعادوا بيع سلعة "الأرض مقابل السلام" وهي مفاهيم فارغة مثل: اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير أو الحكم الذاتي للفلسطينيين بمثابة تدعيم مفهوم الحل العملي، كان الحل هو استمرار

للاحتلال الإسرائيلي من خلال السيطرة العسكرية غير المباشرة، وكان هذا الحل عرضاً مسرحياً للحديث عن السلام.

إنني لا أقلل من قدر التقدم الذي حصل في أوسلو ولكن يجب أن لا ننسى الظروف التي ولد فيها،فهي تنبئك لماذا كان فشلاً ذريعاً، إن التغيرات الكبيرة في التوازن العالمي والمحلي للقوى و جاهزية إسرائيل لاستبدال الأردن الهاشمية بمنظمة التحرير الفلسطينية كشريك للسلام، فتحت الطريق لصيغة أكثر تعقيداً "للأرض مقابل السلام" الأرض وكل شيء آخر ظاهر وكمي يمكن أن يقسم بين الطرفين، وهكذا فإن الأجزاء غير اليهودية من فلسطين ما بعد حرب 1948م أي 23% من الأرض يمكن أن يعاد تقسيمها بين إسرائيل وكيان الحكم الذاتي المستقبلي للفلسطينيين، وضمن هذه 23% من فلسطين فإن المستوطنات اليهودية غير القانونية يمكن أن تقسم إلى 80% تحت السيطرة الإسرائيلية و20% تحت السلطة الفلسطينية، وهلم جرا كذلك معظم مصادر المياه لإسرائيل، ومعظم القدس في أيدي الإسرائيليين، السلام كان يعني دولة فلسطينية بدون دولة مجردة من أي رأي في دفاعها أو سياساتها الاقتصادية أو الخارجية، أما بالنسبة لحق الفلسطينيين بالعودة حسب التفسير الإسرائيلي لأوسلو الذي كان هو الأساس فيجب أن ينسى ويمحى. وتم تقديم هذا المفهوم للعدالة إلى العالم بشكل واسع في صيف عام 2000م في كامب ديفيد. وكانت قمة كامب ديفيد تعني للفلسطينيين المراحل النهائية للانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية وغزة، (حسب قرارات مجلس الأمن رقم 242 و338) وتحضير الأرضية لمفاوضات جديدة حول حل عادل مبني على قرار الأمم المتحدة 194 بشأن عودة اللاجئين وتدويل القدس ودولة فلسطينية ذات سيادة كاملة، حتى أن الولايات المتحدة صوتت لصالح هذا القرار في حينه واستمرت على ذلك.

واعتبر اليسار الإسرائيلي الذي ظل في السلطة منذ عام 1999م قمة كامب ديفيد مرحلة للإملاء على الفلسطينيين مفهومه للعدالة وهو تكبير التقسيم لما هو مرئي [استرداد 90% من الأراضي المحتلة 20% من المستوطنات 50% من القدس] بينما طالب بإنهاء إشارة الفلسطينيين لما هو غير مرئي في الصراع أي لا حق في العودة، لا دولة فلسطينية ذات سيادة ولا حل للأقلية الفلسطينية في إسرائيل، وبعد كامب ديفيد أصبحت العدالة تعني أنه طالما أن الفلسطينيين يرفضون ما تمليه عليهم إسرائيل، فان الاحتلال والتهجير والإبعاد والتفرقة العنصرية سوف تستمر حتى يرضخ الفلسطينيون، واندلعت الانتفاضة الثانية بانتهاك أبيل شارون لقدسية الحرم الشريف أو بدون ذلك الانتهاك في الأراضي المحتلة وفي إسرائيل في ديسمبر2000م وسوف تستمر هناك لوقت طويل.

لم تعد "الأرض مقابل السلام" موضوعة على طاولة السلام منذ اندلاع

الانتفاضة الثانية، إنه تصعيد انتشر في إسرائيل نفسها دافعاً الأقلية الفلسطينية فيها للمطالبة بنزع الصهيونية من الدولة اليهودية مما سمح لأهل الضفة الغربية المطالبة بفلسطنة القدس المسلمة والمسيحية، وكذلك سكان غزة لرفع السلاح ضد الاحتلال المستمر وتوحيد اللاجئين حول العالم في الدعوة لتنفيذ حقهم في العودة.

لقد وضحت الانتفاضة الأخيرة بجلاء أن إنهاء الاحتلال هو شرط مسبق للسلام وليس السلام بذاته، إن معسكر السلام الإسرائيلي – كما أخبر زعماؤه الروحيون – قد أهين، إنه يشعر أن قادته قاموا بتضخيم المعادلة بعرض جزء كبير من الأراضي التي احتلتها إسرائيل في عام 1967م وأصبحوا يطالبون الفلسطينيين الآن أكثر من أي وقت مضى بالاعتراف بالقصة الصهيونية لحرب 1948م بأن إسرائيل ليست مسؤولة عن مشكلة اللاجئين والأقلية الفلسطينية في إسرائيل التي تبلغ الآن 20% من السكان ليست جزءاً من حل الصراع وأن على الفلسطينيين الاعتراف بوجود الحزام من المستوطنات الإسرائيلية حول القدس والمزروعة في قلب المدن الفلسطينية مثل نابلس والخليل.

وهكذا فإن تصور الحل المستقبلي مرتبط بقيم مثل العدالة وهي ليست أقل أهمية من استرجاع الأراضي، إن أبعاد الحل، والتي تأتي بعد الأرض، مرتبطة باعتراف الإسرائيليين بدورهم كمستعمرين ومشرِّدين وظالمين ومحتلين. هذه أصعب مهمة للمجتمع اليهودي في إسرائيل التي تصور نفسها على أنها الضحية. وهذا ما كان يتم بشكل مقصود أو غير مقصود من قبل الأنظمة الوطنية لإسرائيل والتي تنمي الخوف من خلال خطاباتها من إعطاء الفلسطينيين صوراً إيجابية أو صوراً تثير الشفقة، وظهرت هذه المعضلة الخاصة في إسرائيل في مقتبل الخمسينيات من القرن، قام نظام السلطة حينها بقولبة كل ما هو عربي بشكل سلبي، فهو الآخر المكروه الذي يمثل كل شيء، اليهود أبرياء منه، وقد صادف هذا الوضع المتناظر المشاكل عندما شجعت إسرائيل مليون عربي يهودي على الهجرة، وكانت هذه محاولة واضحة لإلغاء العروبة عن هؤلاء العرب المهاجرين وتم تعليمهم بأن يحتقروا لغتهم الأم، ويرفضوا الثقافة العربية وأن يحاولوا أن يعيشوا على الطريقة الأوربية.

وكان الوجه الآخر المكمل للعملة محاولات مستمرة لإنكار التصرفات البربرية ضد الفلسطينيين ونسبة هذه الإساءات الإنسانية إلى الجانب الآخر. وتشاهد هذه المعضلة خاصة بالطريقة التي تعامل بها المؤرخون الإسرائيليون مع الجرائم اليهودية في حرب 1948م أو الإرهاب اليهودي في فترة الانتداب، إن الأعمال الشنيعة والإرهاب هما أسلوبان ينسبهما المستشرقون الإسرائيليون لحركة المقاومة الفلسطينية فقط، لذلك لا يمكن أن تكون جزءاً من تحليل أو وصف لفصول ماضي إسرائيل، إن أحد الطرق للخروج من هذا التناقض هو بتفويض

مجموعة سياسية خاصة، يفضل أن تكون متطرفة، بنفس صفات العدو، ولكن هذا يوضح الاتجاه الرئيسي للتصرف الأخلاقي على المستوى الوطني، ولهذا السبب اعترف الإسرائيليون دوماً بمجزرة دير ياسين التي ارتكبها الجناح اليميني إيرغون ولكنهم حاولوا أن يخفوا العديد من المجازر الأخرى التي قامت بها الهاغانا، وفي ما بعدIDF .وهكذا فإن الحل المنصف يتطلب تعاملاً إسرائيلياً جديداً مع مفهوم الضحية، كما أظهرتُ مؤخراً في مقالة بأن المسلسل التلفزيوني الإسرائيلي [تيكوما] وهو يحتفل باليوبيل الإسرائيلي لعام 1998م كان أول محاولة شعبية لطرح الاحتمال بأن اليهود ليسوا الضحايا الوحيدين في القرن العشرين ولكن هم الجزارون أيضاً، تم هذا بتخصيص مساحة في التلفزيون بجانب القصة الصهيونية تعرض فصولاً من الرواية الفلسطينية للتاريخ. وبالرغم من أنها كانت محاولة حذرة لم تنحرف كثيراً عن الرواية الصهيونية، إلا أنها كانت كافية لصب غضب كافة الأنظمة السياسية على محرري المسلسل ومخرجيه.

وإلى أن يصبح مثل هذا الاعتراف بدورهم كجزارين محطة حيوية وضرورية في تآلف اليهود في إسرائيل، والتي لا تقل عن غرف الرعب التي يدفع إليها طلاب المدارس الثانوية في إسرائيل- والتي يأمل المرء أن بعضاً منهم وبكامل اختياره سيزور مواقع التعذيب في أوربا- هناك فرصة ضئيلة للتقدم في مسائل الحل العادل لبناء وطن مستقبلي لكل من الفلسطينيين واليهود.

إن اعتراف الإسرائيليين بأن الفلسطينيين ضحايا شرورهم مؤلم بشكل عميق لأنه لا يسأل فقط عن الأساطير التي قامت عليها دولة إسرائيل تحت شعار "دولة بدون شعب لشعب بدون دولة" ولكن يطرح كثيراً من الأسئلة الأخلاقية والتي لها مضامين تتعلق بمستقبل الدولة، وهذا الخوف من الجانب الإسرائيلي هو الأقوى بين شيئين مكروهين وأكثر تدميراً في إمكانية المجتمع اليهودي أن يفتح صفحة جديدة في علاقته مع الفلسطينيين، إن الخوف من أن يصبح الجانب الآخر ضحية للصراع لا يمكن أن يكون شديداً جداً لو فسر على أنه نتيجة طبيعية للصراع الطويل الدامي، ومن هذا المنظور فإن كلا الجانبين ضحايا للظروف أو لأي مفهوم غير واضح يبرئ الناس وبالأخص السياسيين من تحمل المسؤولية، ولكن ما يطلبه الفلسطينيون أصبح شرطاً لا بد منه للعديد منهم وهو أن على إسرائيل أن تعترف بهم كضحايا لشرورها، إن الخوف متأصل الجذور في الطريقة التي اختارها الإسرائيليون في الحديث عن قصة عام 1948م والأهم هو ردة فعل الإسرائيليين حيال الطريقة التي تتحدث فيها الرواية الفلسطينية عن قصة ذلك العام، عام النكبة.

وظل المثقفون في إسرائيل والمؤرخون والروائيون و منتجو الثقافة بشكل عام جميعهم متورطون في حملة الإنكار والكتمان، وأخفيت فظائع عام 1948م

عن العيون العامة و الأجيال القادمة من قبل الأشخاص الذين ارتكبوها. وفقط في نهاية عام 2000م أطلق أحد الصحفيين الشجعان في صحيفة هآرتز صيحة في الخلاء في مقالة بعنوان: "كيف استطعتم أن تكذبوا علينا كل هذه السنوات؟" قليلون يسألون هذا السؤال الآن وأقل منهم الراغبون في الإجابة عنه.

إن المؤرخين والمثقفين بشكل خاص هم الأشرار الرئيسيون في هذه القضية، فقد قاموا جميعهم بطريقة أو بأخرى بالمساعدة على تأليف وحفظ رواية قومية تحذف الذاكرة الفلسطينية الجماعية، هذا الحذف ليس أقل عنفاً من التشريد والتدمير، إنه العنصر الأساسي في بناء الهوية اليهودية الجماعية في دولة إسرائيل، وهذا ما يظهر في الحكايات التي تروى من قبل مربي الأطفال في يوم الاستقلال وعيد الفصح اليهودي، وفي مناهج الدراسة والكتب المقررة في المدارس الابتدائية والعليا، وفي احتفالات المبتدئين والمتخرجين من الضباط في الجيش، وفي المنشورات التي يتم نشرها في الصحافة المطبوعة و الإلكترونية إضافة إلى خطابات وكلمات السياسيين، وفي الطريقة التي يقدم فيها الفنانون والروائيون والشعراء في اسهاماتهم في مجال القصة القومية وفي الأبحاث المقدمة من قبل الأكاديميين في الجامعات حول الحقيقة الإسرائيلية في الماضي والحاضر.

وازداد هذا العنف الرمزي والسيطرة على الفكر منذ أكتوبر عام 2000م وأصبح واضحاً الآن خاصة في النظام التعليمي والإعلام وأكثر وضوحاً في الأكاديمية الإسرائيلية وهي حالة تتطلب علماء غير ملتزمين هنا وفي أمكنة أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية أن يعيدوا التفكير بما يمكنهم أن يفعلوا في علاقتهم بالمنهاج الذي يدعم الظلم والاحتلال والتمييز.

هذه السيطرة الذاتية تحذر حتى صانعي السلام في إسرائيل من فتح صندوق باندورا بوكى[1] لعام 1948م ومن موضوع الضحية برمته، وهذا ما يمكن رؤيته في الموقف الخاص الذي تبنته حركة "السلام الآن" في إسرائيل،فبالنسبة لأعضائها يترجم السلام والمصالحة بالحاجة إلى الاعتراف المتبادل بين كلا الروايتين القوميتين بطريقة تمنع التصادم، وذلك بجعل كل شيء مرئي قابلاً للقسمة من أرض وموارد ولوم وتاريخ إلى ما قبل 1967م حيث كنا نحن اليهود محقين وعادلين، وبعد 1967م عندما أصبحتم أنتم الفلسطينيون محقين وعادلين.

ومن هذا المنظور في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني يمكن أن ينقسم إلحاق الضرر إلى تلك الفترتين التاريخيتين، إن نفس المفهوم الأخلاقي لمعسكر السلام الإسرائيلي ينطبق على الفترة المبكرة،أو الفصل الأبعد في تاريخ الصراع حيث كان اليهود هم الضحايا، وهو فترة ما قبل 1967م والفصل الحديث أي بعد عام

[1] صندوق باندورا هو صندوق جميعة العطايا (أعطي لها وأمرت بأن لاتفتحه ولكنها فتحته وعصت فأطلقت منه جميع الشرور على الكون ولم تترك فيه إلاالأمل).

1967م حيث كان الفلسطينيون هم الضحايا، إن تقسيم الحقب هام جداً لأن الفترة المبكرة تعتبر الأكثر حسماً، وبذلك كانت صادقة في مرحلة تشكل الصراع وتبرر وجود الصهيونية وجميع المشروع اليهودي في فلسطين لأنها كانت تطرح الشك في حكمة وأخلاقية التصرفات الفلسطينية في تلك الحقبة. وهي تمحو أي نقاش حول التطهير العرقي الذي نفذ من قبل اليهود في عام 1948م كتدمير 400 قرية فلسطينية وإبعاد 700 ألف فلسطيني وذبح عدة آلاف منهم، من هذا المنظور فإن إسرائيل انحرفت عن الطريق الأخلاقي العادل بعد أن قامت باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ولكن سوء التصرف هذا لم يلق أي شك حول جوهرها وتبريراتها.

ولكن السلام والاعتراف المتبادل يستلزم إيجاد جسور فوق ما هو غير مرئي، ثم الطبقات التي لا يمكن تقسيمها من التاريخ، مثل الذنب أو الظلم، ولا يمكن تقسيم اللوم حتى ولو أن السلام والمصالحة كانت تعني احترام رواية الآخر. إن الرواية الفلسطينية مبنية على المعاناة المعتمدة على التاريخ المروي، واستمرار النفي والإبعاد، وقصص اكتشفت من جديد، وحين تقرأ الماضي من خلال المعاناة المعاصرة، ترى في تلك الرواية أن الصهيونية أو إسرائيل هي الشر المطلق والوغد الكبير والسفاح الأكبر، كيف يمكن لهذه الصورة أن تقسم في رؤية السلام على أنه مصلحة عمل والذي ينادي به الأمريكان وصانعو السلام في إسرائيل؟

بالطبع لا يمكن هذا عندما يناقش السلام ضمن هذا الإطار إذ يجب على المرء البحث عن طرق تتصالح فيها مجتمعات الآلام عبر العالم مع سفاحيها، إن رواية الآلام هي عبارة عن منشأ تأويلي يصف شراً جماعياً في الماضي، ويستخدم للحاجات السياسية في مجتمع محدد في الحاضر من أجل تحسين وضعه في المستقبل، هذه هي الأداة المستخدمة من قبل ضحايا المحرقة من اليهود، ومن سكان أمريكا الأصليين والأفارقة الأمريكيين والمسلمين في البوسنة والغالبية من الأفارقة في جنوب أفريقيا.

من أجل تجنب رؤية مصغرة لروايات الآلام سأضيف بأنه في حالة الفلسطينيين خاصة إضافة إلى المجتمعات الأخرى التي تعيش تحت تأثيرات حالة ما بعد الفعلة الأصلية التي أدت إلى تلك الرواية، هذا المفهوم له قيمة شفائية للمجتمعات نفسها، على كل حال فإن الطريقة التي تمت في التلاعب بهذه القصة من قبل الإنتاج الثقافي والممثلين السياسيين للوصول إلى مآرب سياسية هي موضوع آخر.

تتكرر هذه الرواية بمساعدة الأنظمة الثقافية والإعلامية، إنها بيئة تحتية تذكارية من المتاحف والطقوس، وقد تم المحافظة عليها باستخدام الخطابات والأحاديث المناسبة بحيث يمكنها أن تخدم مجتمعاً في حالة صراع لكنها أكثر

صعوبة كوسيلة للمصالحة، في حالة الفلسطينيين وهذه تأخذ شكلها بتكثيف التقويم بأيام ذات معنى يجب أن يحتفل بها: مثل وعد بلفور، وإعلان الاستقلال، ونهاية الانتداب، وقرار التقسيم، ويوم تأسيس حركة فتح، إنها حقاً أقل فائدة من المتاحف الجماعية لأن الفلسطينيين ينقصهم بنية تحتية كهذه في غياب الأرض التي يمكن أن يؤسسوا فوقها بعض الطقوس التذكارية. وكمثال فإن المقبرة الجماعية لمذابح صبرا وشاتيلا تستخدم كمكان لإلقاء الأوساخ خلال التسعة عشر عاماً الماضية. ويتم تنظيفها في سبتمبر من كل عام ولكن يأتيها الناشطون من خارج المعسكر لبعث بعض الأحداث التذكارية، قبل أن تندمج في النفايات مرة أخرى.وفي واحد من مجتمعات الناشطين الفلسطينيين من منظمة التحرير المقيمين في تونس بين 1953م و1993م يوجد في غرفة الجلوس في المنازل زاوية تحتوي متحفاً يمثل روايات وخطابات الهوية القومية.

وبينما يعيش الفلسطينيون ذكريات النكبة ينكرها الإسرائيليون بسبب الخوف، ويلعب هذا الخوف الإسرائيلي دوراً حاسماً في العنف اليومي الذي يمارس في الصراع الإسرائيلي ضد الرواية الفلسطينية،وضد الذاكرة وضد فرضية الضحية. إن التضحية بالآخر ونفي حقه في أن يكون في مركز الضحية هي إجراءات متداخلة لنفس العنف، وينكر الذين طردوا الفلسطينيين عام 1948م التطهير العرقي الذي ألحقوه بهم، ولذلك يرافق التصريح الذاتي- بكون المرء ضحية – خوف فقدان اليهودي مركزه بأنه كان أكبر ضحية في التاريخ، فكيف يتنازل عن ذلك للآخر الذي أصبح ضحية لإسرائيل والصهيونية؟وكيف يمكننا التعامل مع هذا الخوف هو موضوع يجب أن يواجه إذا كانت الفرضية في هذه المقالة مقبولة، وأنه بدون هذه المواجهة فإن هناك أملاً ضعيفاً في تعايش من نوع آخر أو في بناء حقائق ما بعد الصراع، دعوني أقترح باختصار طريقتين ممكنتين ومختلفتين لتناول هذا السؤال المعقد حول المصالحة.

احتمالات ما بعد الصراع:

الأول والأكثر صعوبة قانوني. فإن مجرد اعتبار أن فكرة قضية عام 1948م تمت إلى عالم القانون والعدالة فهذا شيء محرم على معظم اليهود في إسرائيل، لهذا تستدعي الحاجة هنا ضغوطا خارجية.

وإذا أمكن رفع تصرفات إسرائيل في عام 1948م إلى عتبة المحاكم الدولية فيمكن أن يعطي هذا رسالة حتى إلى معسكر السلام في إسرائيل بأن المصالحة تحتاج إلى الاعتراف بجرائم الحرب والفظائع الجماعية، ولا يمكن لهذا أن يخرج من الداخل لأن أي إشارة في الصحافة الإسرائيلية إلى التشريد ، والمذابح و الدمار في 1948م غالبا ما ستستنكر وتعزى إلى الكره الذاتي وأنها تخدم العدو في زمن الحرب، ويشمل رد الفعل هذا المثقفين و الأكاديميين والإعلام والنظام التربوي

إضافة إلى الدوائر السياسية، ويظهر مدى قوة العائق في البنية الحالية للسلطة. ويكشف مدى عمق الخوف من أن يتورط عناصر من المجتمع الإسرائيلي في أفعال لقي أمثالها الإدانة من العالم بأسره، بما فيهم أعضاء مرموقون في المجتمع اليهودي الإسرائيلي.

إن محاكم كهذه، حتى ولو أدرجت كأحداث عامة يمكن أن تعلمنا مقدماً حول آلية التسوية المستقبلية، فمثلا كيف يمكن للمرء أن يضع كما للمعاناة؟ وقد قدم أفضل الطرق للوصول إلى هذا التكميم للمعاناة من قبل الإسرائيليين والألمان في اتفاقيتهم التحضيرية، ضمنت الاتفاقية معاشات تقاعدية تم حسابها وفق التضخم خلال السنوات، وتقدير العقارات ومواد أخرى من الخسائر الفردية، وتم الاتفاق على مجموعة أخرى من الاتفاقيات ترجمت إلى نقود، على شكل منح لدولة إسرائيل لقاء الخسارة الجماعية، وبدأ سلمان أبوسيتا بمثل هذا التفكير في بعض مؤلفاته معطياً إيانا فكرة عن القيمة الحقيقية للممتلكات التي ضاعت في النكبة.

هناك معالجة أكثر ليونة وذلك بتقديم مثال للعدالة غير جزائي، في كتابه ويتحدث هاورد زير (Howard Zher) في" تغيير العدسات" بقوة ضد النظام القضائي المعتمد على المعاقبة. ويطرح سؤالاً ذا صلة وثيقة بنقاشنا حول السبل التي يستطيع بها اليهود والإسرائيليون أن يتغلبوا على الخوف من مواجهة الماضي. فيسأل هل يجب على العدالة أن تركز على الذنب أم يجب أن تركز على تحديد الحاجات والواجبات؟ وبكلمات أخرى هل يمكن أن تعمل كمنظم للحياة حين تكون ممزقة؟ ولا يمكن أن توظف العدالة في إيقاع الألم على السفاحين،ناهيك عن أبنائهم، بل أن توقف استمرار المعاناة.

وتم تقديم هذا الحكم الغير جزائي بواسطة لجنة تقصي الحقائق التابعة للأسقف ديزموند توتو (Desmond Tutu) في جنوب أفريقيا. وتكمن سلطة لجنة تقصي الحقائق في كراهيتها لتطبيق عقوبات شديدة وكذلك في إصرارها على مناقشة العلاقات المستقبلية بين المجتمعات المختلفة في جنوب أفريقيا. وهي تصر على أن لا يتحول الضحايا أنفسهم إلى سفاحين .

وهناك معالجة قانونية أخرى عرضتها العالمة النفسية الأمريكية جوان فوميا (Joan Fumia) والتي تركز عملها على تحويل المواقف في حالات الصراع. إنها تقيم عملها على العلاقات التي تتطور بين المعتدين والضحايا في النظام القضائي الأمريكي المعتمدة على إجراءات حديثة تم تقديمها مؤخراً والتي تعرض الوساطة بين الضحية والمعتدي، وتتضمن هذه الطريقة مقابلة وجهاً لوجه بين المعتدي والضحية، إن الجزء الأهم في هذا الإجراء هو استعداد المعتدي قبول مسؤوليته عن الجريمة، وهكذا فإن أهمية هذا الفعل بذاته ليس في صلب العملية بل بنتائجها، والسعي في هذه الطريقة هو وراء العدالة المرمِّمة والتي تتحدد بسؤال

حول ما يمكن للمعتدي أن يفعله لتخفيف خسائر ومعاناة الضحية، وهذا ليس بديلاً عن الإجراءات القضائية أو في حالة الفلسطينيين لا يمكن أن يكـون بـديلاً عـن التعويض الحقيقي وعن العودة إلى الوطن ولكنه متمم لأي حل نهـائي. ويـدَّعي فوميا بأن هذا النموذج تم تطبيقه بنجاح في جنوب أفريقيا.

إن مسؤولية إسرائيل عن النكبة لو أريد مناقشتها والتي هي فـي المرحلـة الحالية غير واردة كجزء من المحاولة للوصول لحل دائم للصراع، يبدو أنها لـن تصل إلى المحكمة الدولية كما كان الوضع في قضايا رواندا ويوغوسلافيا السابقة. أو على الأقل هذا ما يمكن للمرء أن يقوّمه من خلال الطريقة التـي تـدرك بهـا الحكومات الأوربية والأمريكية للنكبة. وقد قبل هؤلاء الممثلون السياسيون حتـى الآن مفهوم معسكر السلام الإسرائيلي للسلام كما تم شرحه أعلاه، على كل حـال لدى التجمعات المدنية في أمريكا وأوربا إضافة إلى الحكومات في إفريقيا وآسـيا رؤية مختلفة حوله، ويمكن للموقف أن يتبدل (والتحرك لمحاكمة أرئيل شارون في محكمة بلجيكية هو مثال على ذلك). ولكن طالما بقي توازن القوى هذا كما هـو فمن المشكوك فيه إمكانية تشكيل لجنة تقصي الحقائق على طريقة جنوب إفريقيـا. ولكن طلبات الضحايا الفلسطينيين عام 1948 ستبقى مهيمنة على جـدول أعمـال السلام مع استمرار هذا الإجراء أو بدونه.

ستستمر الصيحة في مواجهة المعتدين، ويجب أن يؤخـذ خـوف المعتـدي بالحسبان لكي تتحرك تسوية الصراع من تقسيم ما هو مرئي إلى استعادة ما هـو غير مرئي.

والمعالجة الثانية تربوية وتتطلب الاعتراف الجدلي بين الجمـاعتين بأنهمـا كلتاهما تعرضتا للمعاناة، وللوصول إلى هذا يجب أن يتم التغلـب علـى العمليـة الطبيعية بنفي وجود الآخر. كما أن تدمير الذاكرة الجماعية للآخر من خلال بنـاء ذاكرة المرء الخاصة هو عنصر أساسي في تشكيل الهويات القومية. ويلعب العنف مباشرة أو رمزياً دوراً أساسياً في الطريقة التي تنتج فيها الذاكرة الجماعية ويعـاد إنتاجها وتنشر ضمن علاقات تاريخية محددة وقوية ومصـالح واحتمـالات فـي المفاهيم والقيود، وفي حالة فلسطين وإسرائيل فإن السيطرة على الذاكرة الجماعية هي جزء من العنف الداخلي والخارجي والعنف المضاد ويحاول كل من الأطراف المتنافسة الحفاظ على وجودها، وهكذا فإن الطريقة التي يبني فيها طرفا النـزاع الهوية الجماعية هي عملية جدلية تعتمد قوتها على نفي وجود الآخر بالكلية، حيث يرى كل جانب نفسه ضمن هذا المنطق على أنه الضحية الوحيدة بينما ينفي تماماً التضحية بالآخر، ويهدف العنف المستعمل للتغلب على مراكـز علاقـات القـوة والحركية إلى إضفاء فاعلية أكثر لرواية المرء ومصالحه وقيمه ورموزه وأهدافـه ومعاييره بينما يهمش في نفس الوقت ما هو للآخر ويحذفه أو يدمره، والغالب هو

عدم التكافؤ وليس للحوار أي موطئ قدم، ويصبح التركيب الذاتي الجماعي الرافض لشرعية الآخر والمضحي بالآخر والرافض للاعتراف بمعاناة الآخر جزءاً لا يتجزأ، إن التصريح الذاتي كضحية ورفض الاعتراف بالشر الذي وقع على الآخر والإصرار على كون المرء الضحية الوحيدة ينصهر في الممارسات التي تدل على الموقف من الآخر، وفي حالة التعايش الإسرائيلي الفلسطيني فإن المعركة حول السيطرة على ذاكرة التضحية بالآخر هي موضوع حياة أو موت، ومعاناة و موت كواقع أو كذاكرة وهي مواضيع قضايا فلسفية وسياسية ووجودية.

إن التغلب على هذه العملية الجدلية القوية فيما يتعلق بإسرائيل وفلسطين لن يكون سهلاً بسبب وجهة النظر التي أعبر عنها في هذه المقالة وهي تباين اللوم والظلم والتضحية بين الطرفين، والطريقة لحلها هي في التعامل مع تاريخ الصراع على أنه سلسلة من التضحية، إن العنف الذي أدى إلى يقظة اليهود القومية وبحثهم عن وطن في فلسطين لا يبرر الشر الماضي أو الحاضر الذي ألحقته الحركة أو دولة إسرائيل لاحقاً على الفلسطينيين، وبينما لا يمكن اعتبار الصهيونية كحالة تاريخية من الاستعمار البحت، إلا أنه يمكن تعريفها كحركة استعمارية وبالتالي فإن العنف الفلسطيني والعنف المضاد لا يمكن أن يحكم عليه بنفس الطريقة التي يقوّم فيها العنف الصهيوني ضد فلسطين، وبهذا المعنى فإنه لم يتم إلحاق الظلم بالإسرائيليين من قبل الفلسطينيين كما لم يتم إلحاق الظلم بالمستعمرين الفرنسيين من قبل الجزائريين بالرغم من وجود العنف حتماً، ولكن كان هناك ظلم من قبل الأوربيين موجه ضد اليهود والذي يمكن اعتباره الحلقة الأولى في سلسلة التضحية.

وفي إعادة تشكيل الذاكرة الجماعية الذي بدأ طريقه في جنوب إفريقيا لم يقلل الأفارقة من أهمية المصائب التي دفعت المستوطنين البيض للقدوم إلى جنوب أفريقيا، ولدى إعادة تقديم جرائم الاضطهاد العنصري إلى الذاكرة الجماعية فإن الحوار هنا يخلق مجالاً للأذى الذي أدى بالبيض لترك أوربة بحثاً عن وطن آخر وبالمقابل لا يمكن لأحد أن يساوي بين الظلم ومقاومة الفلسطينيين وبين ترحيل اليهود والتطهير العرقي.

وتكمن مطالب الفلسطينيين في مكان آخر ضمن هذا العرض، إن الحاجة لتجنب التقزيم أو حذف دور معسكرات التعذيب من هوية اليهود القومية وذاكرتهم الجماعية من جهة ونهاية استخدام النكبة كأداة تعيق فرص حوار السلام.

إن الطلب الموجه إلى كلا الطرفين هو عدم جعل ذاكرة المصيبتين وسيلة، ولن يكون مثل هذا الطلب مقبولاً ما لم تكن البنية السياسية للحل المستقبلي قومية أو ثنائية القومية، ويمكن للمرء فقط ضمن هذه التشكيلة السياسية أن يأمل بإعادة بناء للماضي غير عرقية ومتعددة الأصوات حتى تؤدي بدورها إلى مواقف أكثر

عاكسية وإنسانية تجاه معاناة كلا الطرفين.

ونقطة البداية هي في التغلب على القومية والعرقية، وبدون ذلك لن يكون هناك حوار فلسطيني إسرائيلي على المستويات التاريخية والأخلاقية والفلسفية. فالنظريات الحاسمة والتفصيل الحديث للتركيب التاريخي للموضوع والمعرفة والهوية والذاكرة إضافة للدراسات التجريبية يجب أن تحث على إعادة البناء والتشكيل للروايات الفلسطينية والإسرائيلية، ليس العدو هنا هو التفسير المُسَيطرْ عليه بل هو الموقف المطالب به بشكل حصري من قبل طرف أو آخر وإنكار رواية الآخر، إن طلب الحصرية عند التعذيب (هولوكوست) هو موضوع ذو تأثير كبير، وإن الاعتراف بعالمية ذاكرة معسكرات التعذيب وسحب ملكيتها من يد الصهيونية، لا تمنع من كونها فريدة في تاريخ البشرية، ويظهر هذا التفرد أيضاً في النكبة ومعاناة الفلسطينيين، ويحتوي مثل هذا الموقف إمكانيات سياسية جديدة تهيمن عليها حالياً أحادية البعد لدى الجانبين.

لكن الذين يمشون في هذا الطريق سيواجهون صعوبات جمة لدى تبني حل إنساني حاسم أو عالمي لا ينفي الإنسانية وسيجدون أنفسهم مبعدين عن المستويات العقلية والثقافية والعاطفية المقبولة في تاريخ مجتمعاتهم ويمكن أن يدفع بهم إلى النفي الأبدي، وعلى مثل هذه المحطات الهامشية هل يمكن أن يعتبر هؤلاء الناس فلسطينيين أو إسرائيليين؟ وما هذا إلا أحد الأسئلة التي يجب الإجابة عليها ضمن الحوار المستقبلي.

في الحقيقة كيف لليهود الإسرائيليين أن يتحدَّوا صهينة ذاكرة معسكرات التعذيب (هولوكوست) وكيف يمكن للفلسطينيين أن يتحدوا علناً الاستخدام القومي للنكبة في صدام مباشر مع المفهوم الفلسطيني السائد لذاكرة النكبة.

في التسعينات ظهرت إشارات من كلا الجانبين تدعو للأمل في بداية حوار كهذا. وتحدى المؤرخون الجدد في إسرائيل الأسطورة التي تأسست عليها دولة إسرائيل بينما بدأ النقد الذاتي في الجانب الفلسطيني ضد تصغير ذاكرة معسكرات التعذيب (هولوكوست) ومضاعفاتها العالمية، وانتقد إدوارد سعيد وعزمي بشارة وآخرون الطريقة التي قزّم بها الكتاب العرب الفلسطينيون ذاكرة معسكرات التعذيب (هولوكوست) وتجاهلوها بل وأنكروها أحياناً كعنصر أساسي في ذاكرة اليهود الجماعية.

وهذا ما عبر عنه إدوارد سعيد:

"ما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين إنما تفعله ليس من خلفية مبنية على وصاية الغرب على الفلسطينيين والعرب فقط ولكن من خلفية تعمل بإطراد ضد السامية والتي أنتجت معسكرات التعذيب (هولوكوست) لليهود الأوربيين في هذا القرن، ولا يمكننا أن نتوانى عن ربط التاريخ المرعب للمجازر المرتكبة ضد السامية

بقيام دولة إسرائيل، ولا يمكننا أن نتوانى عن فهم عمق ومدى المعاناة واليأس وتراثهما المهيمن الذي غذى الحركة الصهيونية بعد الحرب، ولكن لم يعد مناسباً للأوربيين والأمريكيين اللذين يدعمون إسرائيل اليوم بسبب الأخطاء التي ارتكبت ضد اليهود أن يتجاهلوا بأن الدعم لإسرائيل قد تضمن دعم تهجير وطرد الشعب الفلسطيني وما يزال".

إن جعل ذاكرة معسكرات التعذيب عالمية والإحجام عن استغلال الذاكرة من قبل الصهيونية ودولة إسرائيل وإنهاء إنكار التعذيب (هولوكوست) وإنقاص قدر الجانب الفلسطيني يمكن أن يؤدي كل هذا إلى التعاطف المتبادل الذي يتحدث عنه سعيد، و ربما يحتاج الأمر أكثر من ذلك لإقناع الإسرائيليين بالاعتراف بدورهم كسفاحين، إن صورة الضحية مغروسة بعمق في التصرف الجماعي للنخبة السياسية في إسرائيل منذ السنوات الأولى للدولة، وينظر إليها أنها مصدر للدعم المعنوي الدولي من يهود العالم للدولة حتى بعد أن أصبحت صورة إسرائيل التقية والصالحة من ناحية وأسطورة دافيد وغولياث من ناحية أخرى مضحكة بعد حرب 1967م وغزو لبنان في 1982م والانتفاضة". ومع ذلك فإن الخوف من فقدان موقع الضحية إلى جانب الخوف من مواجهة الماضي السيء ونتائجه قابع هناك، وهو ليس بعيداً عن الخوف الذي يغذيه النظام السياسي والذي يرفده عداء العرب والرغبة بأن يتم إزالتهم كجماعة.

الخاتمة:

إن الترسانة النووية، والقوة العسكرية الهائلة، والمخابرات الأخطبوطية كل هذا أثبت عدم نجاعته في وجه الانتفاضتين وحرب العصابات في جنوب لبنان. إنها عديمة النفع كوسائل لمواجهة مليون مواطن فلسطيني محبط ومتطرف في إسرائيل أو مبادرة محلية من قبل لاجئين عاجزين عن احتواء يأسهم في وجه سلطة فلسطينية انتهازية أو منظمة التحرير المتداعية، والأسلحة المادية لا يمكنها أن تقف في وجه الضحية أو غضبها، ويزداد الضحايا يوماً بعد يوم في مجتمع الآلام الفلسطيني في الأراضي المحتلة وفي إسرائيل نفسها،إن إنهاء الجناية والاعتراف بدور إسرائيل كسفاح هي الوسائل الوحيدة النافعة للمصالحة.

ولا يمكن لوطن ما بعد الصراع أن يبنى على أساس تقسيم الوطن المشترك المتخيل بتوازن غير عادل مثل 78 بالمائة لدولة يهودية و22 بالمائة لمحمية فلسطينية من نوع ما، وهو أيضاً حل أقل معقولية عندما يكون العرض على جدول العمل الدولي تقسيم الـ 22% إلى أجزاء أصغر، إن الحل العادل لا يمكن أن يكون حلاً يعطي لإسرائيل الاستثناءات على صعيد الأمن والأمور الخارجية والاقتصادية، ولا يمكن للحل المستقبلي أن يتضمن دولة إسرائيلية يكون فيها الفلسطينيون مواطنين من الدرجة الثانية، ولا يمكن أن يكون استمراراً للاحتلال

حتى ولو كان بمفردات جديدة.

ولكن فوق كل هذا فإن الوطن المستقبلي المزمع بنـــاؤه لا يمكـــن أن يبقـــى سياسياً ومادياً عندما يسقط حق العودة لأربعة ملايين فلسطيني من جدول العمـــل. إن الوطن المستقبلي هو الذي يتضاءل فيه العنف الرمزي والفعلي بل ويقتلع وهو الوطن الذي يصحح فيه الترحيل الماضي بإعادة توطين أولئك الذين تم طـــردهم. ويجب أن يناقش هذا المبدأ كحل عملي آخذاً بعين الاعتبـــار الســـكان والاقتصـــاد والميول الثقافية،والمخاوف فوق كل شيء.

هل تستطيع أمريكا التغلب على الأصولية الأمريكية؟

كوإتشي موري (Koichi Mori)
مدير مركز الدراسات المتعددة المواضيع للأديان التوحيدية

من دواعي امتناني أن البروفيسور حنفي والبروفيسور بابي قد اختارا للدراسة موضوعين بالغي الأهمية حول توقعات السلام لعالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر.

وقداهتم أحد الموضوعين بمسألة كيفية النظر إلى العالم الإسلامي.

وقد تناول البروفيسور بابي القضية الفلسطينية وأنا شخصياً متخصص في التاريخ الديني الأمريكي: إنني أدرس أمريكا من خلال الدين، لذا أود أن أتحدث اليوم حول أمريكا.

بعض زملائنا هنا في هذا الاجتماع هم من الولايات المتحدة وفي الجلسة الصباحية تبين أن زملاءنا الأمريكيين لديهم آراء مغايرة حول الحرب العراقية، لذا أود أن أتكلم لو سمحتم، كعالم ياباني متخصص بالدراسات الأمريكية.

من الواضح كما أعتقد أن الولايات المتحدة بقوتها العسكرية الهائلة وتكنولوجيتها المتفوقة تمتلك مفتاح قضية الحرب والسلام في عالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر الحادي عشر من سبتمبر. وإن أفكارنا حول أمن العالم وسلامه ينبغي أن تنطلق من هذه الحقيقة، في المناقشات التي أجريناها حتى الآن تمت الإشارة إلى أن الولايات المتحدة تمثل حضارة علمانية، لكن أمريكا لها وجه آخر متدين جداً كما يمكن أن نلاحظ في ملاحظات وتعليقات الرئيس بوش، وبالمقارنة مع دول غربية صناعية أخرى يمكن القول إن الولايات المتحدة متدينة بشكل مميز.

إن شعوري هو أن السياسات الخارجية الأمريكية بعد الحادي عشر من سبتمبرالتي قادت إلى الحرب العراقية مبنية على الخوف: الخوف من أن تهاجَم الولايات المتحدة ثانية على أرضها من قبل إرهابيين، وإن منع هجوم إرهابي ثان هو الدافع الأساسي لكل الأعمال التي تقوم بها الولايات المتحدة، وبإمكان المرء أن يسأل إذا كان بالإمكان القضاء على الإرهاب بهجمات أمريكية على العراق، والجواب بالطبع هو: لا، ويمكننا أيضاً أن نتساءل إذا كان الإرهابيون بهجوم يشنونه على أراضي أمريكا يستطيعون أن يغيروها أو يجبروا الأمريكيين على الانسحاب من العراق، ومرة ثانية الجواب هو: لا، وغير أننا نعلم أن أمريكا عليها أن تتغير كما يجب أن نقبل فكرة أن السلام نسبي، وأنه ربما يتوجب علينا في المستقبل أن نقنع بسلام أكثر نسبية من الوقت الحاضر، أعتقد أن علينا أن نعترف بأن أمريكا وحدها هي القادرة

على تغيير أمريكا. ولكنني في هذا الحديث أود أن أناقش ما يمكن فعله لمساعدة أمريكا على التغير.

في البداية دعونا ننظر إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحرب التي نجمت عنها في العراق، ولكي أبسط الأمور أعتقد أن هذه الأحداث تمثل صداماً بين شكلين من أشكال الأصولية: أي الأصولية الإسلامية والأصولية الأمريكية، إنني أدرك تماماً المخاطر الهائلة من استخدام اصطلاح "أصولية" إلا أنني وبكل وعي ما زلت مصمماً على استخدام هذا الاصطلاح، ولكنني أستخدمه في هذا الحديث ليس بمفهومه العقائدي الأصلي بل بمعناه العام أي بالطريقة التي يستخدمها الصحافيون لهذه الكلمة.

علينا أولاً أن نسأل أنفسنا أي نوع من الناس هم الأصوليون؟ يدعي الأصوليون أنهم يعرفون الحقيقة، وأنهم يلجأون إلى الوسائل السياسية وإلى العنف لتحقيق مفهومهم الخاص للحقيقة، ويؤمن الأصوليون أيضاً أن باستطاعتهم القضاء على من لا يقبل منهم تلك الحقيقة، إنهم يعتقدون أن حقيقتهم واضحة جلية ومن السهولة الوصول إليها. وبهذا المعنى نستطيع أن نصف الأصوليين بأنهم "أناس لا يستطيعون الانتظار" وليس عندهم صبر. وبمثل هذا المنحى من التفكير نستطيع أن نقول إن بن لادن وبوش هما أصوليان من نفس النمط، بالطبع أمريكا أمة ذات تعددية كبيرة والرئيس بوش لا يمثل كل الأمريكيين، ولكن في الوقت نفسه علينا ألا ننسى أن هذه السنة هي سنة انتخابات رئاسية في الولايات المتحدة وأنه في اختيار رئيس للجمهورية فإن الجانب الأصولي لأمريكا سيكتسب قوة هائلة.

مباشرة بعد الحادي عشر من سبتمبر وإلى الآن ما زال الرئيس بوش يقول إن هجوماً على الولايات المتحدة هو هجوم على الحرية ولمدنية، إن فكرته عن المدنية كما يتبين من هذه المقولة مهم جداً في فهم أصوليته، لذا أود أن أحلل أولاً فكرته عن المدنية والتي هي كما أعتقد نظرة مبنية على نظرية التطور، ولتوضيح ما أعنيه بالنظرة التطورية عن المدنية، أريد التحدث عن حادثتين ساعدتا على تشكيل هذه النظرة أولاهما البرلمان العالمي للأديان الذي عقد قبل حوالي مائة سنة في 1893م أثناء المعرض العالمي في شيكاغو، والثانية هي الحرب الإسبانية الأمريكية التي حدثت بعد ذلك بخمس سنوات أي في عام 1898م.

عقد المعرض العالمي في شيكاغو لإحياء ذكرى المائة الرابعة لوصول كولومبوس إلى الشواطئ الأمريكية في عام 1492م. وسمي ذلك المعرض أيضاً بالمعرض الكولومبي العالمي، وفي عام 1890م سبقت أمريكا بريطانيا العظمى في إنتاج الفولاذ وأصبحت أول قوة صناعية في العالم، فنجد أن معرض شيكاغو كان أيضاً منصة ومنبراً لعرض البراعة الصناعية الأمريكية أمام العالم كله وقوتها الوطنية ومبادئها التأسيسية، ويمكن تلخيص مبادئ الولايات المتحدة في شيئين هما الفكرة الجمهورية والمسيحية، وتشير مبادئ الجمهورية بدورها إلى مفاهيم الحرية

والديموقراطية التي نسمع السيد بوش يكررها.

وأود هنا أن أعرض لكم بعض الصور التي التقطت في المعرض. هذه هي البركة الواقعة في وسط موقع المعرض، وهذا تمثال، إنه ليس تمثال الحرية بل تمثال الجمهورية، والصورة الثانية يرى فيها نافورة تدعى نافورة كولومبوس على الطرف الآخر من البركة، وهذا يمثل السفينة سانتا ماريا التي حملت كولومبوس إلى أمريكا. وهي بالطبع لا تشبه السفينة الحقيقية على الإطلاق ويجلس عليها كولومبوس وربما استطعتم من خلال هذه الصورة أن تعرفوا أنها سفينة حربية رومانية، في الحقيقة في موقع المعرض كان هناك العديد من المباني والنُصب التي تمثل القيم والصور المتعلقة بجمهوريات اليونان وروما والبندقية، أي أن هذه النصب والأبنية كان الهدف منها أن تعلن بأن المدنية الأمريكية قد نتجت عن مفهوم الجمهورية التاريخي أي أنه تاريخياً كانت هناك جمهوريات عظمى والآن ورثت أمريكا رداء الحضارة الجمهورية.

وعقدت مؤتمرات دولية في أثناء معرض شيكاغو تغطي عشرين مجالاً مختلفاً. ومنها البرلمان العالمي للأديان الذي كان أول مؤتمر متعدد الأديان في العصر الحديث. وكان محط اهتمام الجمهور بشكل كبير، هذه الصورة تعرض مشهداً من ذلك المؤتمر الذي عقد لمدة سبعة عشر يوماً، وجرى الحفل الختامي في قاعة بنيت لتتسع لـــ 3000 شخص ولكنها ازدحمت بـــ 7000 شخص وتم بيع بطاقات الدخول المجانية بمبلغ 3-4 دولارات (وهذه القيمة أعلى بكثير مما تساويه في الوقت الحاضر). لقد كان مؤتمراً دينياً تمت مراقبته عن كثب وكانت له شعبية لا تصدق.

وكان البرلمان العالمي للأديان برئاسة الدكتور جون باروز وهو قسيس في الكنيسة المشيخية الأولى في شيكاغو وبفضل تقريره الضخم المؤلف من مجلدين عن هذا المؤتمر مع الصور العديدة نعرف ما جرى في ذلك المؤتمر، لقد ضم البرلمان المذكور مندوبين عن عشرة أديان من أنحاء العالم ما عدا الإسلام فقد كان السلطان معارضًا للاشتراك في هذا اللقاء، ولذلك لم يكن هناك ممثلون من الأقطار الإسلامية رغم أن المسلمين الموجودين في الولايات المتحدة والهند حضروا الاجتماع.

وأريد هنا أن أحدثكم عن المشتركين من اليابان، كان الوفد الياباني يضم عشرة أعضاء منهم المترجمون أيضًا وكان اثنان منهم على صلة بجامعة دوشيشا: أحدهم كان هيروميتشي كوزاكي رئيس جامعة دوشيشا والآخر نوبوتا كيشيموتو أحد خريجي دوشيشا وكان حينئذ طالباً يدرس الدين في جامعة هارفارد.

عند دراسة التقرير المؤلف من مجلدين نستطيع أن نرى أن الفهم الشائع للحضارة والدين كان موجوداً لدى المشاركين الأمريكيين وكان هذا الفهم الشائع يقوم على ما ذكره البروفيسور كوهارا في الجلسة الصباحية من الداروينية الاجتماعية تلك الفكرة التي وضع نموذجها الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر. ويدعي الداروينيون الاجتماعيون أنه كما أن المجتمعات تتطور فكذلك تفعل الحضارات وأن قائدة

الحضارات الحديثة وبالتالي الحضارة التي تأتي في مقدمة التطور هي الحضارة الأنكلوساكسونية ممثلة بالولايات المتحدة التي يمثلها الفكر الجمهوري والديانة المسيحية وهكذا كان فهم الحضارة التي يشترك فيه المشاركون الأمريكيون في البرلمان العالمي للأديان.

إذا هل كانوا أصوليين؟ لا،... لم يشتركوا في البرلمان العالمي، لقد رفضوا الحضور. إذن هل كان المشاركون الأمريكيون قادرين على النظر إلى الأديان والحضارات نظرة متفهمة؟ لا. كان لديهم من التسامح ما يكفي لسماع أقوال ممثلي الأديان الأخرى ولكنهم لم يشكوا أبداً بالتفوق المطلق للحضارة الأنكلوسكسونية والديانة المسيحية، وكانوا يعتقدون أن الأديان الأخرى في العالم سوف تتحول تدريجياً وتنطوي تحت جناح المسيحية.

أريد أن أقتطف قولاً قاله الأسقف تشارلز غرافتون من الكنيسة الأسقفية الأمريكية في برلمان الأديان لأنني أعتقد أنه يلخص نظرة المشاركين الأمريكيين، قال الأسقف غرافتون: "إن الحضارة التي تقوم بتوحيد العالم تستعد لدمج أديان العالم في مركزها الحقيقي الذي هو يسوع المسيح".

هذه النظرة الأمريكية عن الحضارة تم انتقادها بشدة من قبل مشاركين من آسيا. وانتقدوا خصوصاً الطريقة التي كان المبشرون الغربيون يعملون بها في الأقطار الآسيوية حيث يميزون بين الناس كما انتقدوا آراءهم التطورية عن الحضارة والدين.

كان من بين المشاركين الأسيويين الذين قاموا بالانتقادات كينزا هيراي من اليابان والذي شد إليه أنظار المشاركين أكثر من غيره، في اليابان يبدو أن هذا الرجل قد نسيه الناس ولذلك أود أن أعرف به بإيجاز.

لقد ولد في كيوتو عام 1859م ودرس اللغات الأجنبية ووظفته الحكومة كمترجم رسمي لها، ولكنه استبعد بعد ستة شهور، لأنه بالرغم من وظيفته، انتقد وفد دولة أخرى في أثناء قيامه بمفاوضات حكومية تتعلق بتعديلات غير عادلة لإحدى الاتفاقيات، وفي عام 1885م افتتح مدرسة خاصة اسمها 'القاعة الشرقية' بالقرب من تقاطع شارعي موروماتسي وأويكه جنوبي القصر الامبراطوري القديم في كيوتو، وأعتقد أن هذا كان إقتفاء بجامعة دوشيشا التي افتتحت شمالي القصر الإمبراطوري القديم قبل عشر سنوات من ذلك، أذكر من بين الخريجين المشهورين من 'القاعة الشرقية' السيد ما ساهارو أنيزاكي الذي أصبح رائداً للدراسات الدينية في اليابان بالتعاون مع السيد نوبوتا كيشيموتو. وفي عام 1891م أصبح هيراي قساً بوذياً في طائفة (رنيزاي) وذهب إلى الولايات المتحدة في السنة التالية، ويمكن اعتبار السنة التي وصل فيها هيراي إلى أمريكا أي 1892م نقطة البداية لانتقال البوذية من اليابان إلى أمريكا. إلا أنه في البرلمان العالمي للأديان في عام 1893م لم يكن هيراي ممثلاً للمجتمع البوذي بل كان يمثل علماء اليابان المؤمنين بالثيوصوفية (وهي معرفة الله من

طريق التأمل الفلسفي أو الكشف الصوفي أو كليهما). وفي سنواته اللاحقة التحق بالحركة التوحيدية المسيحية. وأعتقد أن بإمكاننا القول إن هيراي الذي خضع لتلك التحولات كان نموذجاً فريداً للحاج الروحي.

في اليوم الثالث للبرلمان الديني في شيكاغو ألقى هيراي خطاباً بعنوان: "الموقع الحقيقي لليابان من المسيحية". وكباقي المتكلمين الآسيويين انتقد هيراي نظرة الحضارة والدين لدى المبشرين المسيحيين العاملين في اليابان لكن أسلوبه كان مختلفاً عن أساليب الآخرين،عبر هيراي عن احترامه للمسيحية وللمبادئ التأسيسية الأمريكية ثم مضى ليشير إلى الهوة الكبيرة بين المبادئ الأمريكية والحقيقية والواقع المعاش. ودعوني أقتطف لكم بعضاً من أقواله:

"لقد تعلمت عن حقوق الإنسان والحقوق الوطنية من خلال كتب كتبت في الغرب، لقد قرأت العديد من الكتب التي تقول إن الأخلاق القوية المبنية على حب الآخرين يمكن أن تزيد السعادة الإنسانية ولقد شاهدت الكنيسة المسيحية وكثيراً من تلامذتها في سعيهم المخلص من أجل خير البشرية، لذا لا أستطيع أن أفهم لماذا استمرت الشعوب المسيحية في تجاهلها لحقوق ومصالح اليابانيين طوال الأربعين سنة الماضية، إن القوى الكبيرة في الغرب تقول إن اليابان ليس متحضراً بعد، وبالتالي لا يمكن التعامل معه بالمساواة، هل قانون الشعوب المتحضرة يفرض نسف حقوق ومصالح الشعوب غير المتحضرة ؟ على حد علمي ليس هناك قانون غربي يسمح بالتضحية بالضعفاء من أجل مصلحة الأقوياء.

إن انتقادي للمسيحية يتركز على فقدان التوافق بين الفكر والممارسة وأنا أعلم أن الشعوب الغربية لديها إنسانية نبيلة وتسامح وأنا أحترم بشكل كبير وبشكل خاص عاطفة الأمريكيين التي نتج عنها تحرير العبيد السود وكذلك أحترم التماسك الوطني لديهم كما ظهر في كفاحهم من أجل الاستقلال.

ألا يمكننا القول بأن يابان اليوم في وضع مماثل لوضع أمريكا في تلك الفترة؟ وكلما قرأت إعلان الاستقلال الأمريكي ينتابني الحماس والتعاطف الشديد لدرجة لا أملك نفسي فيها عن البكاء."

ويتابع هيراي قوله ويورد ثمانية عشر سطراً من إعلان الاستقلال ليقول:

"إنني لا أنتقد المسيحية الحقيقية بل المسيحية المزورة، إنني أشد منتقدي المسيحية. وفي الوقت نفسه أكن أعمق احترام للإنجيل، إن هدف البرلمان العالمي للأديان ليس سطحياً بل توحيداً عملياً للأديان، إن الأربعين مليون ياباني يتمنون أن تتحقق الأخلاقية المسيحية المبنية على العدالة الدولية".

وعندما أنهى هيراي كلمته وقف المستمعون ليصفقوا بحرارة، وكل منهم يلوح بمنديله وهم يهتفون "يا للعار. يا للعار!" مؤيدين هيراي في نقده للمبشرين المسيحيين في اليابان، وفي اليوم التالي كانت العناوين في الصفحات الأولى من جريدة شيكاغو

تريبيون تقول: "صيحة من الشرق، كاهن ياباني يهز البرلمان العالمي للأديان في شيكاغو". لقد ارتفعت الأصوات في البرلمان متأثرة بكلمة هيراي ضد الرؤية الأمريكية للحضارة المتباهية بتدينها ولكنها لم تفعل شيئاً لتغير الآراء الأمريكية ولا السياسات الخارجية كما يتبين تماماً من الحرب الإسبانية الأمريكية التي وقعت في سنة 1898م أي بعد خمس سنوات من البرلمان الديني.

عندما يتذكر الرئيس ماكنلي قلقه حول ما إذا كان على بلاده التخلي عن مبدأ مونرو وإرسال جنودها إلى الفيليبين يقول عن ذلك: "أمضيت ليالٍ عديدة وأنا أمشي جيئة وذهاباً في البيت الأبيض، وصليت لله تعالى ليمدني بالنور والهداية، وفي إحدى الليالي منحها لي" ثم يشرح ما كنلي ثلاثة حلول ممكنة ويستبعدها واحداً بعد الآخر ثم يتابع قائلاً: "الخيار الأخير كان احتلال الفيليبين لتعليم وتطوير وتمدين وتنصير الفلبينيين، لقد تمكنت أخيراً من الذهاب للفراش لأنام نوماً عميقاً" هذه الرؤية للحضارة كما يراها ماكنلي هي رؤية تطورية مماثلة تماماً لفكرة بوش، لكن بوش بالطبع لم يقل أبداً إنه "سينصر العراقيين" لكنه استخدم اصطلاح "نقل العراق للديمقراطية". مع ذلك تكلم عن احتلال العراق للمساعدة على تعليم وتطوير وتمدين العراقيين وجعلهم ديموقراطيين، والآن بالعودة إلى انتقادات هيراي ضد الأمريكيين أعتقد أن ملاحظاته قد نجحت ولو لفترة قصيرة بتحريك قلوب الأمريكيين لأن كلماته التي تضمنت اقتباساً من إعلان الاستقلال كانت في توافق تام مع المبادئ الأمريكية. وإنني أرغب بتقليد هيراي هنا وأنتقد الفكرة الأمريكية للحضارة من منطلق المثل الأمريكية.

بذلت أمريكا حتى الآن جهوداً ضخمة لضمان التعايش المشترك لأديان متعددة ضمن حدودها، وبالمقارنة مع بعض البلاد الأخرى فقد نجح الأمريكيون في تحقيق تعايش مشترك بين حضارات وديانات مختلفة، لقد كان العائق هو الأصولية الأمريكية، إن الولايات المتحدة وحدها هي القادرة على تغيير هذا الوجه للولايات المتحدة ولكن كيف تستطيع التغلب على أصوليتها؟

منذ الأيام الاستعمارية قبل الثورة الأمريكية كانت هناك تعددية للمجتمعات الدينية في أمريكا. ومع أن معظم الأمريكيين كانوا مسيحيين في ذلك الوقت، فقد كانوا ينتمون إلى طوائف مختلفة، وما كان بالإمكان وجود تعايش لطوائف مختلفة لو أن واحدة منها ادعت بأن فهمها للمسيحية هو الفهم الصحيح فحسب، إن تعايش أديان مختلفة وطوائف متعددة قد ظل قائماً في الولايات المتحدة بفضل التعديل الأول للدستور، التعديل الأول لعام 1791م هو أول إعلان دستوري في التاريخ يشترط فصل الدين عن الدولة، يقول التعديل: "إن الكونغرس لن يعمل قانوناً بخصوص إقامة الدين أو منع الممارسة الحرة لذلك الدين".

إن منع إقامة دين الدولة يعني أن الحكومة لن تمنح معاملة خاصة لديانة معينة ويعني أن الدولة لن يكون لها موقف تجاه صحة أو خطأ ديانة معينة، وأعتقد أن القصد

من رفض تحديد دين للدولة يمكن أن يمتد ليشمل رفض تبرير تفضيل قومية على أخرى أو مبدأ وطني على آخر أو مبدأ ديني على آخر، وأعتقد أن مبدأ وروح التعديل الأول يمكن أن يطبق بنجاح للسعي لتعايش سلمي للديانات المختلفة والحضارات المختلفة في العالم، إن مبدأ وروح التعديل الأول يمكن أن يكونا إعلاناً ضد الأصولية.

ولكن لسوء الحظ فالوضع الحالي للرئيس بوش والولايات المتحدة يجعلنا نتساءل إن كانت أمريكا جميعا متجهة نحو نمط أمريكي للأصولية، إن رفض وضع أي مبدأ فردي وأي مبدأ لديانة معينة أو ديانات في محل دين الدولة يشبه تماماً رفض تأسيس أي مجموعة محددة ما يسمى"المعايير العالمية". وهذه إحدى الطرق الممكنة لتحقيق سلام وعيش مشترك بين حضارات متعددة وأديان مختلفة في العالم.

وختاماً أريد أن أؤكد أن هذا المنحى ينسجم تماماً مع المبادئ التأسيسية للولايات المتحدة.

الجلسة الرابعة : تعليقات ومناقشة

الدكتور أحمد كفتارو

السلام عليكم، أحب أن أشكر بداية البروفيسور حنفي والدكتور بابي والبروفيسور موري لآرائهم، وأنا واثق أن كل شخص هنا قد وجد أن كلماتهم هي مساهمة قيّمة في السعي إلى السلام في عالمنا المعاصر، وكلها تبحث في قضايا متعددة واسمحوا لي أن أشاركم برأيي في هذه الكلمات وأبدأ أولا مع الدكتور حنفي الذي يتناول قضية هل الإسلام تهديد أم وعد وإن حديثه المهم يتناول المفهوم القائم على استعمال ثنائية التهديد والوعد وباعتبار أن كلمة تهديد لها مفهوم سلبي، فأقترح استبدال كلمة الإسلام بكلمة مسلمين لأنها أكثر ملائمة والسبب هو أن الإسلام دين سماوي وهو طريقة حياة بدأها النبي آدم والأنبياء من بعده وأكملها محمد نبي الإسلام، ووفقا لهذا فإن الإسلام هو رحمة للعالمين ولهذا هل من الممكن أن يكون مجازفة أو تهديدا بالمعنى السلبي للكلمة، ولكن هناك قلة من المسلمين لا يتبعون تعاليم الإسلام وبذلك قد يشكلون خطرا، وخطرهم هنا طبعًا كما بين الدكتور حنفي من خلال الضغوط التي يعانونها من الداخل والخارج، وأيضا من خلال الكيل بمكيالين، وعلاوة على ذلك، لكي نوفي الإسلام حقه ونجد الجواب فيما إذا كان الإسلام تهديدا أم وعدا لا مناص أن نتجاوز التفكير الحر الذي ينحاز إلى أي طرف وأن نركّز على تعاليم الإسلام الفعلية وهي القرآن والسنة التي هي ممارسة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ونستخدم ما توصلنا إليه في سبيل الوصول إلى جواب حول السؤال المطروح، وبالإجمال أرى كلمة الدكتور حنفي محاولة رائدة مفيدة في علم الاجتماع السياسي للرد على السؤال هل الإسلام تهديد أم وعد، ثانيا يبحث الدكتور إيلام بابي قضية المُشاهَد والخفي أو الظاهر والباطن في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهذا البحث لا بد منه حقا للوصول إلى سلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد أثار الدكتور بابي عدة قضايا قد تم اجتثاثها من مجريات التاريخ الدولي المعاصر فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وإن كثيرا من القضايا التي أثيرت كان قد أثارها قبلا ولعقود من الزمن الفلسطينيون والعرب والمسلمون عموما ومما يبعث على الأمل حقا أن نفس هذه القضايا تثار اليوم من قبل إسرائيلي نحن نقدّر مواقفه عاليا، وقد لخّص الموضوع ضمن ثلاثة أسس كما ذكر الاعتراف والمسألة والقبول، ونحن نؤكد أن الحل يكمن في هذه الأسس الثلاثة. فيما يتعلق بمحاضرة الدكتور كوإتشي موري عن موضوع هل تستطيع أمريكا التغلب على الأصولية الأمريكية والذي هو ظاهرة معاصرة وثيقة الصلة بشكل خاص بأجواء ما بعد الحادي عشر من سبتمبر وباعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية هي قوة عالمية عظمى، فإن هذه الأصولية ذات تأثير بالغ في العالم إذا ما طبقنا التعريف الذي يستخدمه البروفيسور موري، وإن ربط الداروينية

الاجتماعية بالأصولية الأمريكية مفيد لإدراك المعايير الأحادية التي تحاول أمريكا فرضها على العالم، وقد حصرتها لنفسها بدلا من أن تكون مشتركة وجماعية، وهذا يوصلنا إلى أن هذا البحث مهمم لدى السعي إلى إحداث توازن في الأصوليات العالمية، وبالإجمال على أي حال، إن آراء ونظرات البروفيسور موري ودراسته المقارنة للتاريخ الأمريكي للولايات المتحدة جعلته يقدم بحثا أصيلا في أحداث ما بعد الحادي عشر من سبتمبر ويرفع صوتا ضروريا في الشؤون المعاصرة وربما كان من المفيد استخدام ثنائية الضحية والجزار التي شرحها الدكتور بابي فيما يتعلق ببحث الدكتور موري، وأقصد بذلك أن الولايات المتحدة كانت الضحية في هجوم الحادي عشر من سبتمبر ولكن ردها كان جزارا فيما يتعلق بأفغانستان والعراق وغيرهما، ومن يدري أي بلد سيكون الضحية التالي على قائمة الولايات المتحدة، وأخيرا أحب أن أؤكد أن كل هذه الكلمات مفيدة جدا لكي ندرس موضوع «نحو السلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر» لقد عالج هؤلاء العلماء الثلاثة المواضيع المختلفة وكلها هامة جدا وآمل أيضا أن يتم التعمق بدراستها كلها من قبل الأكاديميين والعلماء المتواجدين هنا، وشكرا لحسن استماعكم.

البروفيسور مارك جويرغينسمئير (Mark Juergensmeyer) جامعة كاليفورنيا، سانتا بربارة.

أتوجه بالشكر ثانية إلى منظمي المؤتمر ولكل المتحدثين في هذين اليومين الممتعين والمثيرين حقاً.

وبالطبع في مثل هذا التنوع في المنظور والآراء مرت لحظات كنا نحب أن نتدخل فيها لنصحح ونصوب تعليقات المتحدثين ولكننا نظن أنها دلالة على تسامحنا وفي قدرتنا على أن نتعلم بأن نكون منفتحين وكذلك كنا. وقد أبصر غاندي أن كل شخص عنده مقدار من الحقيقة. وأنا أعلم أنني أثناء خطابي قد تجاوزت هذه الحقيقة وعليكم أن تقبلوا بهذا المقدار مني وتولوه انتباهكم وتأخذوه بجدية.

وأعتقد أن الكلمات التي قدمت هذه الظهيرة لتمثل بصدق ما انهمكنا به خلال اليومين السابقين حيث نظرنا إلى التقاليد كما فعل البروفيسور حنفي الذي يرى أن كل تقليد عظيم هو منبع غني للغاية يمكن أن يسمو بالمرء كما يمكن أن يُستغل ويساء استعماله، وعلينا أن نفهم بعناية أننا عندما نحدد تقليداً لا نحدده بشكل مغلوط ومزيف ولا حسبما يساء استعماله بل حسبما يسمو بكثير من سكان العالم.

وقد ذكرنا البروفسور بابي بأن لكل صراع تقليده وأن هناك الكثير لنتعلمه عن طريق الذاكرة وذكرنا بأهمية عملية الوئام التي اقترحها الأسقف توتو في جنوب أفريقيا بأن لا ننسى، وبأن لا نغوص في الماضي كذلك وأن نستطيع بشكل ما تجاوز لحظات الماضي المريعة لكي ننتقل إلى المستقبل.

وقد تطلع البروفسور موري إلى المستقبل، وسأل إن كان بمستطاع الأمريكيين

أن يداووا أنفسهم من النقد اللاذع لوضع أمريكا الحالي، أو على الأقل وضع بعض قادتنا. ورغم أنني أكره أن يقارن رئيس جمهوريتي بابن لادن إلا أنني أفهم المقصود وأنه لا شيء مطلق في أي وضع نهتم به.

ولكن ما لفت نظري كثيراً في كلمة البروفيسور موري هو لوحات وصور برلمان الأديان العظيم الذي عقد في عام 1893م وكذلك ما أومأ به إلى محدودية وقصر إدراكنا للمستقبل لأن ذلك على أي حال هو ما يفترض أن يكون مراد المتكلمين على المنصة وهو التطلع إلى السلام بعد الحادي عشر من سبمتبر لأننا نتلقى المستقبل ونحن نحاول أن نفهم الماضي.

وهناك أمر بالغ الأهمية حول هذا التأكيد الجاد على المستقبل، حيث ذكرنا البروفسور موري أنه في عام 1893م أي قبل ما ينوف عن مائة وعشر سنوات، كاد العالم أن يصبح أكثر مسيحية في وجهٍ ما وأكثر ديمقراطية! وعندما كنت طالباً كان جميع أساتذتي المفضلين يتصورون عالماً موحداً عن طريق تفاعل دولي جديد للقومية العلمانية، وأنه كان يتحول باطراد إلى دولة علمانية.

وقد امتلأ معظم القرن العشرين بصورة الشيوعية العالمية، و كان شطر الكرة الأرضية تحت قيادة زعماء تخيلوا بأنهم ينتقلون بالعالم إلى جيل جديد في نصر جديد للطبقة العاملة في مجتمع جديد لا طبقات فيه، وطبعاً انهار كل ذلك بانهيار جدار برلين عام 1990م.

ولذلك نعيش جميعاً في خضم هذا الحطام من صور المستقبل، وحتى في هذا اليوم إنني أتساءل فيما إذا كان اهتمام أمتي بتأكيد قوتها العسكرية في الظهور على الساحة في العالم قد جعلها تهمل مزيتها الاقتصادية المتداعية أمام مراكز قوى أخرى تبدأ في الظهور على الساحة، وسوف تحذو حذو بريطانيا في القرن العشرين في الاهتمام بوهم القوة بحيث يفوتها رؤية قوتها الاقتصادية وهي تنزلق بعيداً ربما لتحل محلها الصين وسواها.

ومما يلفت نظري في انتخاباتنا الحالية أن المرشحين الديمقراطيين بالرغم من أنهم أول من انتقد الرئيس بوش حول القضايا الدولية –وهي محط اهتمامي– قد وجدوا أن الأهم هي قضايا الاقتصاد وخصوصاً قضية تحول العمالة في عصر العولمة عن أمريكا ولا أعتقد أن لديهم حلاً فعلياً لها، ومع ذلك فإنهم تلمسوا بشكل ما نقطة تتعلق بالمستقبل الخطير لأمريكا في عصر العولمة.

وهذه النقطة هي انتقالنا إلى عالم جديد في القرن الواحد والعشرين وإنه عصر العولمة ولا أعتقد أنه عصر تحتل فيه أمريكا مركز القوة الأعظم ومركز الدولة المهيمنة عسكرياً بل واقتصادياً، فهنالك مراكز قوة أخرى ستتحدى هذه القوة الأعظم، وليس من الواضح بعد ما سيعني هذا بالضبط لشعوب العالم المتختلفة، وإنني أعتقد في هذه الفترة المضطربة بأن حوادث العنف الدينية والتي شهدناها في السنين العشر أو

الخمس عشرة الأخيرة هي أمثلة لما يشبه التحول في العصور الجيولوجية في المسطحات القارية وهي تتطاحن مع بعضها.

ونحن هنا في اليابان على حافة النار حيث تتطاحن المسطحات القارية وتندفع الحمم البركانية وتندلع النار لما يجري من تحول في أعماق الأرض، وأعتقد أن هناك كذلك تحولاً في المراحل التاريخية فوميض النار والعنف الديني أمثلة لتحول لا نعرف تماماً أين يتجه وفي هذه العملية فإن المصالحة التي دعا إليها الأسقف توتو وما ذكرنا به البروفسور بابي هي أمور بالغة الأهمية.

وسوف نتمكن من تخطي الشعور بالذل فقط بالشعور بالتواضع وأن نقول معاً بأننا لا نعلم ما سيكون عليه العالم في السنين العشر أو الخمس عشرة القادمة.

ولكن لدينا إحساس بالماضي وأننا جميعاً لدينا ما نندم عليه وأن هناك أشياء مريرة نتذكرها تجعلنا نؤكد على الاحترام والتسامح المتبادل وعلى إقامة العدالة على مستوى عالمي. لأنه فقط عندما نتمكن من إيجاد أنظمة للمحاسبة في الأمم المتحدة مثلاً أو في رؤية واسعة للتفاعل الاقتصادي سوف يشعر الناس بالإنصاف الحق وأنهم وثقافاتهم لهم المكان المناسب.

تعليقات:

كوجي موراتا (أستاذ مساعد في كلية الحقوق جامعة دوشيشا)

شكراً. بما أنني أدرس السياسة الدولية أحب أن أتحدث عن القضية من وجهة النظر هذه فالكلمات الأساس هي السلام والنظام والولايات المتحدة.

أولاً – السلام: في حين أن تعريف السلام هو خارج قدرتي الفكرية، إلا أن بوسعنا القول بأن السلام يحتوي بلا شك على فكرة النظام والاستقرار رغم أن تحقيق النظام والاستقرار لا يضمن السلام، ولا أعتقد أن السلام يتحقق بدون نظام واستقرار، وقبل بضعة سنوات نشر السير ما يكل هاو رد (Sir Michael Howard) المؤرخ البريطاني مقالة مهمة بعنوان "اختراع السلام" قال فيها بأن السلام يشمل النظام والاستقرار وحتى في ظروف النظام والاستقرار، هناك أناس لا يرحبون بهما، ومنهم من يحتج على الوضع القائم بأسلوب متطرف عنيف، وهذا يشير بأن السلام يحتوي دائماً على بذور الصراع والحرب وبالطبع لا يتحول دائماً إلى حرب.

وكما بيّنا فإن الإنصاف هو أمر مهم أيضاً، فبقدر ما يكون النظام منصفاً فإنه يتحكم بمستوى ودرجة سخط الناس ويبدو أن العلاقة بين السلام والحرب تشبه العلاقة بين الإنسان والمرض، فمهما كان جسد المرء سليماً فلا يستطيع أن يعيش حياته كلها بدون معاناة المرض ولا بد أن نموت في النهاية، وإن جهودنا بالبقاء أصحاء طبعاً ستقينا من أن نمرض بسهولة أو على الأقل ستخفف من حدة المرض، وبشكل مماثل يمكننا تخفيض التعرض للصراع أو التقليل من درجته، ومن الصعب أن نتخيل على أي حال أن بقدرتنا العيش في مجمّع عالمي هادئ بدون أي صراع إلى الأبد.

وماذا عن النظام؟ وكما أشار العديد من الناس يوجد تركيز ضخم للقوة في الولايات المتحدة، ولكن ومع وجود أعظم قوة في العالم فإن النظام الذي تفرضه الولايات المتحدة أحادياً على الأمم الأخرى سوف يؤدي إلى سخط كثير من الناس، ولن يدوم طويلاً، ومن الصواب القول بأن أي نظام يتوانى عن إرضاء الولايات المتحدة لن يرى النور أبداً وكيف نوائم بينهما، هذه هي قضية علينا العمل عليها، وقد أدى تركيز القوة في يد الولايات المتحدة إلى نشوء هيكل أحادي القطب، وقد يعتبر البعض أن هذه سيطرة أمريكية أحادية وأظن أن هذا خطأ، فإن سيطرت الولايات المتحدة على العالم, بصرف النظر إن كان هذا يجعل العالم أسعد حالاً أم لا, فإنه سيكون أكثر استقراراً. وقد حدث كثير من المشاكل لأن الولايات المتحدة قد توانت عن السيطرة على العالم. وبالمقابل فإن مجتمعنا الدولي الحالي أعقد من أن تسيطر عليه أمة واحدة، وهناك تعبير "الحكم الأحادي" ولا أظنه مناسباً لأن المجتمع الدولي يجب أن يعترف به، وقد سبب البناء الأحادي للولايات المتحد صفعة لها في بلدان عديدة من العالم، لذلك أعتبر هذه الحالة بناءً أحادياً قائماً بين السيطرة الأحادية والحكم الأحادي.

وقد تأثرت كثيراً بمحاضرة الدكتور موري، وأتفق معه عموماً بما خلص إليه بأن الولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي يستطيع أن يغير الولايات المتحدة، وأفهم أنه بالغ كثيراً في بعض النقاط ليوضح ما كان يرمي إليه، وتماشياً مع ما بينه الدكتور جوير غنسمئير (Juergensmeyer) فإنني أتردد في أن أعتبر كلاً من بوش وابن لادن أصوليين ولو كان بوش أصولياً فهو أصولي مقيد بالرأي العام والانتخابات, وعلينا أن لا نتغاضى عن حقيقة أن إدارة بوش أصولية كما هي، ومما يدعو للدهشة هي أنها أكثر ذرائعية مما كان يعتقد. ورغم أن الأصولية قد أصبحت أكثر قوة في الولايات المتحدة كما قال الدكتور موري فإن هناك وجهات نظر عديدة أخرى في ذلك البلد.

وإن كانت الولايات المتحدة أصولية والرئيس بوش أصولي فإن هذا الرئيس الأصولي قوي جداً ويدعمه مجتمع أصولي، والحقيقة على أي حال هي أن على هذا الرئيس أن يتعامل مع كثير من شكاوى أولئك الناس الذين يعارضون أصوليته ضمن أمته.

ولقد قال فرانسيس فوكوياما (Fransis Fukuyama) بعد الحرب الباردة مباشرة بأن التاريخ فيما يتعلق بالصراعات العالمية حول العقيدة قد انتهى، ولكن الصراعات في الولايات المتحدة بين الأصوليين ومن يعارضهم وصراعات العقائد الأخرى قد استمرت، ومما يدعو للسخرية أن هذا التاريخ لم ينته في الولايات المتحدة وربما كان هذا قوة دافعة خلف قوتها.

وبما أن الوقت محدود أحب أن أتكلم عن الولايات المتحدة قبل أن أنهي حديثي. لدى تحليل القضايا الأمريكية أرى من المناسب أن نصنفها في ثلاث زمر: الأولى كما بيَّنت في البداية هي تركيب السياسة الدولية حيث جمعت الولايات المتحدة أضخم قوة عسكرية ضارية، والثانية هي السياسة القومية الأمريكية، والثالثة هي القضايا التي

تفردت بها إدارة بوش الحالية، وعلينا أن نحلل القضايا تبعاً لهذه الزمر الثلاث.

فالولايات المتحدة تمتلك أضخم قوة، وعندما تمتلك أمة واحدة قوة تماثل ما تملكه الولايات المتحدة فإن تلك الأمة ستكون متعجرفة وأنانية جداً، وهل هذا مخالف لفهم الطبيعة البشرية؟ فإن ملكت اليابان ما تملكه أمريكا حالياً أو صارت الصين بقوة أمريكا فهل ستكون اليابان أو الصين أشد تواضعاً من الولايات المتحدة؟ وبالاختصار ترجع هذه المشكلة إلى بنية السياسة الدولية.

وفي نفس الوقت علينا أيضاً أن نهتم بالتأثير الحاصل من بروز اليمين الديني في تغيير الجيل وتغيير البنية العنصرية. وعلاوة على ذلك هناك قضايا تتعلق بالمعتقدات الشخصية للرئيس بوش أو معتقدات أعضاء إدارته. ويجب تقييم هذه الثلاثة كلاً على حده، وقد تتبدل القضايا التي تتفرد بها إدارة بوش بشكل كبير. وستمضي سنة أخرى على فترة حكم الرئيس الحالي وإن أعيد انتخابه سوف تنتهي إدارته بعد خمس سنوات، وإمكانية الفوز جداً وسؤالنا هو ما هي الكيفية التي ستؤثر فيها التغييرات ضمن المجتمع الأمريكي على دبلوماسية وسلوك الولايات المتحدة ؟ هناك احتمالات كثيرة، أما حقيقة أن الولايات المتحدة تتمتع بقوة هائلة في السياسة الدولية فهذه لن تتبدل كثيراً في المستقبل المنظور بالرغم من السماح ببعض التغيير.

ولدى النقاش بشأن الولايات المتحدة بعد القيام بتقسيم القضايا إلى قضايا ذات درجة عالية من قابلية التغيير وسواها إلى درجة منخفضة علينا أن ندرك تسليمنا نحو الولايات المتحدة ولنأمل بأن يكون التغيير متوازناً، وإن فشلنا في ذلك فإن شعورنا بالتسليم بمفرده سيسمح بمجرد الاستمرار في حين أن الإفراط في الأمل سيؤدي بنا إلى نقاش عقائدي.

وختاماً في حين أن هناك انتقادات عديدة لإدارة بوش الحالية والمجتمع الأمريكي بالذات فإن من الخطأ الفادح لمنتقدي السياسة الخارجية لإدارة بوش التي ترى العالم في حدود الخير والشر أن يرفعوا أصواتهم عالياً لدرجة أن يقعوا في نهاية المطاف في فخ الخير والشر، وهذه مشكلة تواجه دبلوماسية بوش والمجتمع الدولي وهو خطأ قد ارتكب مراراً على مر التاريخ، وبقدر ما ينتقد الناس خصومهم فإن الأمر سينتهي بهم إلى نهج المسلك نفسه الذي يسلكه من ينتقدونهم، وعلينا أن نقر تماماً بهذا الخطأ على الدوام وشكراً لكم.

المقرر: الكلام ليوكا أوتشيدا (Yuka Uchida) وهي نائبة رئيس لجنة سياسة التخطيط والبحث في الحزب الديمقراطي الياباني.

أوشيدا:في حين أن عملي يوصف بأني عضو في الحزب الديمقراطي في اليابان أحب أن أوضح هنا أن ما أقوله اليوم هو رأي لشخصي البحث، و بعد أن استمعت إلى الكلمات التي قدمها المحاضرون الثلاثة وإلى جلسة الصباح وإلى تعليقات الدكتور موراتا (Murata) فقد استنتجت كما ذكر الدكتور موراتا بأن الإنصاف هو القضية

الأساس، وهناك أنواع مختلفة لمعايير الحرب العادلة، حتى وإن جعلناها ثابتة بعد الأخذ في الاعتبار الاختلافات في الأديان وفي مناطق وبلدان الثقافات ستبقى هنالك اختلافات في الآراء بين الناس الذين يعيشون فيها ولا أدل على ذلك سوى التعليقات التي قدمت اليوم من قبل المحاضرين الذين ينحدرون من خلفيات دينية شتى، فالحرب العادلة لدى بعض الناس وإن لبت معايير ثابتة قد لا تكون عادلة لدى البعض الآخر. لذلك كان لزاماً علينا أن نصل إلى فهم مشترك للإنصاف لدى الجماعة الدولية بما فيها الأديان التوحيدية الكبرى الثلاث وهذا هو ما يتحدى العالم اليوم.

ولدى البحث في هذه القضية وجدت أن نشاطات البابا يوحنا بولص الثاني رئيس الكنيسة الكاثوليكية مهمة جداً.ولقد راقبت ما يفعله، ففي ربيع عام 2000م أو ربما عام 1999م زار القدس حيث أبدى التزامه بالمصالحة مع الأديان الأخرى بالجلوس إلى مائدة مع مفتي عام القدس وحاخام وزعماء من دينين توحيدين آخرين، وبالإضافة إلى ذلك أصدر بيانات اعتذار قبل وبعد الزيارة عن الأخطاء الماضية التي ارتكبت باسم الكنيسة بما فيها معاملة اليهود، ولقد اشترك أيضاً في نشاطات متعددة أخرى سعى فيها إلى المصالحة مع أبناء الديانات الأخرى.

وفي موضوع الحرب على العراق على سبيل المثال قابل البابا طارق عزيز صاحب النفوذ الكبير السابق في حكم صدام حسين قبل بضعة شهور من الحرب، رغم أنني ليس لدي فكرة عن مغزى تلك الزيارة، ولقد شدد البابا مراراً في تعليقاته على ضرورة تجنب الحرب والبحث عن حل سلمي في الأمكنة المتعددة التي زارها قبل وبعد الحرب.

وقد تحدث البابا في رسالته السنوية في يوم السلام العالمي عن الإرهاب مستنداً على فهمه بأن الإرهاب قد أصبح مؤخراً تهديداً خطيراً للسلام والاستقرار العالميين واعتقاداً مني بأن رسالته مناسبة ومن أجل ذلك أحب أن أنقل لكم اليوم في ندوتنا هذه مقتطفات منها:

"إن شعار الإرهاب قد أصبح أكثر شدة في السنوات الأخيرة وأدى إلى مجازر وحشية نتج عنها عقبات أكبر في طريق الحوار والمفاوضات ومزيداً من التوترات والمشاكل المتفاقمة، وخصوصاً في الشرق الأوسط، ورغم ذلك إن أردنا الانتصار عليه لا يمكن أن تحصر الحرب على الإرهاب في عمليات قمعية وعقابية فقط، فمن الضروري أن يرافق استعمال القوة، حتى عند اللزوم، تحليل شجاع وواضح للأسباب التي تؤدي للهجوم الإرهابي، ويجب أن تكون الحرب على الإرهاب كذلك على الصعيدين السياسي والتربوي بالقضاء من ناحية على الأسباب الدفينة لحالات الظلم التي غالباً ما تدفع الناس لمزيد من أعمال العنف واليأس ومن ناحية أخرى بالإصرار على التربية المنبعثة من احترام الحياة الإنسانية في كل الأوضاع، وإن وحدة العنصر البشري هي حقيقة أقوى من أي انقسامات محتملة تباعد الأفراد والشعوب".

لقد كانت هذه الرسالة السنوية ليوم السلام العالمي هذا العام، وما أحب أن أؤكد

عليه هو القسم المتعلق "باستعمال القوة حتى عند الضرورة" لأن هذا المفهوم يتضمن إمكانية الحرب العادلة وهذا يشير إلى أن البابا والكنيسة الكاثوليكية معاً يعترفان بوجود ما يسمى بالحرب العادلة.

ومن جهة أخرى، بينما يذكر بأن الإرهاب غير مقبول في بداية رسالته مستعملاً عبارة "الوسائل غير المقبولة للإرهاب" (والتي لم أذكرها) يقول أيضاً بأن "التحليل الشجاع للأسباب الخلفية للهجوم الإرهابي لازم". ويجب أن نذكر بأنه شدد خصوصاً في رسالته بمناسبة يوم السلام العالمي على قوله بأنه على الرغم من عدم قبول الإرهاب علينا أن نفهم الأسباب الكامنة وراء العمليات الإرهابية لكي نقيم السلام والاستقرار في العالم في المستقبل.

وأكد أيضاً على ضرورة تجديد النظام القانوني الدولي، وقد فهمت من رسالته بأن النظام القانوني هو النظام الذي لا يقوم على أي قيم دينية بعينها ولكن القيم المقبولة عموماً من قبل الجماعة الدولية، وهو نظام موحد يدعمه احترام وفهم عميق لقيم الأديان والنظم القانونية الأخرى.

فأمامنا هذه الجهود والرسائل والنداءات للبابا، وفي نفس الوقت هنالك ميل لاستخدام بيانات زعماء الكنائس المسيحية في الولايات المتحدة وبيانات زعماء العالم الإسلامي كأداة سياسية للمطالبة بإدارة أو نظام ما، ولدي شعور بأن هذا الميل قد زادت أهميته وخصوصاً في هذا العصر المتبدل بسرعة، وما علينا أن ندرسه هنا كما توضح ندوتنا اليوم هو إمكانية فصل الدين عن الدولة فعلياً في مجتمعنا العالمي الحالي، ففي المسيحية أعتقد أن هذا قد تم في الولايات المتحدة ولكنه بدأ بالتراجع مؤخراً، وأحب أن أسأل الدكتور حنفي والدكتور بابي إن كان بإمكانها تحقيق هذا الفصل في الإسلام واليهودية أو على الأقل أن يوضحا إن كان هنالك إمكانية لذلك، ففي الإسلام –الذي درسته قليلاً– الدين بذاته جزء من الحياة وأحكام الشريعة منظمة، وطالما أن العالم الإسلامي منعزل عن العالم هذا النظام يعمل، ولكن بازدياد عولمة العالم –كما ذكرت في البداية – يجب القيام بجهد ما لفصل الدين عن العولمة لكي نقيم منظمة تتكامل فيها الأديان والقيم، فلا يمكنك أن تطبق الشريعة على العالم أجمع لذا أحب أن أسمع تعليقاتكم في هذا السياق عن إمكانية فصل الدين عن الدولة في ظل الإسلام واليهودية. وشكراً لاستماعكم لملاحظاتي.

المناقشة:

مقرر الجلسة. لدينا ساعة تقريباً للمناقشة، وإن لم يكن لديكما مانع دكتور حنفي ودكتور بابي أن تبدآ بإعطائنا أجوبتكما على أسئلة السيدة أوتشيدا.

الدكتور حنفي:أظن أن هناك فرقاً، لقد طرحت سؤالاً غربياً على ثقافة غير غربية، والفصل هو ليس بين الدين والدولة إنما بين السلطة الدينية والسلطة السياسية. وهو السؤال الصحيح في الثقافة الغربية والذي يعني الكنسية والدولة.

وهذه ليست بقضية مطلقة، وكما قلت الإسلام واليهودية كلاهما أسلوب حياة. وهما منظومة عالمية من الأخلاق للفرد والجماعة وللعلاقات الدولية. لذلك لا أظن أن هذا السؤال له علاقة بهما، لأنني كمسلم عليّ أن أكون أميناً مع نفسي وضد النفاق والازدواجية في الكلام، عليّ أن أكون عادلاً مع الآخرين بدون ابتزاز أو احتكار وفي العلاقات الدولية الاعتراف بالذات دون العدوان على الآخرين، هل هذا سياسة أم دين؟ إنها الأخلاق. ثم هنالك منظومة عالمية للأخلاق تتعدى الإسلام واليهودية، وكثير من الطقوس الإسلامية قد انحدرت عن اليهودية، فلديك مفهوم عن التشريع الإسلامي مثل قانون العقوبات وهو جانب ضيق جداً في التشريع الإسلامي القائم على مجتمع بدون استغلال، إنه قائم على حقوق الفقراء وثروة الأغنياء ولكنه ليس منظومة عقوبات.

وباعتبار أن هذه المنظمة تفترض بالواجبات الإنسانية فلا نستطيع المطالبة بالواجبات دون إعطاء البشر حقوقهم الإنسانية، فأنا لدي حقوق أنالها من الخزينة العامة من أجل التعليم ومن أجل العناية الطبية ومن أجل السكن ومن أجل الاستخدام والعمل.وبعدها إن أسأت استعمال التشريع الإسلامي أمكن تطبيق قانون العقوبات وبذلك لا نستطيع أن نقزم التشريع الإسلامي ونحصره بمنظومة العقوبات.

المقرر: حسناً وبطريقة مبسطة جداً أعتقد أنك لا تستطيع فصلهما، فالتشريع الإسلامي ليس مقصوراً على قانون العقوبات والجزاء، هل لديك تعليق على ذلك دكتور بابي؟

بابي: أعتقد كما ذكرنا البرفسور جويرغينسمئير (Juergensmeyer) لا نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة. وكل ما نستطيع قوله: هل أفلحت أم لم تفلح حتى هذا الصباح؟

والجواب: هو أنه حتى هذا الصباح قد باءت محاولة إسرائيل بفصل الدين عن الدولة بالفشل التام. وهل يعني هذا أن الغد سيكون أحسن حالاً؟ نظراً لمستوى رجال السياسة، والذين قد يختلفون عنكم في هذا البلد، لا أعتقد أن هناك فرصة كبيرة لتحسن الأمور، ولعله من الأفضل شرح ذلك ضمن السياق على الأقل فيما يتعلق بفلسطين، حيث لا تحمل عملية التحول إلى العلمانية كثيراً من الأمل فالكثير من الكراهية والعداء ناجم كذلك عن الحركات العلمانية لدى الطرفين.

وهناك كثير من التشابه بينهما والرغبة للوصول إلى حل وسط قائمة لدى عدد من الحركات الدينية لدى الطرفين، كذلك لا أعتقد أن العلمانية قضية مهمة فعلاً وأعتقد أنها تعود إلى نظريات الحداثة التي أظن أن البرفسور موري (Mori) كان يشير إليها والتي عفا عليها الزمن، فنحن لسنا بحاجة إلى عملية تحديث، ولسنا بحاجة إلى عملية للتحول العلماني، ففيما يتعلق بإسرائيل خصوصاً نحن بحاجة إلى عملية التخلي عن الصهيونية، انزع الصهيونية عن إسرائيل فتحصل على دولة علمانية ديموقراطية. وهو الطريق الأوحد لإيجاد الحل، وهذا لا يعني أننا عندما نتحدث عن دولة علمانية أننا نجعل المجتمع علمانياً، إنه يعني فقط أننا لا نعطي أي دين أو جماعة عرقية مركز

السيطرة ضمن قطعة صغيرة من الأرض نالت الكثير من الاهتمام في السنين المائة التي خلت.

المقرر: لقد أصبحت المسألة معقدة جداً، وكما قال البرفسور موري ستحل المشكلة إذا أمكن العمل هنا بالمفهوم السائد في الولايات المتحدة، وهذا ليس بالسهولة بمكان، وأحد الأسباب هو كما ذكر مراراً وتكراراً بأن فصل الدين عن الدولة قد لا يكون ضرورياً إن أمكن معالجة الأمر بطريقة أسقف جنوب أفريقيا توتو (Tutu). ورغم أنني حاولت أن أجعل المسألة أبسط إلا أنها أصبحت أكثر تعقيداً. فهل عندكم رأي حول التعليقات التي قدمت؟ ما رأيك دكتور موري؟

موري: إن فصل الدين عن الدولة في الولايات المتحدة يختلف تماماً عنه في فرنسا أو اليابان، وهذا ما أردت قوله.

فالمفهوم الأمريكي على ما أعتقد حكيم في الأمكنة التي يضطر أن يعيش فيها أشخاص من ديانات مختلفة وهم يحترمون عقائد بعضهم بعضاً، وإن تعديل المادة الأولى في الدستور يتناول شيئين: الأول إقامة الدين والآخر الممارسة الحرة للدين. وكما يظهر في التعديل فإن المفهوم حكيم عند من تختلف أديانهم فعليهم أن يعيشوا معاً ويحترموا عقائد بعضهم بعضاً، وأعتقد أن هذا ضروري كما هو فعال في تناول القضايا الدولية.

المقرر: السيد تاهارا رجاء تابع.

تاهارا: عندي سؤال للدكتور حنفي وسؤال للدكتور بابي. لقد تأثرت كثيراً بمحاضرتيكما، وباعتبار أننا لا نملك الوقت الكثير سأجعل أسئلتي قصيرة ومباشرة.

دكتور حنفي, لدى محاولة فهم أعمال العنف في الإسلام في عالم اليوم، وأعتقد نقطة هامة بأن الأمل في الداخل قد يبدو خطراً في الخارج، وأن أعمال العنف عامة لها جانبان الأول التحرر من الظلم والآخر هو أن العنف بذاته قمع.

وكما علق أحد المحاضرين عن الاشتراكية بأنها تبنت فكرة التحرر في القرن العشرين، ورغم أن لينين تنبأ في كتابه "الدولة والثورة" بأن الدولة سوف تنحل بعد الثورة إلا أن ما بقي هو حكومة الثورة، وبكلمات أخرى لا شيء سوى القمع, وفي نهاية المطاف انهارت، ومثل هذه العملية يمكن ملاحظتها على سبيل المثال في الشرق الأوسط أو في العالم العربي، ففي الجزائر عندما رفضت الحكومة العسكرية بشدة نتائج الانتخابات العامة شن المسلمون حملة احتجاج على هذا الرفض، وقد قام بعضهم بذبح المدنيين مبررين ذلك بمفهوم التكفير محولين حملة التحرير ضد الحكومة العسكرية إلى الظلم.

وسؤالي هو كالتالي: يمكن تحويل الأمل إلى خطر والإجراءات المتخذة باسم التحرير يمكن أن تصبح ظلماً. وقد حدث هذا مراراً في التاريخ، وإنني أفهم في عالم مظلوم بأن الإسلام موجود كمفهوم للتحرير، ولكن هل يوجد ضمانة بأن هذه الفكرة

لن تصبح وسيلة للظلم في المستقبل وما هي الطرق برأيكم لتجنب مثل هذا التحول؟ هذا هو سؤالي الأول.

وسؤالي الثاني موجه للدكتور بابي: تعرفت على شخص أثناء عملي، وهو ناشط سلام إسرائيلي اسمه يوري أفنيري (Uri Avneri) رئيس حركة جوش (Gush) للسلام، وطالما أنك وهو في مركزين مختلفين فقد تأثرت جداً لذكرك مسؤولية إسرائيل الشخصية كما يفعل آفينري، إن نشاطات جوش للسلام محدودة للغاية في الوقت الحاضر، وأذكر أنني عندما قابلت المستوطنين في الخليل أكدوا أن إسرائيل بدون الضفة العربية (ضفة نهر الأردن الغربية) هي مثل المذياع الذي تنقصه قطعة لذا لا يعمل، لهذا يجب أن تكون الضفة الغربية لإسرائيل، وهناك أشخاص مثل زيف جابوتينسكي (Zeev Jabotinsky) وآرييل شارون (Ariel Sharon) رئيس وزراء إسرائيل الحالي أو أشخاص آخرون يتمسكون بفكرة إسرائيل الكبرى وهذا اعتقاد ديني، وإنني أتساءل إلى أي مدى يتقبلون كلماتك وأفترض أنهم ربما أقاموا عملية السلام على مبدأ كمّي بعيد عن أي أهمية دينية، لأنهم لا يفهمون كلامك وأقدر كثيراً إن أعطيتني رأيك حول هذه المسألة.

حنفي: حينما يكون الظلم قائماً في الداخل أو الخارج ولا يوجد وسائل قانونية للاحتجاج فإن الشيء الوحيد المتبقي هو العنف حقاً، واسمحوا لي أن أضرب مثلاً: في العالمين العربي والإسلامي وفي بعض النظم السياسية توجد حركات إسلامية تعبر عن نفسها بشكل قانوني مثل المغرب والأردن واليمن والكويت ولبنان لذا لا تلجأ للعنف أبداً لأن لديها الوسائل القانونية ولها منابرها وبرامجها وصحفها ومجلاتها وأحزابها السياسية لتعبر عن آلامها وقد قبلت بالنظام البرلماني.

ولكن في بلاد أخرى حيث تحتكر السلطة مثل الجزائر وتونس ومصر وسوريا والعراق والسعودية ودول الخليج، ...إلخ فإن هذه الحركات تشعر بالظلم.

وحق الوجود هو لكل الأحزاب السياسية العلمانية كالماركسية والقومية والأحرار، ولكن ماذا بشأن الحركات الإسلامية وما سواها؟ إنها تعمل في الخفاء وتخرج إلى أفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك وألبانيا وما إلى هنالك لتقاتل من أجل العدالة.

ثم جعلناهم يرتكبون العنف لأننا لم نسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم بحرية والدخول في حوار مع الأيديولوجيات (العقائد) السياسية الأخرى، وأن يكون لهم مخطط وبرنامج عام للإصلاح الاجتماعي.

وإن وضع الجزائر لملفت للنظر، فقد قررت الجزائر في وقت ما أن تأخذ بالديموقراطية، ونالت الحركات الإسلامية سبعين بالمائة من الأصوات البلدية وحدث انقلاب عسكري، إذاً من هو ضد الديمقراطية؟ طبعاً ليس الإسلاميون فقد قبلوا بالنظام البرلماني، إنه الحكم العسكري.

الإسلام عقيدة تحرير ولهذا خرج من الجزيرة العربية وكان هناك ظلم روماني في شمال أفريقيا وشيء من الظلم الفارسي لذلك رحب الناس بالقادمين الجدد لأن شعار الإسلام "لا إكراه في الدين".

يمكنك الإيمان بأي شيء تريد، وحتى عندما أتى المسلمون مصر فإنهم تركوها للمصريين وعندما قصدوا فارس تركوها للفرس، وتبنوا النظام الإداري المحلي وكذلك النظام العسكري فكل ما أراده الإسلام هو إفساح المجال للجميع ليؤمنوا بما يشاؤون في ظل اتحاد جماعي (كونفدرالي) وقائم على عدم العدوان.

وعندما أتى الإسلام إلى أمريكا فإن السود وأمة الإسلام والمسلمين السود قد وجدوا في الإسلام حركة تحررية لا تقوم على اللون أو التمييز وربما كان لهم رد فعلهم بسبب النظام الأمريكي، لقد علّمت في الولايات المتحدة وقالوا لي رجاء أيها الأستاذ لا تقل للمسلمين السود في أمريكا بأن الله ليس أسود وأن الشيطان ليس أبيض وأن محمداً وموسى وإبراهيم ويعقوب وإسحاق ليسوا سوداً لأن الإسلام بالنسبة لهم عقيدة تحرير من ربقة المجتمع الظالم الأبيض، وبعد مضي عقدين أو ثلاثة بل أربعة بدؤوا يعلمون أن الله لا لون له وأن الأساتذة لا يعرفون بالضبط لون الشيطان، فالإسلام هنا حقاً عقيدة وظيفتها التحرير.

وعلينا أن نميز بين الإسلام نظرياً والإسلام الممارس، يشعر العالم الإسلامي بأنه مهمش عملياً، وأن الجميع يتكلم عن العنف ولا يتكلم عن غرناطة وإشبيلة وقرطبة والعصر الذهبي للإسلام، والذي هو سبب عصور الغرب الحديثة، وهنا علينا إعادة كتابة التاريخ بشكل أكثر عدالة وإنصافاً، وإلا في اللحظة التي ترى بأن الإسلام يقدم في صور نمطية في وسائل الإعلام الكبرى في الغرب التي تحتذي حذو الاستشراق وأنك تسعى جاهداً لإصلاح صورتك عندها ترسم صورة كاريكاتورية عن العدو، وهذه بداية إطلاق النار عليه.

بابي: سأحاول الاختصار وأرى الأضواء الحمراء تومض محدثة شعوراً بالإلحاح والذعر وفي الواقع ما يتطلبه السؤال هو تاريخ مختصر للمشروع الصهيوني في ثلاثين دقيقة.

أعتقد أن المشروع الصهيوني كان له ثلاثة أهداف كبرى، الأول الاستيلاء على فلسطين بوسيلتين الأولى جغرافية بالحصول على أكبر قدر ممكن من الأرض، والثانية سكانية بأن يكون على هذه الأرض أقل عدد ممكن من العرب، وقد بدا المشروع عام 1882م ولا زال مستمراً ونظراً للموقف الأمريكي الحالي وتوازن القوى القائم أخشى أن ينجح هذا المشروع، وفي نهاية المطاف ستحصل إسرائيل على مائة بالمائة من أرض فلسطين وتنزع الشعب الفلسطيني برمته من فلسطين، وهذه إمكانية بل استراتيجية فعلية.

والهدف الآخر هو إيجاد ملاذ آمن لليهود الذين اضطهدوا في أوربا، وليس اليهود

الذين كانوا يعيشون في العالم العربي لأنهم لم يضطهدوا، وفي الواقع في عام 1948م فقد قررت القيادة اليهودية أن تستقدم اليهود من البلدان العربية بسبب المحرقة، وحتماً فإن قادة الحركة الصهيونية لم يكن لديهم الرغبة بأن يعيش اليهود العرب بين ظهرانيهم بسبب ما كان يطمحون إليه من إيجاد جمهورية أوربية في قلب الشرق الأوسط. هل إسرائيل ملاذ آمن اليوم؟ أشك في ذلك فقد قتل عدد أكبر من اليهود في إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية مما قتل في أي مكان آخر في العالم، وإن النبوءة التي تقول، وربما كنت مخطئاً وآمل أن أكون مخطئاً، بأن مزيداً من اليهود سوف يقتلون في إسرائيل في العقد القادم أكثر مما هو في أي مكان آخر في العالم.

وكان الهدف الثالث إيجاد ثقافة جديدة علمانية، وهذا مشروع ناجح، لقد هاجر والداي من ألمانيا وما أظن أن آرائي تعتبر نجاحاً للمشروع الصهيوني ولكن ثقافتي هي نجاح فعلي للمشروع الذي أنقذ والداي ولكن الثمن كان مريعاً حقاً، ولا زال الفلسطينيون يدفعون الثمن، وكم إسرائيلياً يدركون أن هذه الثلاثية من الأهداف لن تستمر إلى الأبد؟ قليل جداً أولئك الذين لديهم تحفظات حول المشروع ولكنهم يزدادون في العدد وذلك للأسباب الوظيفية بأن المشروع الصهيوني لا يستطيع أن يستمر كما هو عليه، وسوف يستغرق عقداً آخر أو عقدين وسيكون هناك مزيدًا من سفك الدماء وربما سيتطلب موقفاً أمريكياً جديداً ولكن في النهاية لا أعتقد أن شعباً عاقلاً سيصدق وحتى اليهود الذين يعيشون في إسرائيل فلن يصدقوا بأن المشروع اليهودي على المدى الطويل هو مشروع صالح بشكله الحالي وتاريخه ومآسيه.

المقرر: جواباً عن سؤال السيد تاهارا لا يوجد طريقة أخرى سوى الاستمرار بلا تغيير وبذلك سيكون هنالك مزيد من سفك الدماء.

والآن هل يمكنك أن تبدأ سيد أبو سمره وبعده شمس الدين وثم إينا وكوري باياشي بالترتيب.

أبو سمرة: إنني محمد أبو سمرة من فلسطين إسرائيل التي هي بلد وصف حقائقها للتو البروفسور إيان بابي، ولكي أكون أكثر دقة أقول إنني مواطن فلسطيني من الدرجة الثانية في إسرائيل، وكفلسطيني من الطبيعي تماماً أن أتحدث عن الحقائق الظالمة لشعبي ولكن علي أن أعترف حقاً أنني ليس عندي شيء أساسي أضيفه لما تفضل به إيان لذلك سأنتهز الدقائق الثلاث لأتحدث عن حقل اهتمامي الأكاديمي وهو دراسة نقدية للإسلام.

وأجد من الضرورة أن أعلق على الطريقة التي قدم فيها الإسلام في هذه الندوة. لقد كانت المحاضرات عن الإسلام هامة ومثيرة، لقد قدمت صوت المساواة والعدل والتسامح والسلام، ونحن بحاجة لمثل هذا الصوت في حقائقنا الثقافية والاجتماعية والسياسية اليوم، ولكن علينا أن نعلم بأن هذا ليس الصوت الوحيد، وكما في الأديان الأخرى يوجد في الإسلام أصوات أخرى أيضاً، أصوات الاضطهاد وعدم المساواة والتمييز، لقد كان التركيز الذي سمعناه في اليومين الماضيين على المظاهر الإيجابية

للإسلام وقد تجاهل المظاهر السلبية والظالمة مما جعل ما قدم اعتذارياً نوعاً ما. ولسوء الحظ قد يغذي هذا سوء فهم شائع جداً في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة بأن الإسلام والنقد الديني متناقضان، لذا أرى لزاماً في هذا السياق أن أوضح أن النقد الديني ليس فكرة أو عملاً محصوراً بالغرب، ففي الإسلام الحديث وحتماً في الإسلام الكلاسيكي يوجد تراث غني جداً للنقد الديني.

وكما في التقاليد الدينية الأخرى أحب أن أؤكد بأنه يوجد في الإسلام أدبيات لاهوتية وتعاليم تحريرية جنباً إلى جنب مع القمعية، وكلاهما إسلامي ومن المهم أن نقر بهذا. وإن نسبة الممارسات القمعية المنتشرة في المجتمعات الإسلامية والعربية إلى مصادر أجنبية فقط غير دقيقة، وهذا أقل ما يقال، فهي ليست دائماً مستوردة، كما ذكر, من ثقافات وأديان خارجية، وهذا ليس بصحيح، إنها متجذرة بعمق في تقاليدنا الدينية وفي لاهوتنا وفي نصوصنا المقدسة كذلك، وإن الحجة بأنها غير إسلامية لا يمكن اعتبارها جدية لا من قبل المسلمين ولا من غيرهم الذين يعرفون هذه النصوص ويدركون هذه الممارسات أيضاً، وليس الإسلام سراً لا يصل إليه إلا المسلمون، لقد درس وفحص بشكل واسع من قبل غير المسلمين وهم يعرفون جيداً نواحيه القمعية.

وأظن، كمسلمين وآخرين كثر قبلي قد بينوا أن علينا أن لا نخجل من عرض المظاهر الظالمة لتقاليدنا الدينية، ونحن نعلم أنها ليست كلها إسلامية حصراً، فهي صفة تتصف بها الأديان الأخرى كذلك على حد سواء، ثانيا: فقط عندما نعرضها وندرسها بشكل نقدي تتسنى لنا الفرصة بأن نتغلب عليها، وبدون هذا العرض والنقد تستمر هذه المظاهر الظالمة للإسلام بتغذية قلوب وعقول الكثير والكثير من المسلمين. وصدقوني نحن المسلمين، وليس غيرنا نحن الضحايا الرئيسين.

لذلك أريد أن أقولها ثانية: إن الطريقة التي قدم بها الإسلام هنا كدين كامل محب للسلام لا تروي الحكاية كاملة، وإذا أنكرنا التمييز وعدم المساواة واضطهاد الفكر الحر وقلنا بأنها غير إسلامية فهذه طريقة غير علمية لتقديم الإسلام في مؤتمر أكاديمي. وأنا آسف لقولي هذا فالمسلمون وغيرهم يعرفون بأن لا دن كامل والإسلام وكتابه المقدس حتماً ليسا مستثنيين، الله وحده كامل على الأقل لدى من يؤمنون به.

لقد تحدثت البرفسورة أرسلولا كينغ (Ursula King) عن التناقضات في الإنجيل، وإني كمسلم أقول بأن القرآن هو كتاب تناقضات كامل، وباعتباره منتوج ثقافة شفهية فإن التفكير المنهجي والتناسق ليسا ضروريين وليسا مطلوبين لاهوتياً كصفة مميزة للقرآن، وهذه الحقيقة يقرها بعض الكتاب النقديين المعاصرين، إنهم يعتبرون على سبيل المثال عقيدة الناسخ والمنسوخ كتطور ديني لاحق أو بدعة في التقليد الإسلامي من أجل التوفيق بين التنوعات والتناقضات في القرآن.

ولكي أختم تعليقي المختصر وأقول بأن لا حاجة لتناول الدين بشكل اعتذاري فلا سبب للانزعاج بأن ننشر ما يعتبره البعض غسيلنا الوسخ. فلكل دين ومجتمع غسيله الوسخ. وكعرب ومسلمين علينا أن نواجه حقيقة أننا في تقاليدنا الدينية وفي حقائقنا

الاجتماعية لدينا الكثير من الغسيل الوسخ، وإن تجاهل أو إخفاء الغسيل الوسخ ليس شيئاً صحياً فإن أردنا أن ننظفه لا خيار لنا بأن نعلقه أمام الناس وحتى هنا في هذا المؤتمر في كيوتو اليابان وشكراً.*

مقرر الجلسة:

يبدو أن الأمور قد أصبحت أكثر تعقيداً ولا شيء يمكن أن يكون كاملاً، هل نستمع إلى تعليقاتك سيد شمس الدين (Syamsuddin) من فضلك؟

شمس الدين: صديقي البروفيسور زين يريد أن يتكلم، هل من الممكن أن يكون بعدي؟ إن أحد النقاط الهامة للعروض المثيرة للمتكلمين اليوم هي محاولة وضع المشكلة في نصابها وتقديم اقتراحات لحل قضية الصراع عن طريق الصيغة أ-3 مثلاً. وأحب أن أضيف صيغة رابعة هي أ-4 ألا وهي التقدير والاستحسان.

وإن تناول الانتقادات كما يقترحها البروفيسور كوايتشي موري هي ليست فقط للأمريكيين بل للجميع رغم أن هذه المعادلة بسبب ما يبدو من تناقض في المعايير فإنها وضعت بين الأصوليتين، فالأولى وضعت في معيار الأصولية الدينية أو الأصولية الإسلامية ولكن الأخرى في المعيار هي الأصولية الأمريكية القومية، ولأعطيكم رأيي في الأصوليتين. إن كلمة الأصولية فيها إشكال في الفكر الإسلامي اللاهوتي، فكثيرون لا يوافقون على هذا الاصطلاح لأن الأصولية بالنسبة للمسلمين لها مدلول إيجابي، وهو الرجوع إلى أصول الدين بالذات لهذا دعوا بالأصوليين، وربما كان التطرف هو الاصطلاح الأنسب، لذلك أرى أن الصدام أو الصراع ليس بين الأديان بل بين أنواع المغالاة في الأديان.

لذلك ليس الأمريكيون فقط بحاجة لمزيد من التوضيح بل وأعتقد أنا كذلك، فنحن في إندونيسيا مقتنعون مثلاً بأن ظهور التحالف اليهودي الأمريكي هو الذي له صلات أوثق مع إدارة بوش.

لذلك فإن الجوانب السلبية حقاً للجماعات الدينية موجودة هناك وهي ليست حكرا على أديان بعينها مثل الإسلام، وما يحضرني هو السؤال عن كيفية رؤية الحقيقة، والعملية الجارية، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبمتبر. ومن ثم الحرب على الإرهاب من قبل الولايات المتحدة في الدول الأخرى، هل هي حقاً الصدام بين الأصوليتين أم هي ردة فعل ضد العولمة وكذلك ضد الأمركة.

---

* تعليق على بيان أبو سمرة من قبل كو ناكاتا (Ko Nokata) نائب مدير لـــ CISMOR :

أبو سمرة طالب إسرائيلي، يدعي الإسلام، أرسل من إسرائيل وقال بأن القرآن ليس كاملا، وهذا كلام مخالف لإجماع الدراسات الإسلامية وليس الموضوع مناسبًا للبحث في هذه الجلسة في وقت محدود، وهذا ليس لقاء متخصصين في القرآن وإن تقديمه لهذا التعليق المخالف للإجماع ليس إلا طعنا في الإسلام، وسوف يدمر مصداقية CISMOR الأكاديمية وكذلك يشير إلى الموافقة على التجديف بالإسلام، لذلك أعتقد أن هذا التعليق يجب حذفه، وهذا الرأي بالحذف هو رأي المتخصص الوحيد بالدراسات الإسلامية في اجتماع، المحررين ولم يقبل، وترك مسجلا في محاضر الاجتماع. ومهما كانت النتائج الناجمة عن هذا الأمر في المستقبل لن أتحمل مسؤوليتها سواء في هذا العالم أو في يوم الحساب.

وإن استطعنا تضييقه ليقتصر على الغرب وليس الغرب عموماً بل على الأمركة وبشكل أخص ضد السياسة الخارجية لحكومة الولايات المتحدة تجاه بعض الأقطار مثل الأقطار الإسلامية لكي نحل مشكلة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مثلاً حيث أن كثيراً من المسلمين في بعض أنحاء العالم الإسلامي يرون أن هناك ظلماً وعدم إنصاف وازدواجية في المعايير لدى الولايات المتحدة.

لذلك ربما أخذنا بالاعتبار ما اقترحه البروفيسور جويرغينسمئير, إن فهمته بشكل صحيح، بأن نرى المشكلة وما يجري في العالم على أنها عملية طبيعية للاندفاع البركاني، وللتفاعل الجدلي بين أشياء كثيرة في الحضارة الإنسانية، والأهم هو سؤالنا عن هدف ندوتنا وأن نحدد الدور الذي يجب أن يلعبه الدين.

ولهذا نأخذ في الاهتمام اقتراح البروفيسور جويرغينسمئير مرة أخرى البارحة حول الحاجة الآن لمترجمين للتعاليم والنصوص الدينية، ليس لأنني لا أوافق على أن النصوص والوحي غير كاملة وباعتبار أنها من الله الأكمل، فالقرآن كامل بالنسبة للمسلمين خصوصا، ولكن فهمنا وتفسيرنا لذلك الكتاب المقدس ولذلك الوحي غير كامل، لذلك ما نحتاجه الآن هو مترجمون لهذه الكتب المقدسة لكي ندعم البعد السلمي لتعاليمنا الدينية ولهذا ومرة أخرى كما ذكر بالأمس هنالك حاجة لتحالف كبير بين القوى المقررة والوسيطة ضمن الجماعات الدينية وشكراً لكم.

إينا (Ina):إنني كاتبة محررة لأخبار اليابان الاقتصادية والمسؤولة عن الدبلوماسية والأمن، لدي سؤال للدكتور موري وتعليقات على ما قدمه، لقد كانت محاضرته مثيرة للتفكير وربما أشاطره نفس الشعور تجاه الشخص الذي سأل سؤالاً للتو، ولكن إن قارنا ابن لادن وبوش فإن أصولية ابن لادن ربما كانت مفهوماً دينياً، ولا أتذكر إن ذكر الدكتور موري ذلك صراحة، وبالنسبة لبوش استعمل الدكتور موري اصطلاح الأصولية كما هو مطروح بشكل واسع في وسائل الإعلام، وكما علق هذا الشخص آنفاً بأن المقارنة بين شيئين مختلفين من مجالين مختلفين تماماً هو مثل مذاق الخمر و مذاق الويسكي أو الخمر والشوكولا وهذا يؤدي إلى مناقشة لا معنى لها.

ومع ذلك أفهم تماماً ما قصده الدكتور موري بكلمة أصولية، وأعتقد أنه استعملها بمعنى يتضمن العقيدة من ناحية الولايات المتحدة وهو القومية كما تشاهد في أي بلد، وبما أن الولايات المتحدة هي دولة صنعها الإنسان لذلك يتحاشى الأمريكيون كلمة قومية، ومع ذلك يستعمل بعض العلماء في العلوم السياسية اصطلاح القومية المدنية، ومن هنا يمكننا استعمال الأصولية لنجعل الموضوع أكثر جاذبية لدى المناقشة، ومع ذلك لدي شعور بأن استعمال الكلمة قد يأخذ بالمناقشة في اتجاه آخر، وسؤالي هنا: لم علينا أن نستعمل كلمة أصولية بدلاً من القومية، وشكراً لكم.

موري: لقد كرست نفسي لسنين عديدة لدراسة الأصولية في الولايات المتحدة وكتبت أوراق بحث حول ما يسمى بالأصولية الدينية المسيحية، وبهذه الخلفية أفهم تماماً ما تعنيه الأصولية في الولايات المتحدة وفي حقول الدين واللاهوت، وسبب

تجرؤي على استعمال كلمة الأصولية في المقارنة بين ابن لادن وبوش هو لأنني أردت أن أشير بأنه ربما كان هنالك أوجه شبه بينهما في حدود الظواهر السياسية والدينية، وكما ذكرت ربما استعملت في بعض الحالات كلمة قومية، ولكن في الولايات المتحدة من أجل تبرير القومية والحديث عنها يستعملون عبارات دينية مثل "الدين المدني" أو "دين الحدود اللامرئية" وبهذا المعنى فإن الطريقة التي يفكر فيها بوش ويتصرف يمكن اعتبارها إحدى طرق الأصولية.

مقرر الجلسة: السيد كوري باياشي تفضلي بالكلام:

كوري باياشي: (Kuribayashi)في حين أن المحاضرات الثلاث كانت مهمة جداً أحب أن أركز على محاضرة الدكتور بابي هنا، وسؤالي من وجهة نظره ماذا يجب على المواطنين الأمريكيين أن يفعلوا؟ وخلال جلسة اليوم تجددت انطباعاتي بأن الولايات المتحدة مستمرة بممارسة نفوذها الكبير حول القضايا الفلسطينية، وإن محاضرة الدكتور موري وإجابة الدكتور موراتا خاصة قد عززت لدي حقيقة أن الولايات المتحدة تلعب دوراً بارزاً في الجماعة الدولية في مجال السياسة والقوة العسكرية، وأننا لا يمكن أن نبحث قضايا السلام الفلسطيني دون إشراك الولايات المتحدة، وبما أنني مسيحية لا يمكنني أن أكون غير مكترثة لحقيقة أن الإنجيليين والأصوليين والصهاينة المسيحيين الأمريكيين كان يدعمون بشدة إدارة شارون اليمنية في إسرائيل. وكان جيري فالويل(Jerry Falwell) التابع للأكثرية الأخلاقية Moral Majority-- وبات روبرتسون (Pat Robertson) التابع للتحالف المسيحي --Christian Coalition يقدمان الدعم المالي للمستوطنين الإسرائيليين، فهما راضيان عن احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة وقدما مراراً بيانات سياسية منحازة لطرف واحد لحد أنه "لا يوجد قضايا فلسطينية والأراضي الإسرائيلية باقية" وربما كان لهم الدافع اللاهوتي وراء نشاطاتهم والذي لن أبحثه هنا. ولكن من أجل أن نمهد الطريق للسلام الفلسطيني "ماذا وكيف على المواطنين الأمريكيين أن يفكروا".

ورغم أنني وضعت توقعات كبيرة على المرشح السيد دين (Dean) للترشح الرئاسي الديموقراطي فقد خسر منذ أيام، وربما كان ذلك مرده لأنه لم يأخذ القضايا الدينية بجد في الانتخابات، وهذا أدى إلى خسارته في المراحل الأولى من تسمية ولاية آياوا (Iowa) له، ونتيجة لذلك أعلن انسحابه من السباق وحل محله عضو مجلس الشيوخ كيري (Kerri), وهذا ليس عضواً في اليمين الديني لكنه كاثوليكي. وهو كذلك يمدح إسرائيل علناً على أنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط. وتحت هذا الظرف أياً من سينتخب ليكون الرئيس التالي سواء الرئيس الحالي بوش أم عضو مجلس الشيوخ كيري لا يبدو أن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ستبتعد كثيراً عن الإطار المؤيد لإسرائيل. وهذا أمر مثبط جداً ولكن حتى تحت هذه الظروف ماذا يجب على المواطنين الأمريكيين بالذات أن يفعلوا ؟ وفي حدود الرأي العام ومن

وجهة نظر فلسطينية هل هناك دليل ما دكتور بابي؟

بابي: أشكرك على السؤال، ماذا يجب أن تفعل الولايات المتحدة؟ أنا أعلم ما عليها أن تفعله, ولست متأكداً كيف سنجعلها تفعل ذلك. وأنتظر أن يقلع الأمريكيون أن يكونوا سماسرة غير أمناء في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

آن الأوان أن تعود السياسة الأمريكية لما كانت عليه في الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب العالمية الأولى حيث ضمت معاهد مثل الجامعة الأمريكية في القاهرة والجامعة الأمريكية في بيروت أفضل النخب المفكرة، وحيث عبرت المعاهد الأمريكية في فلسطين عن دعمها لحق تقرير المصير الفلسطيني، وحيث كان رجال السلك الدبلوماسي الأمريكيون في القدس في بداية القرن العشرين يتعاطفون مع السكان المحليين في فلسطين وليس فقط مع المهاجرين اليهود، لذلك أقول هناك نداء للأمريكيين ليعودوا إلى السياسات التي كانت سائدة قبل مائة سنة خلت.

ثانياً: أقول إن أصرت أمريكا على الاستمرار بأن تكون رجل الشرطة الدولي فلا يمكنها الاستمرار في ممارسة حق الفيتو ضد أي قرار تتخذه الأمم المتحدة بحق إسرائيل و ضد تنفيذ كل قرار في العراق.

ثالثاً أتفق في الرأي أن مختلف المرشحين في الانتخابات القادمة من غير المحتمل أن يغيروا السياسة الأمريكية بشكل جذري، ولكن هناك نقطتان علينا أن نتذكرهما، الأولى أن هناك مجتمعا مدنيا أمريكيا حيث تجولت في أمريكا مؤخراً ونقل المجتمع المدني الأمريكي رسالة مختلفة جداً عن المثلث الذي يسيطر على وزارة الدفاع الأمريكية (Capitol Hill) فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وهذا المثلث هو المحافظون الجدد (Neo.cons) والصهاينة المسيحيون (Christian Zionists) و لجنة العلاقات العامة الإسرائيلية الأميركية (AIPAC)، وبعيداً عن وزارة الدفاع فإن المنظمات غير الحكومية والأفراد ليعبرون عن أفكارهم المختلفة فيما يتعلق بالصراع برمته وكيف يجب أن يحل.

والنقطة الثانية: هذا النظام ليس أحادي القطب فعلاً فهناك الأوربيون وهناك اليابانيون ودول أخرى في العالم وهناك الأمم المتحدة. وإذا طلب منهم المشاركة في إعادة إعمار العراق فلهم الحق بالمطالبة بأن يشتركوا في إعادة إعمار فلسطين وإسرائيل.

مقرر الجلسة: شكراً لك. وكما ذكرت آنفاً هل تسمح يا سيد زين بالبدء؟

زين: أولاً اسمحوا لي أن أقول بأن هذه الجلسة منعشة جداً وأهم جزء فيها هو النقد الذي قدمه البرفسور بابي، إن الأشياء التي ذكرها قالها العرب ولكن لم يعرهم أحد اهتماماً لأن ذلك صدر عن العرب، ولكن بما أن ذلك يقال الآن من قبل مواطن إسرائيلي فهذه الأشياء لها مغزى كبير وآمل أن يشاركه فيها بعض الإسرائيليين ليكون عندنا عالم أفضل وعلاقة أفضل. وأعتقد لو أن إسرائيل، وهي الجزء الأهم في المشكلة

تسعى في أن تصبح جزءاً من العالم العربي ويكون لها دور إيجابي فيه فهذا سيكون أمراً حسناً وهذا ما سيرعى السلام في المنطقة.

وأعتقد أيضاً أن البروفيسور موري في نقده والذي هو نقد جيد للأصولية الأمريكية مما يجعله ذا معنى لي كشخص وقع ضحية للعدوان الأمريكي، ويأتي شخص صديق لأمريكا، فاليابان صديق وحليف لأمريكا لذلك عندما ينتقدك صديقك فإنك ستأخذ هذا النقد على محمل الجد، وهذا يقودني إلى صديقنا هناك، إنني لا أقفز يا بروفيسور حنفي ولكنني أتفق معه في معظم الأمور التي قالها وهذا يجعلني أقفز إلى الشخص الآخر هنا عندنا الأخ أبو سمرة ولا يخلو نقده من حكمة، ولكن أحب أن أقول إننا في الإسلام نميز فعلاً بين النصوص المقدسة والتفسيرات الجائرة لذلك النص المقدس، وعبر التاريخ كان هناك تفسيرات جائرة للنصوص المقدسة، ولكن لا يمكن أن نعتبرها فهماً صحيحاً للنص، فنحن المسلمين قد طورنا هذا عبر التاريخ وإن عندنا أكمل وأتم نص لأنه رسالة الله الأخيرة، ونحن ندعي هذا وهذا الادعاء فيه شيء من الحقيقة.ويحمله كثير من المسلمين على ما أظن محمل الجد، وهذا ما أظن أن الأخ أبو سمرة كان يقصده، إنني لا أحاول أن أجعله يتقول ذلك، ولكنني أعتقد أنه مضطرب كثيراً من تفسيرات النص، فإن لم يكن كذلك أظن أن بعض المسلمين سيهبون عليه ويقولون شيئاً آخر.

ولكنني أعتقد باعتبار أن هذا المؤتمر هو عملية شفاء ومصالحة مررنا بها ولا أقول ليس علينا أن ننتقد التقاليد الإسلامية، لا أقول ذلك. لقد كانت التقاليد الإسلامية منفتحة منذ نشأتها الأولى، ما أقوله هو أن روح هذه الورشة كانت عملية شفاء ومصالحة، ولتكن كذلك، وشكراً لكم.

شكراً لك دكتور كفتارو للانتظار وبعده الدكتور شينوهي.

كفتارو: مساء الخير، أنا أؤيد ما قاله الدكتور زين وأؤكد بأن الإسلام ليس دين اضطهاد، الإسلام هو دين رحمة ودين محبة ودين تواصل بين الشعوب، وقصة صغيرة تعطينا لمحة كبيرة عن هذا الإسلام الذي لم يرحم أبناءه بل رحم الناس جميعا، الخليفة الثاني في الإسلام عمر بن الخطاب وبعد أن فتحت مصر وكان الوالي عليها عمرو بن العاص، دخل في السباق ابن عمرو ابن العاص مع أحد الأقباط في مصر، وقد سبق هذا القبطي ابن عمرو ابن العاص، فأمسك ابن الخليفة العصا وضرب على رأس هذا القبطي المسيحي، فسافر القبطي من مصر إلى المدينة، واشتكى خليفة المسلمين ابن عمر، ابن العاص، فاستدعى الخليفة عمرو ابن العاص وولده وأمر القبطي أن يضرب بالعصا على رأس ابن الخليفة المسلم في مصر وقال له «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»، هناك كما قال الدكتور زين نصوص قرآنية وتفسيراتها وقد أخطأ كثير من المستشرقين في فهم هذه النصوص، لذلك إذا كنا نريد أن نحكم على الإسلام، يجب أن ندرس الإسلام كظاهرة اجتماعية دينية وضعت نظاما عاما للمسلمين ولغير المسلمين، نبي الإسلام عندما كان يذبح ذبيحة كان يقول

هلا أهديتم قطعة منها لجارنا اليهودي، كما قلنا بالأمس عندما حدّد مهمته رب العالمين فقال «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» فإذن الإسلام دين الرحمة كالمسيحية وكاليهودية ولا يمكن لمن صنع هذه الأديان أن يخطئ أو أن يكون مضطهدا لأنه رب العالمين وهو أرحم الراحمين، وشكرا.

شينوهي: اسمي شينوهي وأنا من اليابان. لدي سؤال أوجهه للدكتور حنفي، إن الرسالة التي فيها أعمال عنف وتنتهي بالتحرير هي ما يرتبط بالجهاد في القرآن، وصحيح نوعاً ما أن العنف يؤدي إلى التحرير ولكن كنتيجة للجهاد ماذا كانت الأوضاع في أفغانستان والعراق وفلسطين في القرن الحادي والعشرين؟ بالكاد حققت مقاومة العنف شيئاً، ورغم أن الدكتور حنفي قد قال بأن أعمال العنف في وضع يفتقر إلى الأمن الشرعي سينتهي بالتحرير، وأن العنف يجب أن يلجأ إليه في تلك الحالة مثل أفغانستان والعراق وفلسطين حيث استخدم فأدى بهم الحال إلى ما هم عليه.

ويمكن أن نرى نتائج اللجوء إلى العنف في هذه الأقطار الثلاثة التي تخدم هدفها بشكل سلبي في الوضع العربي الحالي. وعندما لا يستعمل العنف كما في العربية السعودية في عام 1988م نجحت الجهود الدبلوماسية في جعل الملك حسين يتخلى عن الضفة الغربية وفي مثل هذه الجهود الدبلوماسية كانت إقامة الدولة الفلسطينية تسير على قدم وساق. ومع ذلك في عام 1990م عندما لم يدعم الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات تحرير فلسطين والذي هو هدف دولته ولكن دعم غزو العراق للكويت باءت كل المنجزات التي تحققت عن طريق الدبلوماسية العامة بالفشل، ولدى دراسة هذين المثالين نسأل هل أدى العنف إلى التحرير؟ وكشاهد على ذلك هل حققت آيات القرآن التي تؤثر في كثير من المسلمين أهدافها في النهاية ؟ وبالنسبة لي إن العملية الدبلوماسية العامة التي تقوم بها العربية السعودية في إقامة وضع دولي لفلسطين بالتدريج تبدو لي أكثر فعالية، دكتور حنفي أحب أن أسألك رأيك في هذه النقطة.

حنفي: كنت أستعرض أعمالاً أدبية ضخمة في أمريكا اللاتينية ألفها لاهوتيين عملوا في التحرير وميزوا بين العنف الظالم الذي تمثله الشركات الأمريكية الكبرى والولايات المتحدة وأحيانا بالتحالف مع الكنيسة ، والعنف التحريري من قبل الفلاحين والعمال الذين يحاولون أن يحرروا أنفسهم من الظلم الداخلي والظلم الخارجي على حد سواء.

إنني هنا أتكلم كعالم اجتماعي إنني لا أستنتج أفكاري من النص. إنني لا أتكلم عن الإسلام بل أتكلم عما يحاول علم الاجتماع السياسي أن يكتشف فيما يتعلق بالعنف والعنف المضاد، وأنا لا أقول بأن العنف طريق للتحرير ولكن عندما يكون هنالك طريق مسدودة أو عقبة في تحرير نفسك بالطرق السلمية فإنك تلجأ إليه، فانظروا إلى قضية الفلسطينيين، لقد ذهبوا إلى مدريد وإلى أوسلو وإلى واي ريفر وهم يتوسلون الإسرائيليين ليأتوا للسلام وانظروا إلى المبادرة العربية: السلام الكامل مع إسرائيل. الاعتراف الكامل بإسرائيل مع حدود مفتوحة وعلاقات اقتصادية وتمثيل دبلوماسي

شريطة الانسحاب من الأراضي المحتلة والعودة إلى حدود الخامس من حزيران عام 1967. وإسرائيل ترفض، إذاً في هذه الحالة لا سبيل إلا المقاومة طبقاً لميثاق الأمم المتحدة في الدفاع عن النفس كحق مشروع لأي شعب مظلوم أو محتل.

وأخيراً عندما حاولوا في كامب ديفيد الثانية أن يعقدوا السلام وكادوا يتوصلون إليه ناقشوا موضوع الشوارع وخلافه ثم انهار كل شيء لأنهم كانوا يتعاملون مع الأمر كتجار متراً بمتر كما قال إيان، وليس بنظرة نوعية، وليس برؤية عالمية حيث يتوجب علينا فعلياً أن نجاهد من أجل الاعتراف المتبادل ونؤمن أن هذه الأرض يمكن أن تؤوي شعبين وثقافتين بل وأكثر كما فعلنا في غرناطة وإشبيلة وقرطبة.

وأخيراً إنني لا أقتبس من القرآن أو من الإنجيل والعهد الجديد لأنكم تستطيعون قراءته كما تريدون، وقد تكونون انتقائيين جداً ويمكنكم اختيار الآيات التي ترغبون وتتركون الآيات التي لا ترغبون، وهذا ليس بشيء أكاديمي فالفهم البشري والمصالح البشرية قد أباحت لنفسها دائماً تحليل النص، والأفضل من هذا بكثير هو تحليل الحقائق فعلاً، وهذا يعني تحليل أسباب وجذور العنف لكي نتمكن من تغيير الواقع واستئصال العنف بدون تمويه لدعوة السلام في حين أن الحقيقة خلاف ذلك.

أبو سمرة:أحب أن أرد على بعض الأسئلة التي أثيرت حول تعليقي السابق، فيما يتعلق بالقرآن إن جوابي للبروفيسور إبراهيم زين والآخرين هو نعم، وقد عنيت أنه لا يمكن أن يكون كاملاً، فإن درسنا بعضاً من وظائفه الاجتماعية وموقفه من مكانة المرأة وموقفه من غير المسلمين وتقييده لحرية الفكر والدين والاعتقاد أو مفهومه عن استئثارية الإسلام فهذه لا يمكن اعتبارها من وجهة النظر العصرية كاملة، ولا يمكن قبولها أو العمل بها في واقعنا المعاصر. علينا أن نقر بهذه الحقيقة ونتعامل معها بروح نقدية. وبهذا المفهوم ليس القرآن كاملاً. وثانياً طبقاً للتقليد الإسلامي اللاهوتي المديد أفهم أن الكمال صفة مقصورة على الله وأن مخلوقات الله بما فيها القرآن ليس لها مثل هذه الصفة الإلهية, وإن فكرة كمال القرآن هي نتيجة لإلهيات كلاسيكية في عصور قرآنية لاحقة يجب أن تدرس بروح نقدية لكي نعلم أصول المفهوم اللاهوتي السائد للقرآن، وفعلاً تم القيام بهذا من قبل عدد من المفكرين العرب والمسلمين.

ويجب أن يكون هذا التمحيص جزءاً من دراسة نقدية للنصوص المقدسة والتقاليد الدينية، ومرة أخرى أقول إن هذا ضروري لنتمكن من مواجهة حاجات ومصالح يومنا الحاضر وليس حاجات جماعة أخرى. وشكراً لكم.

المقرر: حسناً دعوني أعطي الفرصة لمن لم يتكلم. السيد الرشد من أين أنت وهل تقدم اسمك من فضلك؟

الرشد: هناك فيما يخص النصوص القرآنية وفيما يخص بعض الآيات الخاصة بالحرب والسلام فيجب علينا أن ننظر إلى أمور هامة جدا موجودة في علوم القرآن وهو ما يخص الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وهناك آيات في القرآن الكريم تقول

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من ورباط الخيل» إلى غير ذلك، وهناك آيات تدعو إلى السلام، القسم الخاص في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم يقول إن الآية التي نزلت في نفس الأمر، بعض الآية التي سبقتها تنسخها وتبقى الأخرى منسوخة والأخيرة هي الناسخة ، وحسب علم الآيات المنزلة، الآيات التي نزلت قبل والتي نزلت بعد، آخر الآيات التي نزلت في القرآن الكريم كانت تدعو إلى السلام والتعايش والمحبة مع كل الأديان ومع جميع الناس، فهنا لا يكون الأمر اختياريا، فربما نختار بعض الآيات الخاصة بالسلام أو نختار بعض الآيات الخاصة بالحرب، لا ، فالآيات الخاصة بالحرب نُسخت من الآيات التي تدعو إلى السلام ويجب أن ننتبه إلى هذا الأمر، شكرا جزيلا لكم .

المقرر: في الختام لدى الدكتور حنفي ما يقوله وأجوبة على بعض الأسئلة:

حنفي: أجل يوجد منطق وتشريع جامع لحل موضوع التناقضات الظاهرة في القرآن وكذلك العهدين القديم والحديث.

لقد قال السيد المسيح لم آت لأقدم سلاماً بل سيفاً. وفي نفس الوقت يقول أحب جارك، وكذلك يمكن رفع الإشكال في موضوع غموض اللغات باللجوء إلى العام والخاص والاستعارة والمعنى الحرفي، فهي مجموعة كاملة من المنطق ومجموعة كاملة من التسلسل التاريخي للنصوص فكل هذا يحل المتناقضات.

ولابد أن يحدث صدام بين أي ادعاء مطلق وسواه، ومن ثم فالرئيس الأمريكي وكذلك ابن لادن كلاهما لهما ادعاؤهما المطلق ولذا كان هذا ضد الحوار وضد التفاهم المتبادل. فمثلاً إن أردت أن تعرف ما هو الإسلام قلنا الإسلام اختيار حر بين أن تكون يهودياً صالحاً أو مسيحياً صالحاً، واسمحوا لي أن أورد آيات قرآنية: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به" و"العين بالعين والسن بالسن"، وهذه هي الوصايا العشر. أما "وأن تعفوا خير لكم". فهذا هو ما يعلمه المسيح. فالإسلام هو أن تكون يهودياً صالحاً أو أن تكون مسيحياً صالحاً. هذا هو المسلم الحقيقي دون إضافة أي شيء جديد. وبما أننا نتكلم عن الأديان التوحيدية فهذا يعني حقاً الملاحظة الأخيرة فيما يتعلق بجوهر الأديان الإبراهيمية: التسامح ومنظومة عالمية من الأخلاق والاعتراف المتبادل والعيش المشترك.

المقرر: شكراً جزيلاً لكم.

لقد ناقشنا التوحيد في خلال اليومين السابقين، وبما أنني لست متخصصاً وهناك عدة موضوعات للأخذ بها فلا أظنني أستطيع أن ألخص هذه الجلسة، ولكنها مع ذلك فرصة لا تقدر بثمن بأن أنضم لهذه الجلسة المؤلفة من ثلاث وعشرين مشاركاً من اثني عشر بلداً خارج اليابان وأن أستمع إلى المحاضرات وأشارك في المناقشات مع أناس يندر أن تتاح لي الفرصة أن أجتمع بهم في المؤتمرات الأكاديمية العادية، وهنا تكمن أهمية مشروع CISMOR على ما أعتقد، وحتى أولئك الذين يؤمنون بنفس الدين لهم

تفسيراتهم المختلفة و ربطهم للأمور بل وأبعد من هذا قد تتنوع اختلافاتهم بتنوع البشر والأديان أصلاً تدعو إلى السلام ويبدو أن المشاكل تنشأ في كيفية تفسيرنا لها.

ولقد ذكر الدكتور موري في نهاية محاضرته تعديل الفقرة الأولى من الدستور الأمريكي لبيان الوضع الفعلي في الولايات المتحدة حيث يتمتع الناس من ديانات مختلفة بتعايش سلمي, وأضاف بأن هذا الوضع إذا ما تحقق في بلدان أخرى في العالم أجمع لأمكن التعايش السلمي، ولن يكون تهديداً بل وعداً ولن تحل هذه القضية بسرعة . وإن تم ذلك لاكتمل مشروع CISMOR اليوم، وأمامنا أربع سنوات أخرى, وآمل أن تحل القضايا قريباً.

وإليكم رأيي الشخصي، باعتبار أن الجهاد والحرب المقدسة والحرب العادلة والسلام والإرهاب يمكن تفسيرها بمثل هذه الطرق المتنوعة فإنها تعكس تعقيد هذه القضايا وأعتقد أن أول شيء علينا فعله هو الاعتراف بالتعقيد لكي يتمكن الناس من خلفيات دينية مختلفة أن يفهموا بعضهم بعضا. وفي هذا السياق في حين أنه لا يمكننا أن نعالج القضايا دون أخذ الأديان بالاعتبار قد نتمكن من الاقتراب أكثر من التعايش السلمي إن استطعنا أن نقيم نظاماً مشتركاً ضمن الجماعة الدولية.

قد يعجب هذا البعض وقد لا يعجب غيرهم، وأملي أن يكون كوفي عنان سكرتير الأمم المتحدة بين ظهرانينا في اليابان اليوم وأن يجتمع بوزير الخارجية كاوا جوتشي (Kawaguchi) ورئيس الوزراء كوي زومي (Koizumi).

ويرى البعض أن اليابان باعتبارها تسهم بأكثر من عشرين بالمائة من نفقات الأمم المتحدة عليها أن تحصل على مقعد دائم في مجلس الأمن، ولكنني أتوقع كما قال الدكتور موري في بداية جلسة اليوم وكما قال الدكتور حنفي البارحة بأن اليابان بحفاظها على الحياد دون محاباة سوف تلعب دور الوسيط بطريقة عادلة.

ولا بد أنكم متعبون بعد هذين اليومين من الجلسات وآمل أن تساعد هذه الفرصة على توسيع فهمنا وتدفع إلى مشاريع أفضل، ويجب أن لا تكون هذه نهاية بل بداية حوارنا. وشكراً لتعاونكم.

وفي ختام ورشتنا سيقول الدكتور موري بضعة كلمات.

الدكتور موري:إن ندوتنا هذه التي دامت يومين قد قاربت على الانتهاء، وباعتبار أن هذه الندوة الدولية هي أول لقاء دولي تنظمه CISMOR فإن قلة خبرتنا ربما سببت لكم بعض الإزعاج وأعتذر لذلك، ولن أروي كل الأسماء ولكنني أحب أن أشكر كل أولئك الذين قدموا كلماتهم وكل من شارك في المناقشات وأحب أن أبدي تقديري لكل أعضاء هيئة CISMOR الذين أعدوا لهذه الندوة الدولية ولأعضاء المؤتمر الذين أجروا مفاوضات متعددة من أجل هذا البرنامج وللعاملين في فندق وستن مياكو (Westin Miyako) الذين أمنوا لنا الجو المريح في اليومين الماضيين وشكراً جزيلاً لكم.

وباعتبار أن هذه وندوتنا الدولية الأولى نحب أن نتلقى آراءكم الصريحة عن كيفية تطوير هذه الفرصة للأحسن، وقد يكون لدى البعض تعليقات سلبية من وجهات نظر مختلفة، الرجاء ابعثوا لينا برسائلكم الإلكترونية أو إلى مكتب CISMOR، ولن نعقد أي ندوة دولية في العام المقبل، ولا أدري في عام 2006 إن كنا سنعقد ورشة بنفس طريقة هذا العام أو بشكل مصغر أو سنعقدها خلال يومين أو لفترة أطول، واعتماداً على آرائكم ومقترحاتكم نأمل أن تطور ندوتنا مستقبلاً. وإن معرفتكم جميعاً ستبقى كنزنا الثمين وسوف نستفيد منه بالكامل.

وشكراً لتعاونكم.

The 21st Century Center of Excellence Program

CISMOR International Workshop 2004

War & Violence in Religion

Responses from the Monotheistic World

February 20-21, 2004

Published by the CISMOR
(Center for Interdisciplinary Study of Monotheistic Religions)
Doshisha University
Karasuma-Higashi-iru, Imedegawa, Kamigyo-ku, Kyoto 602-8580
Phone: +81-75-251-3972
Fax: +81-75-251-3092
http://www.cismor.jp/
e-mail: staff@cismor.jp

Copyright: 2004 by CISMOR
(Center for Interdisciplinary Study of Monotheistic Religions)
All rights reserved.

CISMOR